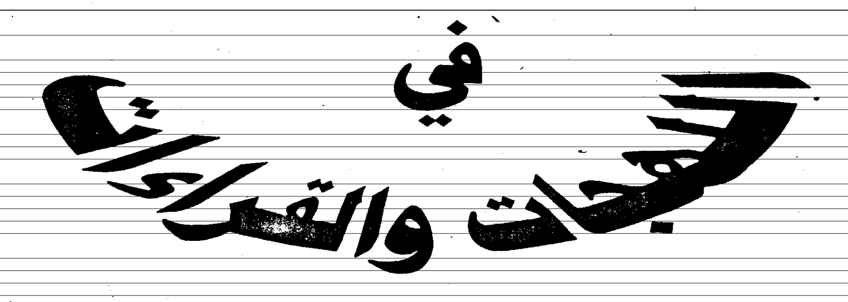
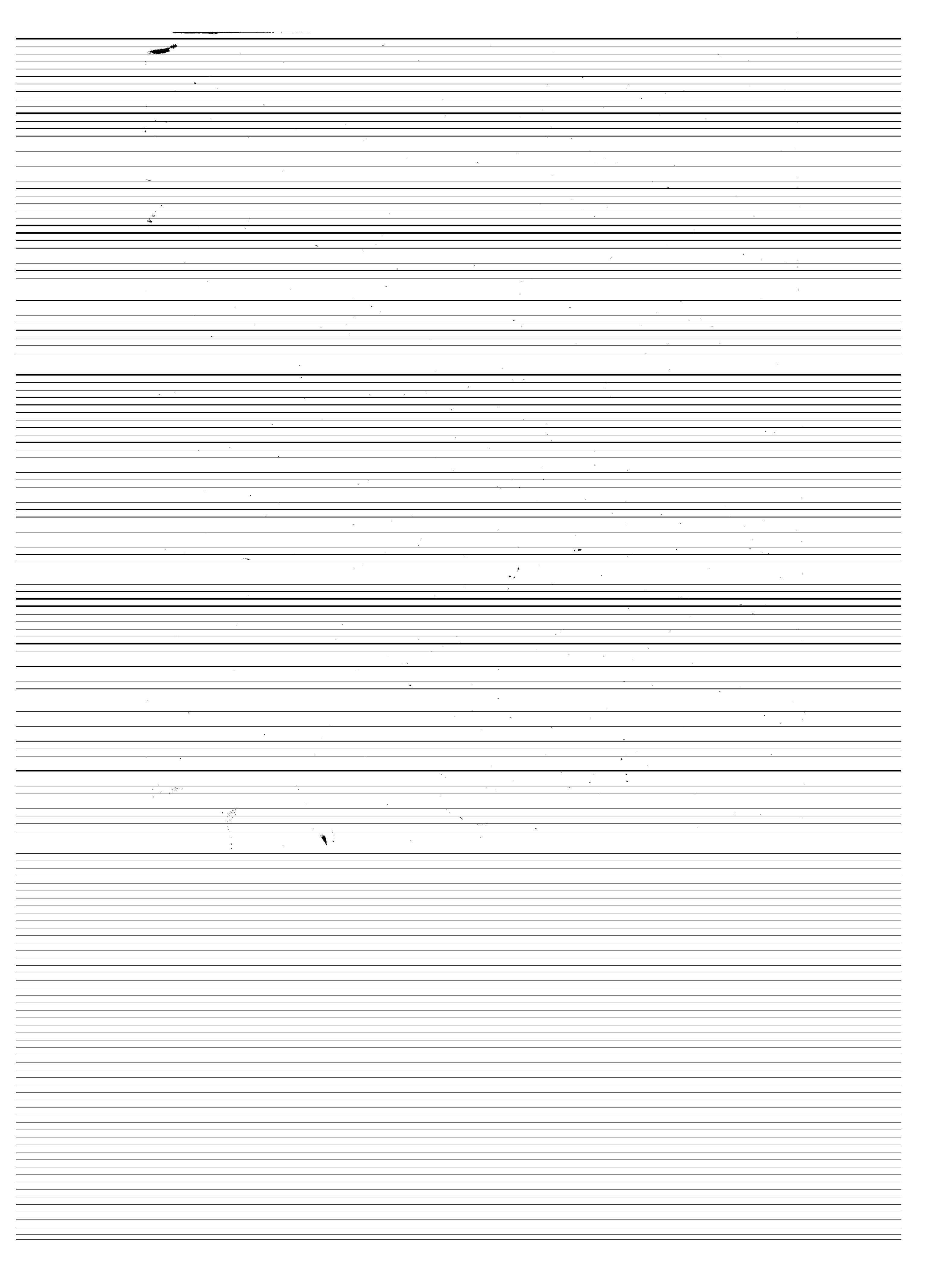




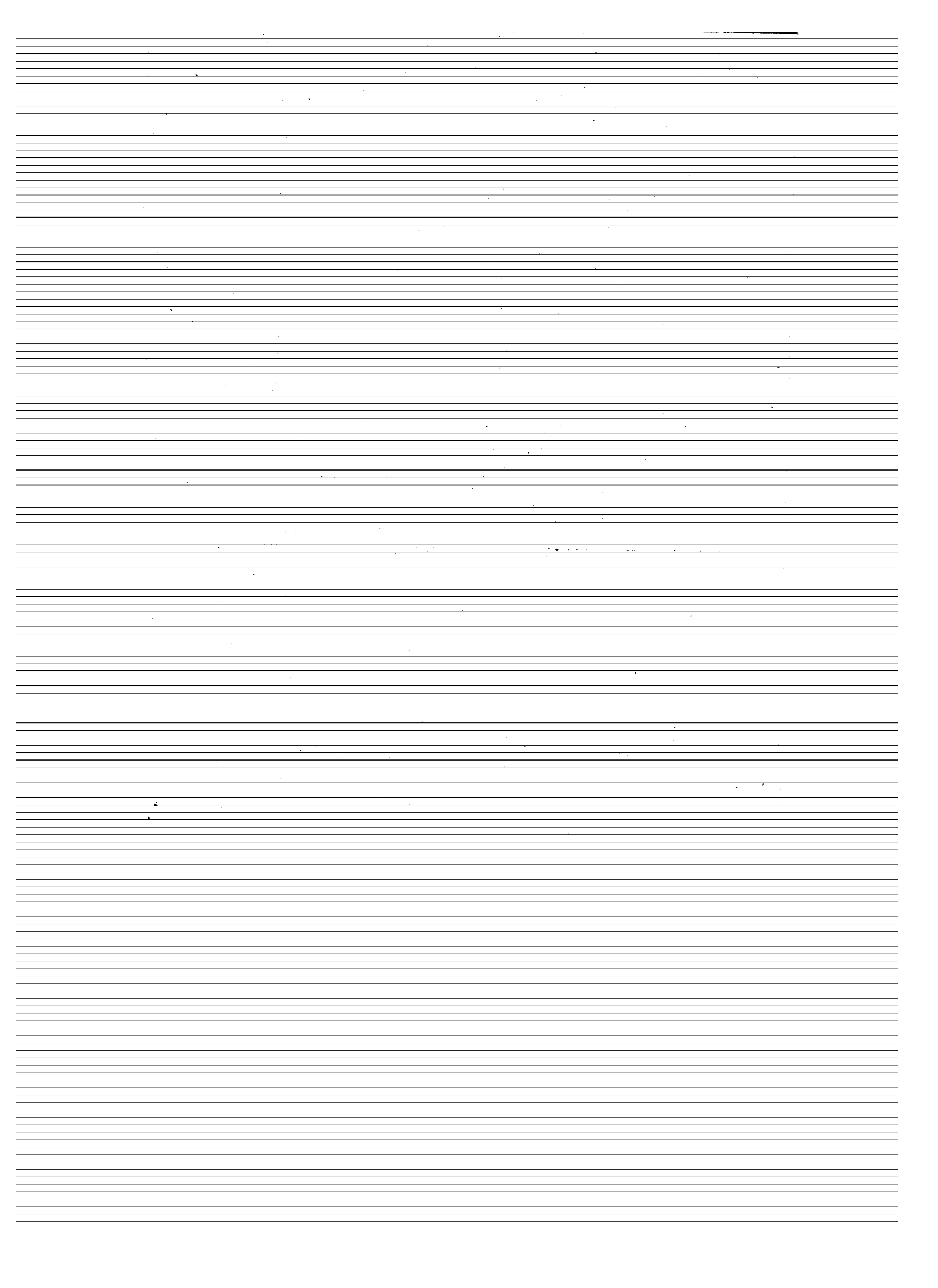
إعداد

د . عادل محمد إبراهيم حسن
مدرس بكلية الدراسات الإسلامية
والعربية بدسوق

د . رجب أحمد عوده
مدرس بكلية الدراسات الإسلامية
والعربية بدسوق




بسم الله الرحمن الرحيم



المقدمة :

الحمد لله رب العالمين ،وأصلي وأسلم على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد ، النبي ، العربي الأمين ، وعلى آله وأصحابه ، ومن سار على نهجه ، واهتدى بهديه إلى يوم الدين .

وبعد ...

فلقد جمع الله سبحانه وتعالى بقدرته وحكمته العرب جميعاً على كتابه الكريم ، وألف بينهم وأخرجهم من ظُلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم ، والقرآن الكريم القانون الرباني للمسلمين ؛ فيه صلاح هذه الأمة وتقدمها ، وهداها الله به صراطاً مستقيماً فحرصاً على كتاب الله – عز وجل – ودفاعاً عنه ، نشأت الدراسات اللغوية ، حيث أنه أهم مصادرها .

وقد وقف العلماء المخلصون للزود عنه ، وفهم ألفاظه وعباراته ، وتدبير معانيه ، والتفقه فيه ، فنشأت الدراسات اللغوية المتعددة حوله ، كلها تعمل على خدمة كتاب الله . ومن هذه الدراسات اللهجات العربية ، والقراءات القرآنية ، حيث أنها من أسمى العلوم التي دارت ونشأت في رحاب اللغة العربية .

والباحث والدارس يتعرف من خلالهما على أسرار اللغة العربية ، في القديم والحديث ، وعلى لهجات العرب قديماً ، والعلاقة بينها وبين اللهجات الحديثة ، وغير ذلك مما يتصل بعلم اللهجات . وكذلك يقف في علم القراءات القرآنية حول القراءات التي مثلت بعض اللهجات وأفصحها .

وما كانت هذه الدراسة إلا للمحافظة على اللغة العربية ، وهوية الناطقين بها وبخاصة القرآن الكريم ، وعلى تقديم شيء مفيد للدارس العربي .

وهذا كتاب " **شذرات في اللهجات والقراءات** " أقدمه للقارئ والدارس ؛ للتعرف على أسس ، وقواعد هذين العلمين ، ووضع لبنة في ذهن القارئ ليعلم منها بعض موضوعات اللهجات والقراءات .

والكتاب قسمته إلى فصلين :-

الفصل الأول : اللهجات العربية ، وقسمته إلى عدة مباحث :-

المبحث الأول : اللغة واللهجة .

المبحث الثاني : الوحدة اللغوية ، واللغة النموذجية .

المبحث الثالث : مقياس الفصاحة .

المبحث الرابع : ألقابها اللهجات العربية القديمة .

المبحث الخامس : ظواهر لهجية ، وشملت : الهمز والتسهيل ، والفك والإدغام ، والإمالة ومطل الحركة وغير ذلك .

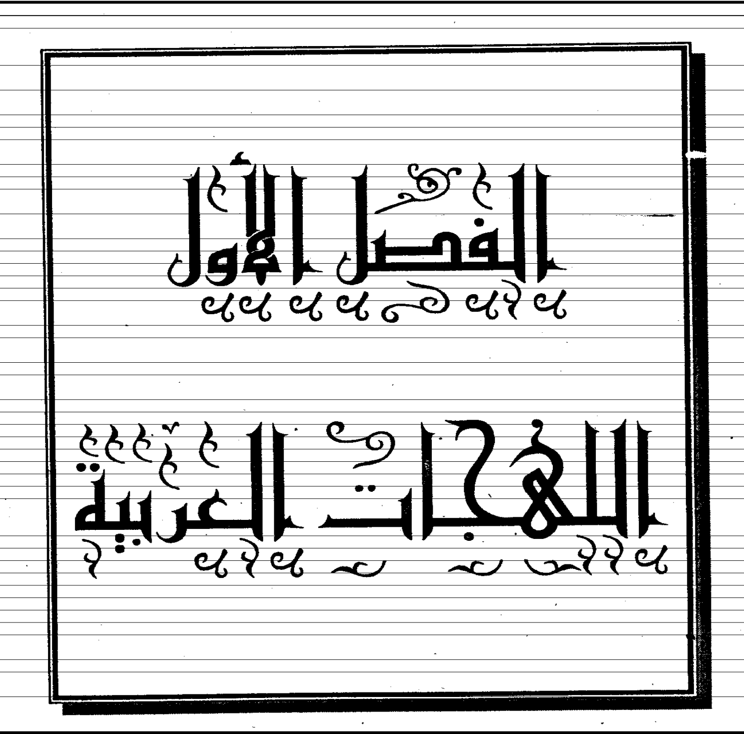
أما الفصل الثاني: القراءات القرآنية ، ويشتمل على عدة مباحث :

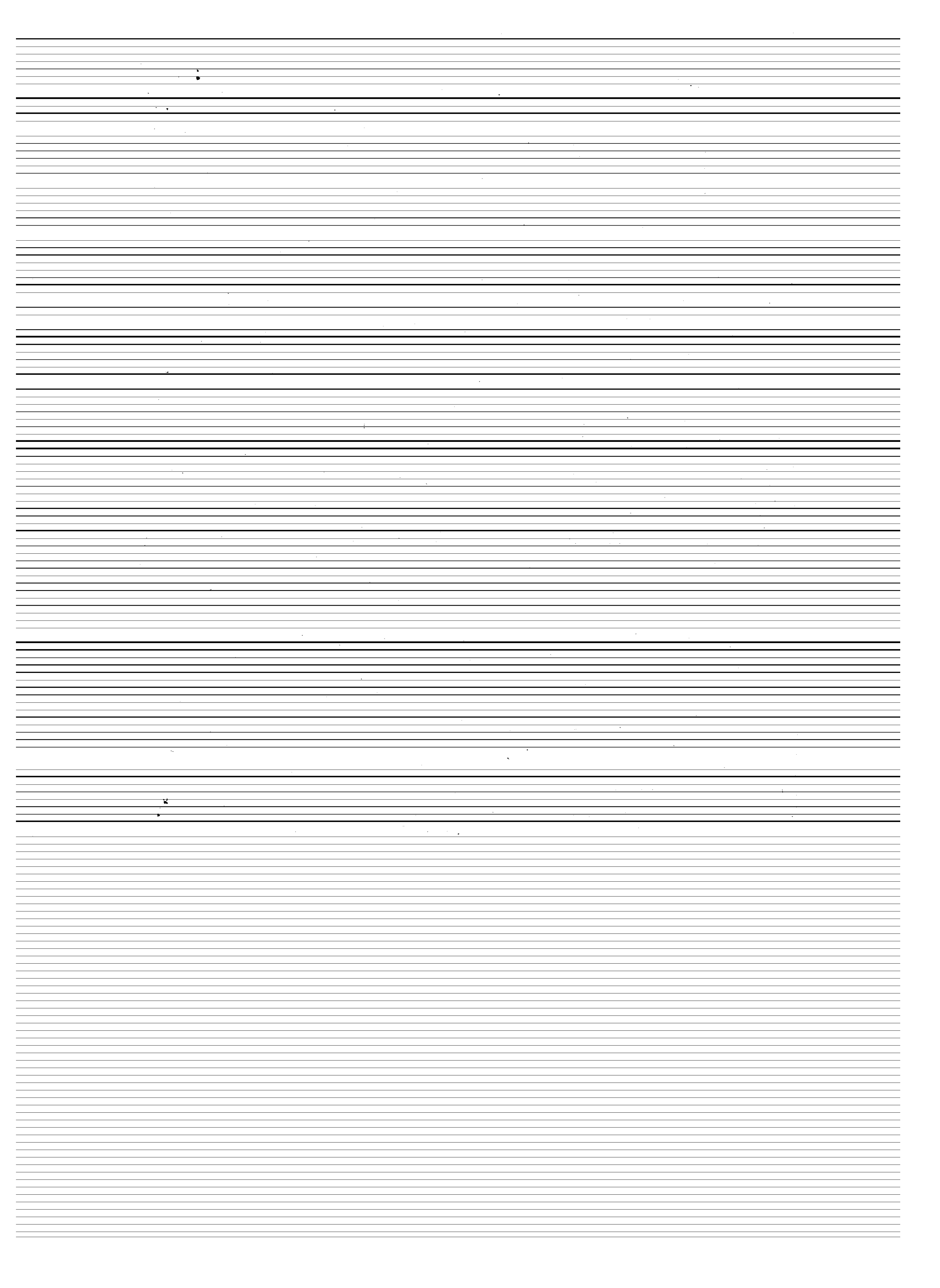
المبحث الأول : مدخل إلى علم القراءات .

المبحث الثاني : نزول القرآن على سبعة أحرف .

المبحث الثالث : الرسم العثماني وما أثير حوله من خلاف .

والله أسأل أن ينفعنا بما علمنا ، ويعلمنا ما ينفعنا ، ونسأله التوفيق والسداد وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين .


الفصل الأول
اللهجات العربية



المبحث الأول : اللغة واللهجة

قبل الحديث عن معنى اللهجة في اللغة والاصطلاح ، وكذلك عن اللغة ومعناها في المعجم والاصطلاح ، والعلاقة بين اللغة واللهجة ، وغير ذلك من الموضوعات التي نتناولها لمعرفة هذا العلم ، وما يتعلق به من موضوعات ضرورية ، لا بد أن يعرفها ويتعلمها القارئ . نود أن نورد في إيجاز تعريف علم اللهجات ، وموضوعه ، حتى يتهيأ للقارئ والمتعلم ، معرفة إشارات واضحة ، وعلامات تدل على هذا العلم وتعرف به ، فنقول بأن علم اللهجات :

هو العلم الذي يعني بقضية تفرع اللغة إلى لهجات ، وما يتعلق بذلك من تطور اللغة من ناحية ، واللهجة من ناحية أخرى ، ومن نوع العلاقة التي تقوم بين اللهجة واللغة باعتبار ، وبين اللهجة وأخوتها باعتبار آخر ، كما يعني هذا العلم أيضاً بدراسة لهجات اللغة الواحدة ، قديماً وحديثاً ، متبعاً في ذلك المناهج العلمية الحديثة ، رابطاً بين القديم والحديث ، كاشفاً عن تلك القوانين اللغوية التي توجد بينهما .

موضوع علم اللهجات :

من التعريف السابق يتضح لنا موضوع علم اللهجات ، وما يختص به من حيث توفره على دراسة تفرع اللغة وتطورها إلى لهجات – بكل ما يتعلق بتلك القضية من مظاهر وظواهر – يعد داخلاً في علم اللغة ، وفرعاً من فروعه [1] ومن حيث إن موضوعه يتجلى في دراسة اللهجات القديمة واللهجات الحديثة ، بغية الكشف عن أنظمتها ، وقوانينها ، وحياتها ، وتطورها ، وعلاقاتها ، فإنه يعد لذلك علماً مستقلاً [2].

---

(١) يدخل هذا اللون من الدراسة اللغوية في علم اللغة التاريخي . ذلك الذي يعني بالتغيرات اللغوية التي تصيب اللغة في عصورها ، ومراحلها التاريخية .

(٢) اللهجات العربية نشأتها وخصائصها د. عبد الله ربيع ، د. عبد العزيز علام ص ١١ .

اللهجة

معنى اللهجة في اللغة :

ورد معنى اللهجة في المعاجم العربية ومن ذلك ما جاء في لسان العرب :

" لَهِجَ بالأمرِ لَهَجاً، ولَهْوَجَ، وألْهَجَ كلاهما: أُولِعَ به واعْتادَه، وألْهَجْتُه به. ويقال: فلان مُلْهَجٌ بهذا الأمْر أي مُولَعٌ به؛ وأنشد:

رَأْساً بِتَهْضاضِ الرُّؤوسِ مُلْهَجا[1].

واللَّهَجُ بالشيء: الوُلوعُ به . واللَّهْجَةُ واللَّهَجَةُ : طَرَفُ اللِّسان. واللَّهْجةُ واللَّهَجةُ : جَرْسُ الكلامِ ،والفتحُ أعلى.ويقال:فلان فصيحُ اللَّهْجَةِ : اللسان ، وقد يُحَرَّكُ . وفي الحديث : ما من ذي لَهْجةٍ أصدَق من أبي ذَرٍّ . وفي حديث آخر: أَصْدَق لَهْجةً من أبي ذَرٍّ قال : اللَّهْجةُ اللسان ... وفي حديث آخر : أصدق لهجة من أبي ذر . والفَصِيلُ [2]يَلْهَجُ أُمَّه إذا تَناوَل ضَرْعها يَمْتَصُّه. ولَهِجَتِ الفِصالُ : أخَذَتْ في شُرب اللبن.ولَهِجَ الفَصيلُ بأُمِّه يَلْهَجُ إذا اعتادَ رَضاعَها، فهو فصيل لاهِجٌ" [3].

فاللهجة جاءت في المعاجم العربية بسكون الهاء فتقول : اللَّهْجة ، وجاءت بفتح الهاء فتقول : اللَّهَجة . هذا عند ضبطها .

---

(١) الهَضُّ ، والهَضَضُ : هو الكسر عامة ، هَضَّه ، يَهُضُّه هَضّاً : أي كسره ، ودقه فانْهَضَّ . والمعنى أنه مولع بكسر الرؤوس ودقها وذلك لشجاعته وعدم خوفه . لسان العرب ٧ / ٢٤٧ ، ٢٤٨ (هـ – ض – ض).

(٢) الفصيل : من أولاد الإبل ، فعيل بمعنى مفعول ، وأكثر ما يطلق في الإبل ... وقد يقال في البقر ... والجمع فُصْلان وفِصال لسان العرب ١١ /٥٢٢ (ف – ص – ل) .

(٣) لسان العرب ٢ / ٣٥٩ (ل – هـ – ج) .

أما عن معناها في اللغة فتعني : الولوع بالشيء ، أو طرف اللسان ، أو جَرْس الكلام ، أو اللسان .

واللهجة مشتقة من الفعل : لَهِجَ بمعنى امتص ، وكأن الفصيل حينما أراد الرضاعة لَهِجَ بضرع أُمّه فتناوله ، فامتصه ، ولما كان هذا الفعل يتكرر من الفصيل كثيراً ، فقد اعتاد على ذلك ، ولهذا قيل : لاهج .

معنى اللهجة في الاصطلاح :

بعد الوقوف على معنى اللهجة في اللغة الذي هو عام يشمل المعنى اللغوي وغيره ، فينبغي أن نقف أمام تعريف اللهجة في الاصطلاح ، فهي عبارة عن : " مجموعة من الصفات اللغوية ، تنتمي إلى بيئة خاصة ، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة .

وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات ، لكل منها خصائصها ، ولكنها تشترك جميعاً في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض ، وفهم ما قد يدور بينهم من حديث ، فهماً يتوقف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجات .

وتلك البيئة الشاملة التي تتألف من عدة لهجات ، هي التي اصطلح على تسميتها باللغة .

فالعلاقة بين اللغة واللهجة هي العلاقة بين العام والخاص .

فاللغة تشتمل عادة على عدة لهجات ، لكل منها ما يميزها ، وجميع هذه اللهجات تشترك في مجموعة من الصفات اللغوية ، والعادات الكلامية التي تؤلف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات [1].

---

(١) في اللهجات العربية . د . إبراهيم أنيس . صـ ١٦ .

ويمكن القول بأن اللهجة لغة لجماعة معينة ، اختلفت في بعض الصفات الكلامية من بعض البيئات الأخرى ، فصارت كل جماعة بهذه الصفات التي انفردت بها لها لهجه خاصة بها ، وإن كانت كل البيئات المجاورة تتحدث بلغة واحدة .

ومما يدعم هذا ويؤيده أن اللغة العربية كانت في القديم هي اللغة السائدة في شبه الجزيرة العربية بما اشتملت عليه الجزيرة العربية من قبائل عديدة مثل قريش ، وتميم ، وهذيل ، وأسد ، وقيس ، وطيئ ، وكلاب ، واليمن ، وسعد ، وكنانة ... وغيرهم ، ولكل قبيلة صفات كلامية خاصة بها تميزها عن غيرها من القبائل العربية ، على الرغم من تعدد بيئاتها ، وصفاتها الكلامية .

ويدلنا ذلك ما كان يحدث في الأسواق الأدبية المشهورة ، التي كانت تعقد للمنافسة في مجال الكلمة ، من شعر ونثر مثل سوق عكاظ ، والمجاز وذي المجنة وغيرها ، فهذه الأسواق كان الشاعر أو الأديب فيها يتحدث باللغة العربية النموذجية التي هي قاسم مشترك بين كل القبائل ، فكان الشاعر أو الأديب حينئذ يتخلى عن التحدث بلغته الخاصة أو الصفات الخاصة في لهجته التي تعودها ونشأ عليها .

وبذلك يتضح أن معنى اللهجة في اصطلاح اللغويين : تلك الصفات اللغوية الخاصة ، التي تميز بيئة معينة تشاركها بيئات أخرى في الحديث ، بنفس اللغة مع اختلافها في الصفات اللغوية عن أصحاب البيئة الأولى،وهذا المعنى الاصطلاحي للهجة لم يعرف إلا في العصر الحديث [1].

(١) دراسات في اللهجات العربية والقراءات القرآنية . د . فتحي الدابولي . ص ١٥ ، ١٦ .

مصطلح " اللهجة " عند القدماء :

سبق أن أشرت إلى أن مصطلح اللهجة في المعنى المعجمي يعني : الولوع بالشيء أو طرف اللسان ، أو جَرْس الكلام ، واللسان .

وأيضاً كان القدماء من علماء العربية يعبرون عما نسميه الآن باللهجة بكلمة " اللغة " حينا ، " وباللحن " حينا آخر . نرى هذا واضحاً جلياً في المعاجم القديمة [1].

وما يدل على صحة إطلاقه هذا التعبير ما جاء في لسان العرب : " يقال : فلان فصيح اللَّهْجَة ، واللَّهَجَة ، وهي لغته التي جُبِلَ عليها ، فاعتادها ونشأ عليها " [2] فأراد باللغة في التعبير السابق اللهجة .

ومن ذلك أيضاً ما جاء في كلمة " السَّقْر " بالسين والصاد ، يقال " السَّقْر " : من جوارح الطير ، معروف ، لغة في الصَّقر . والزَّقر : الصَّقْر مضارعة ، وذلك ؛ لأن كلباً تقلب السين مع القاف خاصة زاياً . ويقولون في " مسَّ سَقَر " : مس زقر [3].

ومنه أيضاً ما ذكره ابن منظور عن ابن السكيت قال : حضرني أعرابيان فصيحان من بني كلاب فقال أحدهما : لا أقول إنْفَحَة ، وقال الآخر : لا أقول إلا مِنْفَحة [4] ، ثم افترقا على أن يسألا عنهما أشياخ بني كلاب ، فاتفقت جماعة على قول ذا ، وجماعة على قول ذا ، فهما

---

(١) في اللهجات العربية . د. إبراهيم أنيس ص١٦ .

(٢) لسان العرب ٢ / ٣٥٩ (ل – هـ – ج) .

(٣) لسان العرب ٤ / ٣٧٢ (س – ق – ر) ، وينظر المزهر للسيوطي ١ / ٢٦٣ .

(٤) والإنفحة : بكسر الهمزة وفتح الفاء مخففة : كَرِش الحَمَل أو الجَدْي ما لم يأكل ...وكذلك المِنْفَحَة ، بكسر الميم . لسان العرب ٢ / ٦٢٤ (ن – ف – ح) .

لغتان [1] أراد فهما لهجتان ومن ذلك أيضاً : الساجد : المُنْحَنِيَ ، وفي لغة طيئ : المُنْتَصِب ... والعَيِّنُ : القِرْبَةُ التي تهيّأتْ مواضع منها للتَّثَقُّب من الإخلاق ، والعَيِّن في لغة طيئ : الجديد ... والمُقَوَّر في لغة الهلاليين : السّمين ، وفي لغة غيرهم : المهزول " [2].

" وكثيراً ما يشير أصحاب المعاجم إلى لغة تميم ولغة طيئ ولغة هذيل ، ولا يريدون بمثل هذا التعبير سوى ما نعنيه نحن الآن بكلمة " اللهجة " [3].

ومن ذلك أيضاً : زُحْلوقة بالقاف لغة أهل الحجاز ، وزحلوفة بالفاء لغة أهل نجد [4].

والتَّلْصِيص في البنيان لغة في التَّرصيص ، وأنْخَرعت كتفه لغة في أنْخَلعت ... وحِثَارة التبن لغة في الحُثَالة ، وسَدَرَتْ المرأة شعرها ، فانْسَدَرَ لغة في سَدَلَتْه فانسدل [5].

ومن ذلك أيضاً : قال رجل لعمر بن الخطاب (ﷺ) : يا أمير المؤمنين أيُضَحَّى بضبى ؟ قال : وما عليك لو قلت أيُضَحَّي بظبي ؟ قال : إنها لغة ، قال : انقطع العتاب ، ولا يضحي بشيء من الوحش [6].

---

(١) نفسه .

(٢) الأضداد لابن السكيت صـ ١٢٤ ، ١٢٥ .

(٣) في اللهجات العربية . د . إبراهيم أنيس صـ ١٧ .

(٤) المزهر ١ / ٥٥٤ ، والزحلوقة : القبر .

(٥) نفسه ١ / ٥٥٩ .

(٦) نفسه ١ / ٥٦٣ .

فهذه الأمثلة كلها تدل على أن القدماء كانوا يطلقون كلمة اللغة ويعبرون بها ، ويريدون اللهجة ، والأمثلة على ذلك كثيرة في كتب اللغة والمعاجم العربية القديمة ، وكتب اللهجات وغيرها .

وقد استعمل القدماء كلمة اللحن وأرادوا بها اللهجة أيضاً ،كما أطلقوا اللغة وأرادوا بها اللهجة .

ومن ذلك " لَحَن الرجل يَلْحَن لحناً : تكلم بلغته ... قال ابن الأعرابي : واللَّحَن – أيضاً – بالتحريك : اللغة .

وقد روى أن القرآن نزل بلحن قريش أي : بلغتهم .

وفي حديث عمر – رضي الله عنه – : تعلموا الفرائض والسنة واللَّحْن ، بالتحريك أي : اللغة ... وأما قول عمر – رضي الله عنه – : تعلموا اللُّحْن والفرائض فهو بتسكين الحاء ، وهو الخطأ في الكلام ... وقال الكلابيون : اللَّحْن : اللغة ، فالمعنى في قول عمر تعلموا اللَّحْن فيه ، يقول : تَعلموا كيف لغة العرب فيه الذين نزل القرآن بلغتهم ، قال أبو عدنان ، وأنشدتني الكَلْبيّة :

وقوم لهم لَحْنٌ سوى لحن قومنا
وشكلٌ ، وبيت الله ، لسنا نشاكِلُهُ

... واللحن الذي هو اللغة كقول عمر – رضي الله عنه – ، تعلموا الفرائض ، والسنن ، واللحن ، كما تَعَمُون القرآن ، يريد اللغة .

... وكقوله أيضاً : أُبَيّ أقرؤنا ، وإنا لنرغب عن كثير من لحنه ، أي من لغته .

... ومنه قول أبي ميسرة في قوله تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ ﴾ [1] قال : العَرِم : المُسَنَّاة [2] بلحن اليمن أي : بلغة اليمن .

ومنه قول أبي مَهْدِيّ : " ليس هذا من لحني ولا لحن قومي " [3] وأراد اللهجة ، وعليه يكون المعنى ليس هذا لهجتي ولا لهجة قومي ، أي لغته الخاصة به ، التي اعتادها ، ونشأ عليها .

ومن ذلك أيضاً : ما روي أن أبا ميسرة عمرو بن شُرَحْبيل (المتوفى ٦٣هـ) – أحد الصحابة المتأخرين -- استعمل هذا التعبير : لحن اليمن . ورأى كل من لحن : نطق بلغته الخاصة [4] أي لهجته .

واللهجة لها صفات تتميز بها ، وتلك الصفات تكاد وتنحصر في الأصوات وطبيعتها ، وكيفية صدورها ، فالذي يفرق بين لهجة وأخرى هو بعض الاختلاف الصوتي في غالب الأحيان .

فعلى سبيل المثال : يروى أن قبيلة تميم كانوا يقولون في " فُزْتُ " : " فُزْدُ " كما كانوا ينطقون بالهمزة عينا [5] كما يروى أن " الأجلح " وهو الأصلع ينطق بها " الأجله " عند بني سعد .

---

(١) سورة سبأ من الآية (١٦) والعَرِم : الشديد الذي لايطاق ، أو اسم واديٍ بعينه . معجم ألفاظ القرآن الكريم مجمع اللغة العربية ٢ / ٧٦١ .

(٢) قال عمرو بن شَرُحْبيل : العرم : المسناة ... وقال الهروي : المسناة : الضفيرة تبنى للسيل تردّه ، سميت مسناة ؛ لأن فيها مفاتح الماء ، وروى أن العَرِم سد بنته بالقيس صاحبة سليمان (ﷺ) ، وهو المسناة بلغة حمير . تفسير القرطبي ١٤ / ١٨٣ .

(٣) لسان العرب ١٣ / ٣٧٩ ، ٣٨١ (ل – ح – ن) .

(٤) العربية ليوهان فك ، ترجمة د . رمضان عبد التواب صـ ٢٤٧ .

(٥) قال ابن سيده وتبدل من همزة أن مفتوحة عيناً فتقول : علمت عَنَّك منطلق (لسان العرب ١٣ / ٣٤ (أ – ن – ن) وقولهم في " أنْ " " عَنْ " (لسان العرب ١٣ / ٢٩٥ (ع – ن – ن) .

وتتميز بيئة اللهجة بصفات صوتية خاصة تخالف كل المخالفة أو بعضها ، صفات اللهجات الأخرى في اللغة الواحدة . غير أن اللهجة قد تتميز أيضاً بقليل من صفات ترجع إلى بيئة الكلمة ونسجها ، أو معاني بعض الكلمات .

فيروى أن بني أسد كانوا يقولون في " سكرى " ، " سكرانه " وأن بعضاً من تميم كانوا يقولون " مديون " بدلاً من " مدين " .

كما تذكر المعاجم أن كلمة " الهِجرس " تعني القرد عند الحجازيين ، وتعني الثعلب عند تميم . ويجب أن تكون هذه الصفات الخاصة التي مرجعها بنية الكلمة ودلالتها ، من القلة بحيث لا تجعل اللهجة غريبة على أخواتها ، بعيدة عنها ، عسرة الفهم على أبناء اللهجات الأخرى في نفس اللغة ؛ لأنه متى كثرت هذه الصفات الخاصة ، بعدت باللهجة عن أخواتها ، فلا تلبث أن تستقل وتصبح لغة قائمة بذاتها [(١)] .

المعنى المعجمي للغة :

قال الكسائي : لَغَا في القول يَلْغَى ، بعضهم يقول يَلْغُو ولَغِيَ يَلْغَى ، لُغةً ولَغَا يَلْغُو لَغْواً : تكلم ، وفي الحديث : " من قال يوم الجمعة والإمام يخطب لصاحبه صَهْ فقد لَغَا " أي تكلم ... وفي الحديث : " من مس الحصى فقد لغا " أي تكلم .

واللُّغَة : فُعْلَة من لَغَوْتُ أي تكلمت ... قال أبو سعيد : إذا أردت أن تنتفع بالإعراب فاستلغم أي اسمع من لغاتهم من غير مسألة ... واللَّغْو : النُطق. يقال: هذه لُغَتهم التي يَلْغُون بها أي يَنْطِقُون. ولَغْوى الطيرِ :

---

(١) في اللهجات العربية . د . إبراهيم أنيس صـ ١٧ .

أصواتُها. والطيرُ تَلْغَى بأَصْواتِها أي تَنْغَم ... ولَغِيَ بالشيء يَلْغَى لَغاً : لهِجَ . ولَغِيَ بالشراب: أكثر منه ،... ولَغِيَ فلان بفلان يَلْغَى إذا أُولِعَ به [١] .

فالمعنى اللغوي لمادة " لغا " يراد به التكلم والتحدث ، والنطق ويراد به أيضاً لَهَجَ ، واللهج من معانيه كما سبق الولوع بالشيء ومادة لَغَا فيها أيضاً معنى الولوع بالشيء .

ويظهر أن العرب القدماء في العصور الجاهلية وصدر الإسلام ، لم يكونوا يعبرون عما نسميه نحن " باللغة " إلا بكلمة " اللسان " تلك الكلمة المشتركة في اللفظ والمعنى في معظم اللغات السامية ، شقيقات اللغة العربية ، وقد يستأنس لهذا الرأي بما جاء في القرآن الكريم من استعمال كلمة " اللسان " وحدها في اللغة في ثماني مرات [٢] .

ومن هذه قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ... ﴾ [٣] والمعنى وما جاء ، نبي ولا رسول قبلك يا محمد : إلا بلغة قومه ؛ ليبين لهم أمر دينهم ووحد اللسان وإن أضافه إلى القوم ؛ لأن المراد اللغة ، فهي اسم جنس يقع على القليل والكثير [٤] .

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴾ [٥] .

---

(١) لسان العرب ١٥ / ٢٥١ ، ٢٥٢ (ل – غ – و) .
(٢) في اللهجات العربية . د . إبراهيم أنيس صـ١٧ .
(٣) سورة إبراهيم من الآية (٤) .
(٤) تفسير القرطبي ٩ / ٢٢٣ .
(٥) سورة مريم الآية (٩٧) .

والمعنى فإني بيناه أي – القرآن الكريم – بلسانك العربي المبين ، وجعلناه سهلاً على من تدبره وتأمله .

وقيل : أنزلناه عليك بلسان العرب ليسهل عليهم فهمه [1] .

والأمثلة كثيرة على أن القرآن الكريم استعمل لفظ " اللسان " بمعنى اللغة ، ولعل أول ظهور لكلمة (اللغة) في الأدب العربي كان في القرن الثامن الهجري ، فقد كان أول ورودها على ما يعلم في شعر صفي الدين الحِلِيّ (المتوفى ٧٥٠هـ) أحد شعراء العصر التركي حيث يقول :

بقدرِ لُغاتِ المرءِ يكْثُرُ نَفعُهُ ... وتلك له عند الملِماتِ أعْوَانُ

فهافِتْ إلى حفظ اللغاتِ وفهمِها ... فكلُّ لسانٍ في الحقيقة إنسانُ

ولم ترد كلمة لغة في الأدب الجاهلي أو الإسلامي ، ولم ترد أيضاً في القرآن الكريم وإنما عبر عن مفهومها بكلمة لسان ، ولعلّ العرب الأولين كانوا يستعملون كلمة (اللسان) بدلاً من كلمة (اللغة) ، إلا أن المادة موجودة في القرآن الكريم مثل قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ ﴾ [2] .واللغو : النطق بغير صواب [3] .

وبناء على عدم ورود كلمة (لغة) في آداب العرب المتقدمين ، وفي القرآن الكريم استنتج بعض الباحثين المحدثين أنها دخيلة على العربية وأنها معربة عن كلمة Logs الإغريقية التي تعني كلمة أو فكرة .

---

(١) واللُّد : جمع الألد ، وهو الشديد الخصومة ، الذي لا يقبل الحق ويدعي الباطل ، تفسير القرطبي ١١ / ١٠٨ .

(٢) سورة القصص من الآية (٥٥) .

(٣) ملامح اللهجات العربية د . عبد المنعم عبد الله حسن ص١٠٩ .

ولكن ما يؤكد عربية هذه الكلمة وجود مادة (ل – غ – و) في الآداب العربية وفي القرآن الكريم ، وهي تعني الأصوات الإنسانية وغيرها ، وما يمكن أن يشبهها من معان مختلفة .

فكما تطلق على أصوات يمكن أن تطلق على أصوات الطيور ، والوحوش وغيرها من الكائنات الحية ، ويمكن أن تنسب أيضاً إلى كل ما يصدر عنه صوت أو له صلة بحدوثه ، ولو كان جماداً ، آلة أو نحوها ، وعلى هذا يقال : لغة المدافع ، ولغة الحروب ...الخ [1] .

وقد ورد لفظ (اللغا) بمعنى الهذيان وقول الباطل في قول رؤبة ونسبه ابن بري للعجاج :

وَرُبَّ أَسْرَابِ حَجِيجٍ كُظَّمِ عَنِ اللَّغا ورَفَثِ التَّكَلُّمِ [2] .

وورد اللغو بمعنى السقط الذي لا يعتّد به من الكلام في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ ... وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴾ [3] .

وورد أيضاً لفظ (لغا) في الحديث الشريف الذي ذكرته سابقاً بمعنى تكلم في قوله (ﷺ) : " من قال يوم الجمعة والإمام يخطب لصاحبه صَهْ فقد لَغَا " .

كما ورد في المعاجم العربية لَغَا يَلْغُوا ، إذا تحدث ، ولَغِيَ يَلْغَى ، إذا لَهِجَ مع تصرفات أخرى للمادة ونصوص كثيرة موثوق بها ، كل هذا وغيره يثبت عربية هذه الكلمة [4] .

وهذا عن تعريف اللغة في معناها اللغوي في المعاجم العربية .

---

(١) العربية خصائصها وسماتها . د . عبد الغفار هلال ص ١٢ .
(٢) لسان العرب ٢٥٠ (ل – غ – و) أسراب : جماعات . كظم : ساكتون . رفث : الفحش من القول.
(٣) سورة الفرقان من الآية (٧٣) .
(٤) المقتضب في لهجات العرب . د . محمد كريم ص ٤٩ ، ٥٠ .

المعنى الاصطلاحي للغة :

وقف علماء اللغة العربية أمام مصطلح اللغة وقفة تنبئ عن بعد نظرهم وفكرهم الثاقب في وظيفة اللغة في حياة الناس ، وأهميتها في التعبير عن مكنون صدورهم .

فقد عرفها العالم اللغوي ابن جني بأنها : " أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم " [١]. فالقوم ، خاص بالإنسان فقط ، والتعبير عن غرض يجعل اللغة – في رأيهم – مختصة ببعض الأصوات الإنسانية .

ولعل علماءنا القدماء قصدوا بهذا التخصيص الحديث عن اللغة التي تلبي حاجات الجماعة ، ويهتم بها المجتمع ؛ لأنها الوسيلة التي تعني بأغراض الناس وشئونهم في الحياة .

وهذا هو ما قصده علماء الاجتماع – في العصر الحديث – حين عرفوا اللغة بأنها : " نظام من رموز ، ملفوظة ، عرفية ، يتعامل ويتعاون بها أعضاء المجموعة الاجتماعية المعينة " [٢].

وعرفها بعض المحدثين على أساس عقلي أو نفسي فهي عندهم : استعمال رموز صوتية منظمة للتعبير عن الأفكار ، ونقلها من شخص إلى آخر .

وهذا التعريف اشتمل على بعض الجوانب وأهمل بعضاً منها ، فنلاحظ أنه أهمل استخدام اللغة في التعبير عن الشعور والعواطف ، واستخدامها للترفيه والتسلية وقصرها على التعبير عن الأفكار فقط ، وعرفها بعض المحدثين أيضاً بتعريفات عدة ، من زوايا عديدة [٣].

---

(١) الخصائص لابن جني ١ / ٣٣ .
(٢) العربية خصائصها وسماتها . د . عبد الغفار هلال ص ١٢ ، ١٣ .
(٣) العربية ولهجاتها . د . عبد الرحمن أيوب ص ٢٣ ، ٢٤ .

أما علماء المنطق والفلسفة كما يرى " جيفونز " فيقول : أن اللغة لها ثلاث وظائف أو أغراض هي :

(١) كونها وسيلة للتوسل والتفاهم .

(٢) كونها مساعداً آلياً للتفكير .

(٣) كونها أداة لتسجيل الأفكار ، وللرجوع إلى ما يسجل منها [١].

وهؤلاء أيضاً قصروا وظيفة اللغة على نقل الأفكار كالفريق السابق .

وبعد هذه التعريفات المختلفة للغة من وجهة نظر كل فريق نميل إلى أن تعريف ابن جني هو أدق التعريفات وأشملها ويعلل الدكتور / محمود فهمي حجازي لذلك يقول : " وهذا التعريف دقيق ، ويتفق في جوهره مع عناصر تعريف اللغة عند الباحثين المعاصرين ، فهو يؤكد من جانب الطبيعة الصوتية للرموز اللغوية ، ويبين أيضاً أن وظيفتها الاجتماعية هي التعبير ونقل الفكر في إطار البيئة اللغوية ، ويذكر كذلك أنها تؤدي وظيفتها في مجتمع بعينه فلكل قوم لغتهم " [٢].

هذا ، ومع أن العلماء المحدثين قد عرفوا اللغة بتعريفات مختلفة ، جمعت مختلف جوانبها إلا أن تعريف ابن جني – الذي يمثل القدماء – موجز ، ووافٍ ومفيد للغرض رأيه ، لذا آثرناه على غيره من التعريفات الأخرى ، وهذه أيضاً وجهة نظر بعض العلماء المحدثين المدققين [٣].

---

(١) ملامح اللهجات العربية . د . عبد المنعم عبد الله صـ ١٠ ، ١١ ، والمقتضب في لهجات العرب . د . محمد كريم صـ ٥٢ ، ودراسات في اللهجات العربية . د . فتحي الدابولي صـ ١٣ ، ١٤ .

(٢) اللغة العربية عبر القرون . د . محمود فهمي حجازي صـ ٤ .

(٣) اللهجات العربية . د . إبراهيم أبو سكين صـ ٩ ، بتصرف .

العلاقة بين اللغة واللهجة :

بين اللغة واللهجة علاقة الخاص بالعام فاللغة أعم من اللهجة ، فاللغة تشتمل على عدة لهجات لكل منها ما يميزها ، وجميع هذه اللهجات تشترك في مجموعة من الصفات اللغوية والعادات الكلامية التي تؤلف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات [1].

وبمعنى آخر يمكن القول بأن اللغة تضم عدة بيئات ، كما تضم وتشتمل على مجموعة من اللهجات ، واللهجة خاصة ببيئة معينة ، ومن مجموع اللهجات الخاصة تكون اللغة العامة المشتملة على تلك اللهجات .

واللغة واللهجة لا ينفصلان انفصالاً كاملاً ، وفي بعض الأحيان يصعب تتبع الخط الفاصل بين اللغة واللهجة ورسمه [2].

موقف القدماء من دراسة اللهجات :

يبدو أن اللغويين القدماء لم يعرضوا للهجات العربية القديمة في العصور المختلفة عرضاً مفصّلاً يقفنا على الخصائص التعبيرية ، والصوتية وغيرهما للهجاتهم ، والسبب في ذلك يرجع إلى أنهم شغلوا عن ذلك باللغة الأدبية الفصحى ، التي نزل بها القرآن ، وصيغت بها الآثار الأدبية في الجاهلية وصدر الإسلام .

وقد كان القدماء يفعلون ذلك ؛ لشعورهم بعدم توفرهم على دراسة هذا الموضوع دراسة دقيقة عميقة ، فكانوا يتخلصون من اختلاف اللهجات بالاعتراف بتساويها جميعاً في جواز الاحتجاج بها ، بعد الاكتفاء بإشارات عابرة مبثوثة في كتب الرواية واللغة إلى بعض تلك اللهجات .

---

(١) في اللهجات العربية . د . إبراهيم أنيس صـ ١٦ .

(٢) فصول في فقه العربية . د . رمضان عبد التواب صـ ٧٢ ، ٧٣ ، ودراسات في اللهجات العربية . د. فتحي الدابولي صـ ١٧ ، والمقتضب في لهجات العربية د . محمد كريم صـ ٥٧ .

فهذا ابن جني على عنايته بدقائق الدراسة اللغوية لا يتردد في كتابه الخصائص" أن يعقد فصلاً خاصاً سماه "اختلاف اللغات وكلها حجة"[١] وهو يقصد باللغات ، لهجات العربية المختلفة ، وينص على جواز الاحتجاج بها جميعاً ، ولو كانت خصائص بعضها أكثر شيوعاً من خصائص بعضها الآخر ... ومن يعترف بأن اللغات كلها حجة ، لا يتعذر عليه أن يتصور اجتماع لغتين فصاعداً في كلام الفصيح .

وعلى هذا الأساس من تساوي جميع اللهجات العربية في جواز الاحتجاج بها ، لم تكن ثمة بواعث قوية تحمل القدامى على العناية باللهجات عناية خاصة ، فوقعوا في كثير من التناقض حين استنبطوا قواعدها النحوية والصرفية في كل ما روى عن القبائل ، وأقحموا على الفصحى خصائص اللهجات المتباينة بوجوهها المتعددة [٢].

ويقول د . إبراهيم أنيس : " ولست أعرف بين علماء العربية على كثرتهم ، وكثرة ما كتبوه في كل فرع من فروع اللغة ، من عني باللهجات فأفرد لها مؤلفاً مستقلاً يجمع شتاتها ، ويشرح غامضها ، وإنما هي روايات متناثرة نجدها في بطون كتب الأدب واللغة والتاريخ "[٣].

ومما يبين موقف علمائنا القدامى من اللهجات القديمة د/عبد الرحمن أيوب الذي يرى أن اللهجات العربية القديمة " لم تحظ بعض ما حظيت به الفصحى من تدوين ودراسة .

---

(١) الخصائص ٢ / ١٢ .

(٢) دراسات في فقه اللغة . د . صبحي صالح ص ٦٠ . ٦٤ .

(٣) في اللهجات العربية . د . إبراهيم أنيس ص ١٠ ، وعلم اللغة الاجتماعي د . كمال بشر ص ٨٤ ، وفصول في فقه العربية . د. رمضان عبد التواب ص ٧٣ .

وكل ما بين أيدينا منها إشارات عابرة نصادفها في كتب الحديث ، والتفسير ، واستطرادات يذكرها مؤلفو القواميس ، أو كتب النحو .

وبالرغم من أنه قد كان بين علماء النحو واللغة الأقدمين من يتكلم هذه اللهجات ، فإن واحداً منهم بم يعن عناية كافية بلهجته ، ولم يقدم لنا قاموساً بمفرداتها ، أو سجلاً بقواعدها .

وقد كان علماء النحو واللغة ينظرون إلى هذه اللهجات كما لو كانت أمراً مستقبحاً ينبغي تجنبه . ومن هنا لم يكن يهمهم كثيراً أن يتحروا الدقة في نسبة لفظ ما إلى قبيلة أو أخرى ، بل كان همهم أن يؤكدوا أنه ليس من العربية الفصحى .

وهذا بطبيعة الحال يضيف صعوبة كبرى في طريق الباحث في هذه اللهجات إذ يحرمه من الوسائل الضرورية لمعرفة خصائص كل منها .

على أنه قد وردت في بعض كتب اللغة إشارات تحمل طابعاً فنياً – أي أنها تتعرض لبعض القواعد النحوية ، أو الظواهر الصوتية – مثل الكشكشة والعنعنة ، ومثل ذو الطائية التي تستعمل اسم موصول . ومثل هذه الإشارات تفيد ولا شك الباحث الحديث .

ولعل من أهم من عنى باللهجات القديمة السيوطي في جامع الجوامع ، وابن مالك في التسهيل ، والاسطرابادي في شرح الكافية لابن الحاجب ، وشرح الألفية من أمثال ابن عقيل والأشموني " [1].

كما وردت موضوعات خاصة باللهجات في كتب الأقدمين كما جاء في خصائص ابن جني (ت ٣٩٢هـ) " باب الفصيح يجتمع في كلامه لغتان

---

(١) العربية ولهجاتها . د . عبد الرحمن أيوب ص ٣٤ .

فصاعداً " [١] باب في " تركب اللغات " [٢] وفي الصاحبي لابن فارس (ت ٣٩٥هـ) " باب انتهاء الخلاف في اللغات " [٣].

كما ألف القدماء نوعاً من الكتب أطلقوا عليها كتب اللغات منها :

كتاب اللغات ليونس بن حبيب (ت ١٨٣ هـ) .

كتاب اللغات للفراء (ت ٢٠٧ هـ) .

كتاب اللغات لأبي عبيدة (ت ٢١٠ هـ) .

كتاب اللغات للأصمعي (ت ٢١٣ هـ) .

كتاب اللغات لأبي زيد (ت ٢١٥ هـ) .

كتاب اللغات لابن دُريد (ت ٣٢١ هـ) .

كتاب السبب في حصر لغات العرب لحسين بن مهذب المصري (ت ٦٥٠ هـ) .

ونحن لا نعرف شيئاً عن هذه الكتب إذ لم يصلنا منها كتاب واحد لسوء الحظ ، لكننا نستطيع أن نتبين بعض طرائقها مما نقله بعض اللغويين .

كما ألفوا أيضاً في نوع أخص من ذلك وهو كتب اللغات في القرآن منها :

لغات القرآن للفراء .

لغات القرآن للأصمعي .

لغات القرآن لأبي زيد .

---

(١) الخصائص ١ / ٣٧٠ : ٣٧٤ .

(٢) نفسه ١ / ٣٧٤ : ٣٩١ .

(٣) الصاحبي ص ٦٧ ، ٦٨ .

ولكن لم يصلنا من ذلك إلا كتاب اللغات في القرآن المنسوب لابن عباس [١] (ت ٦٨ هـ) ورسالة لأبي عبد القاسم بن سلام مطبوعة على هامش تفسير الجلالين [٢].

وعلى أية حال إن القدماء لم يصلنا منهم مؤلفاً مستقلاً في اللهجات يكشف لنا الغموض الذي تحتاجه الدراسة اللهجية [٣].

موقف المحدثين من دراسة اللهجات :

أما علماؤنا المحدثون فقد أخذت الدراسة اللغوية عندهم اهتمامات عديدة ، فأصبحت دراسة اللهجات " من أحدث الاتجاهات في البحوث اللغوية .

فلقد تمت هذه الدراسة بالجامعات الأوربية خلال القرنين التاسع عشر ، والعشرين حتى أصبحت عنصراً هاماً بين الدراسات اللغوية الحديثة . وأسست لها في بعض الجامعات الراقية فروع خاصة بدراستها تعني بشرحها ، وتحليل خصائصها ، وتسجيل نماذج منها تسجيلاً صوتياً يبقى على الزمن "[٤].

وقد اهتم العلماء المحدثون اهتماماً كبيراً بدراسة اللهجات العربية ، وأصبحت علماً ضمن العلوم التي تدرس ، ووضعت لدراستها المناهج العلمية الدقيقة .

---

(١) حققه د . صلاح الدين المنجد . طبعة بيروت – الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٨ م .

(٢) طبعة الحلبي ١٤٤٢ هـ .

(٣) اللهجات العربية في القراءات القرآنية . د . عبده الراجحي ص ٥٠ : ٥٢ ، واللهجات العربية في التراث د . أحمد علم الدين الجندي ١ / ١١٣ ، ١٣٥ ، وقارن بكتاب دراسات في اللهجات العربية . د . فتحي الدابولي ص ٣ ، ٤ .

(٤) في اللهجات العربية . د . إبراهيم أنيس ص ١٠ ، ١١ .

" وقد أولى مجمع اللغة العربية المصري دراسة اللهجات عناية كبرى منذ إنشائه فقد جاء في مرسوم إنشائه ضمن أغراضه : أن ينظم دراسة علمية للهجات العربية الحديثة بمصر وغيرها من البلاد العربية .

وانطلق المجمع على هذا الضوء يتابع جهوده في هذا المجال ، فعقد دراسة علمية في اللهجات ، ودرس اللهجات حديثها وقديمها ، ودعا إلى وضع الأطالس اللغوية ، وعرض للفصحى والعامية ، واللغات السامية ، وعني باللهجة المصرية ، فبين تاريخها والعوامل التي أثرت فيها ، وما سرى إليها من ألفاظ فارسية وتركية ، والصلة بينها وبين الفصحى .

وأشار بدراسة بعض اللهجات الإقليمية كلهجتي رشيد وأسوان ، وأحيلت له معاجم ليدلي برأيه فيها ، كمعجم الألفاظ العامية للدكتور / أحمد عيسى ، ومعجم الفصحى والعامية لسليمان محمد سليمان ، وعقدت دراسات طويلة حول موقف العامية من الفصحى .

وقد خصص المجمع للهجات لجنة خاصة ضمن لجانه العلمية تسمى " لجنة اللهجات " وتضم مجموعة كبيرة من علماء العربية وخبرائها الأفذاذ من مصر ، وخارج مصر ومهمة هذه اللجنة : البحث في دراسة علمية للهجات العربية الحديثة بمصر وغيرها من البلاد العربية .

ولم يزل عطاء المجمع في هذا المجال فياضاً ثرياً ، ومجلة المجمع ومحاضرة حافلة بالعديد من الدراسات اللهجية الدقيقة .

وشهدت الساحة العلمية حديثاً بحوثاً شتى ، ودراسات متعددة ، للهجات العربية ، ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

(١) في اللهجات العربية . د/ إبراهيم أنيس .

(٢) القراءات واللهجات . د / عبد الوهاب حموده .

(٣) اللهجات وأسلوب دراستها . أنيس فريحة .

(٤) العربية ولهجاتها . د / عبد الرحمن أيوب .

(٥) اللهجات العربية في القراءات القرآنية . د / عبده الراجحي .

(٦) لهجات العرب . أحمد تيمور باشا .

(٧) اللهجات العربية في التراث . د / أحمد علم الدين الجندي .

(٨) اللهجات العربية . د / إبراهيم نجا .

(٩) معالم اللهجات العربية . د / عبد الحميد محمد أبو سكين .

(١٠) اللهجات العربية والقراءات القرآنية .د/ إبراهيم محمد أبو سكين .

(١١) اللهجات العربية نشأتها وخصائصها . د / عبد الله ربيع ، ود / عبد العزيز علام .

(١٢) اللهجات العربية نشأة وتطوراً . د / عبد الغفار هلال .

(١٣) دراسة اللهجات العربية القديمة . د / داود سلوم .

(١٤) اللهجات العربية دراسة وصفية . تحليلية د / محمود عبد العزيز عبد الفتاح .

(١٥) اللهجات في اللسان العربي . د / عبد الحليم محمد عبد الحليم .

(١٦) دراسات في لهجات العرب د / الموافي الرفاعي البيلي .

(١٧) ملامح اللهجات العربية . د/ عبد المنعم عبد الله حسن .

(١٨) دراسات في اللهجات العربية والقراءات القرآنية . د / فتحي الدابولي .

(١٩) اللهجات في الكتاب لسيبويه أصواتاً وبنية .د / صالحة راشد غنيم .

(٢٠) المقتضب في لهجات العرب . د / محمد كريم .

وغير ذلك من البحوث الكثيرة ، والدراسات العديدة في هذا المجال ، فضلاً عن بحوث لهجية مبثوثة في كتب فقه اللغة للعلماء المحدثين منها على سبيل المثال :

(١) فقه اللغة .د / علي عبد الواحد عبد التواب .

(٢) علم اللغة . د / وافي .

(٣) فصول في فقه اللغة . د / رمضان عبد التواب .

(٤) بحوث ومقالات في اللغة . د / صبحي الصالح .

(٥) دراسات في فقه اللغة . د / صبحي الصالح .

(٦) في التطور اللغوي . د / عبد الصبور شاهين .

وغيرها كثير ، وأخرى منشورة في المجلات والدوريات أو مقالات .

وأيضاً مما يدل على عناية المحدثين بالدراسة اللهجية في العصر الحديث ، تلك الدراسات التي تقدم إلى الجامعات لنيل درجتي الماجستير والدكتوراه ، وما تحققه من نتائج جديدة تثرى الحركة العلمية في هذا الإطار ، وتمده بروافد جديدة معطاءة ، حيث يقوم بعض الباحثين بدراسة البدو في إقليم ساحل مريوط دراسة لغوية . د / عبد العزيز مطر . وغير ذلك كثير .

ولا يخفى الدور الكبير الذي يقوم بها الأساتذة المشرفون من توجيهات رائدة ، وإضافات سديدة ، ومعالم على طريق البحث العلمي يضعها هؤلاء من خلاصة تجاربهم الطويلة ، ويسدونها لأبنائهم في حب وتفان وإخلاص .

ولم يزل البحث في هذا الإطار سخيّ العطاء ، وفير النتائج [1].

فهـذه بعض الإشارات المختصرة لدراسة اللهجات العربية عند علمائنا القدامى والمحدثين .

أهميـة دراسة اللهجات :

لدراسة اللهجات العربية أهمية عظيمة بين سائر الدراسات اللغوية وترجع هذه الأهمية إلى ما يلي :

(١) البحث في اللهجات العربية الحديثة ، يتبين منه أنها ترجع في كثير من الحالات ، إلى اللهجات القديمة أكثر من رجوعها إلى اللغة الفصحى [2]

فالنطق الدارج في جمهورية مصر العربية مثلاً لكلمة (سكرى) هو (سكرانة) ، ويرجع إلى لهجة بني أسد .

والنطق لكلمة (مدين) هو (مديون) يرجع إلى لهجة تميم التي تتم اسم المفعول من الأجوف اليائي .

والنطق لكلمة (شَعير) وكلمة (رَغيف) بفتح الفاء هو (شِعير) ،(رِغيف) بكسر الفاء يرجع إلى لهجة تميم حيث يكسرون أول فعيل إذا كان ثانيه حرفاً من أحرف الحلق الستة .

والنطق للام الجر بالكسر نحو (المال لِك وله) يرجع إلى لهجة قضاعة .

---

(١) ملامح اللهجات العربية . د . عبد المنعم عبد الله ص ١٤ : ١٨.

(٢) فصول في فقه العربية . د . رمضان عبد التواب ص ٧٣ ، ٧٤ .

والنطق الدارج للضميرين (هو) ، (هي) ينطق في اللغة الدارجة (هوَّ) ، (وهيَّ) بتشديد الواو يرجع إلى لهجة هَمْدان وهكذا " [1].

(٢) تفيد دراسة اللهجات القديمة في الإجابة على السؤال الهام وهو : هل العربية الفصحى ، ولغة الشعر ، عبارة عن حصيلة لهجات عدة ، أم أنها لهجة قبيلة معينة ، سادت واتخذها الشعراء قالباً ، ينظمون فيه أشعارهم ؟

(٣) تفيد أيضاً دراسة اللهجات في معرفة مصادر القراءات القرآنية المختلفة التي رويت لنا بلا عزو إلى لهجة معينة [2].

(٤) " التوسع في دراسة سائر اللهجات العربية يزيد لغتنا ثروة ، ويمنحها قوة ، ويفسر كثيراً من خصائصها التي لم تنفرد بها لهجة ، بل أسهمت في تكوينها هذه اللهجات قاطبة "[3].

(٥) دراسة اللهجات العربية تعين الباحث اللغوي على تصور التطور اللغوي للعربية ، وتأصيل الدرس اللغوي .

لذا ينبغي للباحث اللغوي أن يدرس اللهجات القديمة من مصادرها المختلفة من القراءات القرآنية ، ومن الروايات المتناثرة في بطون كتب الأدب واللغة والتاريخ . ومن الآثار والنقوش في شبه الجزيرة العربية للوقوف على تصور التطور اللغوي فيها .

---

(١) اللهجات العربية والقراءات القرآنية . د . إبراهيم أبو سكين ص ٥ .
(٢) فصول في فقه العربية . د . رمضان عبد التواب ص ٧٣ ، ٧٤ .
(٣) دراسات في فقه اللغة . د. صبحي الصالح ص ١٠٤ .

(٦) دراسة اللهجات العربية تفسير كثيراً من خصائص العربية ، والتي أسهمت جميع اللهجات في تكوينها ، ولم تنفرد بها لهجة واحدة من اللهجات العربية .

(٧) دراسة اللهجات العربية تعيننا على معرفة مصادر القراءات القرآنية غير المنسوبة إلى لهجة معينة .

(٨) يمكننا عن طريق دراسة اللهجات الحديثة في الوطن العربي ، والوقوف على الانحرافات المختلفة في النطق والتحوير في الآداء ، وبذلك يسهل علينا توحيد اللهجات في لغة مشتركة واحدة والقضاء على اللهجات الإقليمية [1].

(٩) اللهجات تعد عاملاً من عوامل نمو اللغة ، فإذا كان بعض الظواهر اللهجية لا علاقة له بالمعنى الحقيقي لنمو اللغة ، مثل ظاهرة الفك والإدغام ، والفتح والإمالة ، والتفخيم والترقيق ، فإن هناك طائفه تعمل على ثراء العربية ونموها ، وزيادة تراكيبها ، ويندرج تحتها ما يسمى بالتصحيح والإعلال ، والاختلاف في الإعراب ، والتردد بين الإعراب والبناء ، والاختلاف في الزيادة والنقصان .

وطائفة تمثل العمود الفقري لنمو العربية واتساعها ، وزيادة مفرداتها ، ورحابة صدورها ، ويندرج تحتها ما يتصل بالقلب والإبدال ، والاشتراك والترادف .

(١٠) دراسة اللهجات تمدنا بمعرفة البيئة والأخلاق وطريقة التفكير ، والحياة الاجتماعية تقدماً وتؤخراً .

(١١) لا تستغني الدراسة اللغوية عن دراسة اللهجات ؛ لأن في درسها كسباً للفصحى نفسها ، فتوضح غامضها ، وتكمل ناقصها ، وتكشف عن

---

(١) اللهجات العربية والقراءات القرآنية . د . إبراهيم أبو سكين ص ٤ ، ٥ .

عوامل تطرف الفساد إليها ، وكم من ألفاظ واستعمالات عربية شائعة لا وجود لها في كتب اللغة ، ولم يبق محل للقول بأن المعاجم أحاطت باللغة إحاطة تامة ، واستوعبتها استيعاباً شاملاً [١].

(١٢) دراسة اللهجات العربية الحديثة تفيدنا في معرفة ما جدّ من مادة ، ومعرفة المصدر الذي دخلت منه إليها ، وذلك بعد أن أصبح لعلم اللغة الحديث مناهج في جمع المادة اللغوية ، وتحليلها على المستويات الصوتية ، والصرفية ، والنحوية ، والقاموسية ، وبعد أن أمدتنا المخترعات المختلفة التي تمدنا بوسائل حديثة ودقيقة للتسجيل والتحليل .

(١٣) اللهجات العربية الحديثة بمثابة المستودع الذي ترسب فيه ظواهر لغوية كثيرة ، انقرضت من الاستعمال الأدبي وقد يكون بعض هذه الظواهر باقياً من بعض اللهجات الجاهلية أو الإسلامية ، وقد يكون بعضها عربياً فصيحاً ندرا استعماله ، وقد نستطيع بواسطة هذه المادة المتخلفة في اللهجات الحديثة ودراستها ، يمكن أن نهتدي إلى أصل بعض مواد اللغة العربية ، أو نتعرف على الطريق الذي سلكته ظاهرة لغوية ما ، حتى تطورت واتخذت مظهراً آخر في العربية الفصحى .

وبهذا المعنى يمكن القول بأن الأبحاث اللغوية التاريخية تعتمد بصفة أساسية على اللهجات الحديثة [٢].

---

(١) مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً ، د / مدكور صـ ٤٧ نقلاً عن ملامح اللهجات العربية .
د . عبد المنعم عبد الله حسن صـ ٢٠ ، ٢١ .

(٢) العربية ولهجاتها . د . عبد الرحمن أيوب صـ ٣٥ .

الصعوبات التي تواجه دارس اللهجات العربية القديمة :

ترجع أهم الصعوبات إلى ما يلي :

(١) إهمال القدماء لأمر اللهجات وخاصة عندما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية خشية ظهور العصبية القبلية من جديد ، فتشتت جمعها ، ومن ثم انتشرت هذه اللهجات في بطون كتب اللغة والأدب والتاريخ مبتورة حيناً ، وممسوخة حيناً آخر .

ولم تفرد بمؤلف مستقل يجمع شتاتها ، ويلم شعثها ، ويقفنا على الخصائص التعبيرية والصوتية لهاتيك اللهجات .

(٢) اختلاف علماء اللغة في نسبة اللهجة إلى قبيلتها ، أو الاكتفاء بإطلاق اسم اللغة عليها دون نسبة ، وذلك راجع إلى سوء التحري للهجات العربية مقيدة بالبيئة أو الإقليم .

(٣) عدم وضوح الخصائص والسمات لبعض اللهجات العربية بسبب التصحيف والتحريف ، وطمس معالم بعض اللهجات التي دونت في كتب اللغة والأدب والتاريخ وغيرها .

(٤) عدم تمييزهم في بعض الأحيان بين مدلولي لفظ لغة ، الذي أطلقوه ليدل على لهجة قبيلة من القبائل في كثير من الأحيان ، كما أطلقوه ليدل على العيوب التي تتصل بالنطق ، (اللثغة) .

(٥) وصفهم اللهجات العربية غير القرشية بأوصاف مختلفة ، مثل لغة فصيحة ، أو قبيحة ، أو رديئة ، أو شاذة ، وغير ذلك .

(٦) اهتمام المسلمين بهذه اللغة ؛ لأنها لغة القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، وقد ذهب في هذه عناصر متعددة من هذه اللهجات المختلفة ، بعضها نجده في كتب القراءات كالمحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات لابن جني ، والنشر في القراءات العشر لابن الجزري وغيرهما ، وأقحموا على الفصحى خصائص ، وسمات اللهجات المختلفة ، حين استنبطوا قواعدهم النحوية والصرفية [1].

(٧) تظهر ملامح اللهجات العربية القديمة ، أوضح ما تظهر في الأداء والمشافهة ، وهذا ما يتعذر الوصول إليه الآن .

(٨) الصعوبة في تحقيق بعض الأسس العلمية الصحيحة في دراسة اللهجات ؛ لأن دراسة اللهجات الحديثة – وهي من أهم أسس دراسة اللهجات العربية القديمة – ليس بالأمر الهين [2].

---

(١) اللهجات العربية . د . إبراهيم أبو سكين صـ ٥ ، ٦ ، وقارن بفصول في فقه العربية . د . رمضان عبد التواب صـ ٧٤ ، ٧٥ ، والمقتضب في لهجات العرب . د . محمد كريم صـ ٤٦ ، ٤٧ ، واللهجات العربية في التراث . د . أحمد علم الدين صـ ١١٦ : ١١٨ .

(٢) ملامح اللهجات العربية . د . عبد المنعم حسن صـ ٢٧ .

أهم الأسس في دراسة اللهجات العربية القديمة :

لمعرفة اللهجات العربية القديمة لابد من معرفة الأسس التي تعين الدارس أو المتخصص في الوصول إلى هذه اللهجات ، والمصدر التي تستمد منه اللهجة وأهم هذه الأسس ما يلي : –

(١) دراسة اللهجات العربية دراسة مستفيضة في كل البيئات العربية .

وليس هذا الأمر سهلاً ؛ لأنه لا يقوم به فرد واحد ، وإنما هو عمل الهيئات والجماعات ؛ لأنه يتطلب السفر إلى تلك البيئات والإقامة فيها زمناً كافياً ؛ لتعرف خصائصها ، وما امتازت به .

فيوجد لهجات عديدة منها المصرية ، والعراقية ، والشامية ، والمغربية ، وغيرها ، وفي كل بيئة من هذه البيئات لهجات حديثة يتكلم بها الناس ، وهي تشترك في بعض الصفات ، ولكنها تختلف في أمور هامة تميز لهجة كل بيئة عن الأخرى ، حتى قراءتهم القرآن الكريم ، قد تلحظ بعض الفروق الصوتية التي تميز المصري من الشامي ، والشامي من العراقي وهكذا .

وقد احتفظت اللهجات الحديثة ببعض الآثار التي يمكن إرجاعها بسهولة إلى لهجات عربية قديمة ، وأحياناً يصعب هذا إلا بعد بحث ، ودراسة عميقة .

فمن الممكن أن ننسب إبدال الهمزة عيناً بين سكان البوادي المصرية إلى لهجة تميم .

ومن الممكن أيضاً أن نعزو كسر حر المضارعة ، وذلك الأمر الشائع في معظم اللهجات المصرية ، إلى قبائل مثل بهراء من قضاعة .

ومن الممكن أيضاً أن ننسب الصيغة العامية " مديون " إلى لهجة تميم ، وينسب التسهيل في الهمز والميل إليه أيضاً إلى القبائل الحجازية . وغير ذلك كثير .

(٢) دراسة القراءات القرآنية دراسة واسعة ، غير مكتفين فيها بما روى في بطون الكتب ، بل يجب أن تطبق تلك الروايات على ما نسمعه فعلاً من أفواه المجيدين للقراءات في البيئات العربية المختلفة ، مستخدمين في دراستنا الدرس الصوتي الحديث ، والمقاييس والآلات التي تستخدم في معامل علم الأصوات .

هذا بالإضافة إلى دراسة القراء ، وما روى عنهم ، والبيئات التي تأثروا بها أو نشأوا فيها ، وما اختلطوا به من قبائل عربية ، ثم نستخرج من هذه الدراسة ما مرجعه فن القراءات ، أو اجتهاد القدماء من القراء ، وما يمكن أن يعزى إلى لهجة قديمة أبيح القراءة بها ، أو ببعض خصائصها .

فقد احتفظت لنا القراءات القرآنية بعناصر هامة ، مرجعها اختلاف اللهجات العربية القديمة ، ولا بد من نسبها إلى قبائلها أو بيئاتها .

(٣) جمع الروايات المتناثرة في بطون اللغة والأدب ، مما يمت إلى اللهجات القديمة بصلة ، ثم تمحيصها ، وتحقيقها ، وإصلاح ما فسد منها في رواية مبتورة ، أو رواية ممسوخة ، سالكين طريقة تتبع السند التي عنى بها علماء الحديث لتمييز الحق من الباطل ، والصحيح من الزائف .

هذا بالإضافة إلى دراسة تاريخية مستفيضة لتنقلات القبائل قبل الإسلام وبعده ، وبيئاتها الاجتماعية في العصور المختلفة ، وما خالطت من أمم أو شعوب [1].

---

(١) في اللهجات العربية . د . إبراهيم أنيس ص ١٠ : ١٤ .

مصادر اللهجات العربية

أولاً : القرآن الكريم وقراءاته :

القرآن هو المعجزة الكبرى الخالدة على مر الزمن ، وهو الواحة التي يستظل بها الإنسان من حر الحياة اللافح ، والنسمة الرطبة التي تمسح عن الإنسانية كدح الأيام ، ووعثاء الدهور .

تكفل الله بحفظه ، وأورثه من اصطفاه من خليقته قال الله تعالى :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (١).

وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ... ﴾ (٢).

فالقرآن الكريم وقراءاته أوفى مصدر في دراسة اللهجات العربية القديمة ، بل هو الحقل الخصيب الذي ينطوي على تاريخ العربية ، وأصول منابعها الثرة ، وإذا طمعنا في كتابة تاريخ للغتنا عليه سمة علمية يجب أن نفتش عن قراءات القرآن الكريم أولاً (٣).

والقراءات القرآنية هي المرآة الصادقة التي تعكس الواقع اللغوي الذي كان سائداً في شبه الجزيرة قبل الإسلام .

وتعد القراءات القرآنية أيضاً آصل المصادر جميعاً في معرفة اللهجات العربية ؛ لأن منهج علم القراءات في طريقة نقلها يختلف عن كل الطرق التي نقلت بها المصادر الأخرى ، كالشعر ، والنثر ، بل يختلف عن طرق نقل الحديث .

---

(١) سورة الحجر الآية (٩) .
(٢) سورة فاطر من الآية (٣٢) .
(٣) اللهجات العربية في التراث . د . أحمد علم الدين ١ / ١٠٣ ، ١١٣ .

فكان رسول الله (ﷺ) يتلقى الوحي ، وكان يعرضه على جبريل ، وكان يقرأه على الصحابة ثم يقرؤنه عليه .

وقد سار أصحاب القراءات على هذا المنهج الدقيق في النقل بالسماع والتلقي والعرض [١].

والقراءات القرآنية قد أتت ممثلة للهجة قريش ، ولهجات قبائل عربية أخرى ؛ لأن قراء القرآن الكريم كانوا من جزيرة العرب التي اشتملت على هذه القبائل جميعاً .

وبذلك تتوطد الصلة بين القراءات واللهجات ، خاصة وأن بعض العلماء يفسر المراد " بسبعة أحرف " أي بسبع لهجات [٢] ، في الحديث الذي رواه ابن عباس (ﷺ) أن رسول الله (ﷺ) قال : " أقرأني جبريل على حرف فراجعته ، فلم أزل أستزيده ويزيدني ، حتى انتهى إلى سبعة أحرف " [٣].

وهذا الحديث مشهور في كتب القراءات والمصاحف والتفاسير ، كما ورد من طرق ، وبأوجه مختلفة ، ولكنها مع ذلك متفقة في الفكرة .

وعلى هذا فيمكن القول بأن الاختلاف في كثير من القراءات ، يرجع إلى لهجات العرب ، وعليه تكون القراءات القرآنية مصدراً هاماً ، وينبوعاً ثراً في تعريفنا بلهجات العرب ؛ لأن القرآن العظيم بلغتهم جميعاً نزل ، لا بلغة قبيلة دون قبيلة أخرى [٤].

---

(١) اللهجات العربية في القراءات القرآنية . د . عبده الراجحي ص ٨٤ .

(٢) دراسات في اللهجات العربية . د . فتحي الدابولي ص ٩ .

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٩ / ١٩ .

(٤) اللهجات العربية في التراث . د . أحمد علم الدين ١ /١٠٥ ، ١٠٦ .

ثانياً : كلام العرب ويشمل :

(١) الروايات الواردة في كتب العربية :

لا شك أن الروايات التي جاءت عن العرب وامتلأت بها كتب اللغة والنحو والأدب والتاريخ والسير ، تمدنا بروافد عديدة في موضوع اللهجات العربية .

وذلك أن العلماء عندما قرروا جمع اللغة ، أخذوها عن العرب الذين لم تفسدهم الحضارة . وهم عندما أرادوا جمع اللغة نظروا إلى اللغة العربية ككل ، فكانوا يجمعون من هذه القبيلة ومن تلك ، بدون أن يميزوا بين قبيلة وأخرى ، بل كانوا يجمعون حيثما اتفق ، فجاءت اللغة خليطاً من هنا وهناك ، خليطاً من اللغة الفصحى المنسجمة في خصائصها ، وخليطاً من اللهجات العربية ذات الصفات الخاصة بكل قبيلة عربية .

(٢) الأمثال قديمها وحديثها :

فالمثل صورة من حياة الشعب ، يعبر عن آماله ، وآلامه ، وأحواله الاجتماعية والاقتصادية واللغوية وغيرها ، فالأمثال دلالتها على اللهجات ، لا تقل عن الشعر بل تزيد ؛ لأن الشعر له نظامه وجرسه ، وحدوده ، أما المثل فينطق به الإنسان في سهولة ويسر ؛ لقربه من النفس ، وشدة إلفه بالحياة [1].

" وقال إبراهيم النظّام : يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام : إيجاز اللفظ ، وإصابة المعنى ، وحسن التشبيه ، وجودة الكناية . فهو نهاية البلاغة .

---

(١) اللهجات العربية في التراث د . أحمد علم الدين الجندي ١ / ١٢٣ ، ١٢٤ .

وقال ابن المقفع ، إذا جعل الكلام مثلاً ، كان أوضحَ للمنطق ، وآنقَ للسمع وأوسعَ لشعوب الحديث " [1].

ومن الأمثال القديمة التي تدل على بعض اللهجات . قولهم " أتى عليهم ذوأتى " فهذا المثل من كلام قبيلة طيئ ، و " ذو " في لغتهم تكون بمعنى " الذي " ، ويقولون : " نحن ذو فعلنا كذا " أي نحن الذين فعلنا كذا . و " هو ذو فعل كذا " و " هي ذو فعلت كذا " .

قال شاعرهم :

فإن الماءَ ماءُ أبي وجدّي   وبئري ذو حَفَرْتُ وذو طَوَيْتُ

ومعنى المثل : أتى عليهم الذي أتى على الخلق ، يعني : حوادثَ الدهر [2].

وإذا كانت الأمثال العربية القديمة مصدراً من مصادر اللهجات العربية ، فإن الأمثال العامية الحديثة تعتبر معيناً صافياً للهجات العربية القديمة أيضاً ؛ وذلك لأن العلاقة بين لهجاتنا الحديثة ، ولهجاتنا العربية القديمة قوية .

ومن الأمثال العامية التي تتردد على ألسنة الناس قولهم : " الدنيا ما تِغني عن الآخرهْ " فهذا مثل عامي ، يستنبط منه ظاهرة لهجية وهي ، إمالة ما قبل هاء التأنيث ، وقبيلة نجد كانت تميل ، وكذلك كان الكسائي يميل ما قبل هاء التأنيث ، وكذلك كان القارئ عاصم (ت ١٢٧ هـ) يميل ، والكسائي وعاصم كوفيان ، والكوفة نزلها رجال من قبيلة أسد وتميم ، وقد اشتهرتا بالإمالة.كما أن الإمالة كانت في تميم وأسد وقيس وعامة أهل نجد.

---

(١) مجمع الأمثال للميداني ١ / ٧، ٨ .

(٢) مجمع الأمثال ١ / ١١٨ .

والسبب في إمالة ما قبل هاء التأنيث ، يرجع إلى أن الألف يمال ما قبلها ، والهاء شبيهة بالألف ، فأميل ما قبل الهاء كذلك [١].

(٣) اللهجات العربية الحديثة :

إن دراسة اللهجات الحديثة تكشف لنا حقائق عن اللهجات القديمة ؛ ذلك أن كثيراً من العاميات في لهجاتنا الحديثة يتفق مع لهجات عربية قديمة .

ومن ذلك أن أهل الحجاز يقولون في اسم المفعول من قال ، وباع : مقول ، ومبيع .

أما أهل تميم فيقولون : مقول بالإعلال في الواوي، ويتمون في اليائي ، فيقولون مبيوع ، وعلى هذه اللهجة تقول في عاميتنا الآن : فلان مديون ، وهذا الشيء مبيوع ، ومعيوب .. الخ وغير ذلك .

فاللهجات الحديثة مصدر أصيل يساعد في معرفة اللهجات العربية القديمة .

(٤) من اللهجات ما يوجد في الآثار والنقوش [٢]، وإن كان ذلك قليلاً ومحدوداً بالنسبة لما سبق [٣].

---

(١) اللهجات العربية في التراث ١ / ١٢٦ ، ١٢٧ .

(٢) من هذه النقوش القديمة . النقوش الثمودية ، واللحيانية ، والصفوية . ومن أراد معرفتها ، فليرجع إلى فصول في فقه العربية د . رمضان عبد التواب صـ ٥٠ : ٦٣ .

(٣) دراسات في اللهجات العربية . د . فتحي الدابولي صـ ١١ ، ١٢ ومن أراد المزيد عن مصادر اللهجات فليرجع إلى اللهجات العربية في التراث . د . أحمد علم الدين الجندي ١ /١٠٣ : ١٣٤ .

الصفات الصوتية التي تفرق بين لهجات اللغة الواحدة :

يوجد صفات صوتية تؤدي إلى التمييز بين لهجة وأخرى وأهم هذه الصفات ما يلي :-

(١) الاختلاف في مخرج بعض الأصوات اللغوية كالجيم العربية ، والجيم القاهرية فالأولى من وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى ، والثانية من أقصى اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى [١].

ومثل قول تميم " الأثاثي " في " الأثافي " [٢] وتقول هذيل في " حتى " " عتى ".

(٢) الاختلاف في وضع أعضاء النطق مع بعض الأصوات . فنجد بعض القبائل تفخم الحرف في الوقت الذي يكون فيه مرققاً عند بعض القبائل الأخرى .

(٣) الاختلاف في مقاييس بعض أصوات اللين . والمراد من اللين عند المحدثين ، ألف المد ، وواو المد ، وياء المد ، حين تكون طويلة والفتحة والكسرة والضمة حين تكون قصيرة .

فالفرق واضح بين من يقرأ قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ﴾ [٣] بالفتح وبين من يقرأ (الهوى) بالإمالة ، وبين من يقرأ (أتى) بالفتح ، وبين من يقرأ (أتى) بالإمالة . وبين من يقرأ (نستعين) بفتح النون ، وبين من يقرأ (نِستعين) بكسر النون ، حرف المضارعة .

---

(١) اللهجات العربية نشأة وتطوراً . د . عبد الغفار هلال ص ٣٥ .

(٢) الأثْفِيَّة ، والإثْفِيَة : الحجر الذي توضع عليه القدر . وجمعها أثافيّ ، وأثاف . لسان العرب ٩ / ٣ (أ - ث - ف).

(٣) سورة النساء من الآية (١٣٥) .

والفرق واضح بين من قرأ : ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ... ﴾ [(١)] بفتح الضاد وبين من قرأ (ضُعْف) [(٢)] بضم الضاد .

(٤) التباين في النغمة المصاحبة للكلام ، فكل إقليم ينطق بنغمة تخالف الإقليم الآخر ، فمثلاً عندنا في مصر نجد أن أبناء الوجه "قبلي ينطقون اللفظ بنغمة خاصة تناسب البيئة التي شبوا عليها ، ونموا فيها ، وتباين نغمة سكان القاهرة مثلاً ، أي أن طريق آداء كل بيئة تختلف عن غيرها وإن تشابهت في بعض الأشياء .

(٥) الاختلاف في قوانين التفاعل بين الأصوات المتجاورة ، حين تتأثر ببعضها ، فالفعل المضعف في حالة الجزم ، أو سكون اللام ، فالحجازيون يفضلون فيه الإظهار ، فيقولون لم تَرْدُد ،وارْدُد . أما تميم فتدغم ذلك فتقول لم تَردّ ، ورُدّ .

وكقلب الواو تاء في حالة وقوعها فاء لافتعل . فجمهرة العرب تقول : اتصل ، والحجازيون يتركون الواو متأثرة بالحركات السابقة عليها . فتقلب إلى حروف مجانسة لتلك الحركات،فيقولون ايتصل .

وكقلب التاء في " افتعل " دالاً ، إذا كانت الفاء زاياً نحو : ازدجر في ازتجر من الزجر .

وقد قلبت تاء " افتعل " مع الجيم دالاً في بعض اللغات قالوا " اجدمعوا في " اجتمعوا " .

---

(١) سورة الروم من الآية (٥٤) .

(٢) ومعنى " من ضَعْف " من نطفة ضعيفة ، أو في حال ضعف ، وقيل الضَعْف في الرأي والعقل ، والضُعْفُ في الجسد (تفسير القرطبي ١٤ /٣٢ ، ولسان العرب ٩ / ٢٠٣ (ض – ع – ف) .

وكل لغة لها قوانين تفاعل بين أصواتها إذا تجاوزت فيقول فندريس عن الفرنسية : " ولكنا نجد فروقاً ذات بال ، بين قرية وأخرى ، حتى ليمكننا أن نميز لهجة كل قرية منها بوصف مخالف لغيرها من حيث الصوتيات ، ومن حيث النحو ، ومن حيث المفردات ، ومن النادر جداً ألا تمتد إلى حد ما خصائص إحدى هذه القرى إلى القرى المجاورة "[(١)].

" واللهجة إذا اتسمت بخصائص بارزة بحيث توافر لها ما يجعلها تستغني عن أصلها ، وتفي بحاجة الجماعة التي تتحدث بها أمكن أن تسمى لغة ، وذلك حين تنضج قواعدها ، ونظمها الصوتية ، والصرفية ، والتركيبية ، بحيث تجتمع لها عناصر الإفادة الكاملة ، والتعبير السليم كاللهجات العربية في مصر ، والمملكة العربية السعودية ، والعراق ، وسوريا ، ولبنان وغيرها من سائر البلاد العربية ، إذ يطلق عليها اسم (لغات) باعتبار وفائها بحاجة مجتمعاتها ، وباعتبار صلتها باللغة العربية الأم ، وتعد كل منها لهجة ؛ لأنها لم تستغن عنها ، بل إنها استمدت – ولا تزال تستمد – منها مقومات حياتها الأصلية "[(٢)].

تلك هي أهم الصفات التي نلحظها عند الأداء للهجات اللغة الواحدة ، أو نلحظ بعضها فقط ؛ لأنه ليس من الضروري أن نجد كل هذه الفروق ممثلة في لهجات لغة من اللغات ، بل قد نجد بعضها فقط .

---

(١) اللغة لفندريس صـ ٣١٠ .

(٢) اللهجات العربية نشأةً وتطوراً . د . عبد الغفار هلال صـ ٣٦ .

وتتباعد اللهجات أو تتقارب بقدر شيوع تلك الصفات فيها ، فإذا قلّت تلك الفروق تقاربت اللهجات بعضها من بعض .

وإذ كثرت هذه الفروق تباعدت اللهجات بعضها من بعض ، وهكذا . وهذه الفروق من اللهجات لا يمكن وضع حد أدنى لها ، متى وجد ، وجدت اللهجة ، وامتازت عن لهجة أخرى ؛ لأن عملية النطق تختلف باختلاف أفراد الإقليم الواحد ، وأقد أثبتت التجارب الصوتية التي أجراها علماء الأصوات اللغوية أنه لا يكاد يوجد بعض الفروق الصوتية الدقيقة ، بل إن المرء نفسه يختلف نطقه بعض الاختلاف الدقيق في كل مرة يتكلم فيها .

لذا فإن العلماء يعتمدون - غالباً - في التفريق بين لهجات اللغة الواحدة على تلك الصفات اللهجية العامة التي تنطبق على جميع أفراد الإقليم المعين ، ويشتركون جميعاً في هذه الصفات ، وتلحظ عند آدائهم للألفاظ .

وليس هناك رابط يربط بين اللهجة الواحدة ككتلة متميزة وبين سعة بيئتها أو عدد سكانها . فقد تتكون لهجة مستقلة في بيئة جغرافية ضيقة قليلة السكان ، وهذا ما نلحظه في اللهجات العربية القديمة ، فقد تكونت هذه اللهجة في بيئات ضيقة منعزلة قليلة السكان ، وهذه الظاهرة تخالف الأطلس اللغوي للهجات الحديثة ، فقد اتسعت رقعتها ، وكثر المتكلمون بها وهذا يرجع إلى سهولة الاتصال في العصر الحاضر ، بين بيئات الشعب الواحد .

وإذا ما حدث أن خالفت قرية داخل نطاق لهجة معينة لهجة الإقليم الذي تقع فيه في ظاهرة معينة ، وتتفق مع باقي الإقليم في بقية الصفات والخصائص ، فإن هذه القرية تسمى بالجزيرة اللغوية ، ويهتم باحثو

اللهجات بمثل هذه الجزائر اللغوية اهتماماً كبيراً في دراسة اللهجات ؛ وذلك لمعرفة السر في احتفاظها بمثل هذا النطق المخالف لبقية الإقليم [1].

وبهذا عرفنا الصفات الصوتية التي تفرق بين اللهجات التي تشتمل عليها لغة واحدة .

عوامل استقلال اللهجة وتحولها إلى لغة :

نذكر بإيجاز العوامل التي تساعد على جعل اللهجة لغة ، وصيرورة اللهجة واستقلالها لتكون لغة قائمة بذاتها مشهورة لدى مجتمعها ، بل وسواه من المجتمعات الإنسانية التي تكون على صلة بأهلها ، وهذه العوامل يمكن لكل منها أن يقوم بهذا الدور في استقلال اللهجة على النحو السابق وهي :-

(١) عوامل سياسة (أو عسكرية) :

وذلك على سبيل المثال يوجد في اللهجات الروسية التشيكية والبلغارية التي أصبحت لغات رسمية معترفاً بها عندما استقلت هذه البلدان عن روسيا .

(٢) العوامل الدينية :

فالعربية الفصحى أخذت مكانتها ، وارتقت إلى مرتبة عالية ، ولغة سامية بفضل نزول القرآن الكريم بلغتها ، بعد أن كانت لهجة حجازية أو قرشية ، مثلها مثل أي لهجة قبل نزول القرآن الكريم ومبعث الرسول العربي الأمين .

---

(١) ينظر : اللهجات العربية . د . إبراهيم أبو سكين صـ ١٥ : ١٧ ، وفي اللهجات العربية . د . إبراهيم أنيس صـ ١٩ : ٢١ ، ودراسات في اللهجات العربية . د .فتحي الدابولي صـ ٢٨ : ٣٢ ، والمقتضب في لهجات العرب . د . محمد كريم صـ ٥٦ ، ٥٧ .

(٣) العوامل الأدبية :

ومثال ذلك لغة إيطاليا ، فهي اللهجة التي كتب بها أدباء وشعراء أمثال : دانتي ، وبترارك ، ولو كاتشيو ، وأصلها لهجة فلورنسا .

(٤) العوامل الاجتماعية الطبقية :

وهو ما كان للهجة باريس بعد القرن السابع عشر – أصبحت المثال الأدبي الرفيع الذي ينبغي لكل كاتب ناشئ أن يحتذيه .

وذلك ينطبق على اللغة العربية النموذجية ، التي كان أساسها لهجة قريش ، ثم استطاعت أن تتغلب على اللهجات الأخرى لتلك العوامل [١].

عوامل انشعاب اللغات إلى لهجات :

اللغة كانت في مبدأ أمرها واحدة ، ثم تعددت إلى لهجات ولغات – وظل هذا الحال هكذا إلى أن جاء الطوفان فأغرق جميع من في الأرض إلا نوح – عليه السلام – وأولاده الثلاثة : حام ، وسام ، ويافث . الذين تنسب إليهم الفصائل اللغوية الثلاث ، التي يتكلم بها البشر الآن .

واللغات في انتشارها وتوسعها تختلف اختلافاً واضحاً ، فمنها ما ينتشر بسرعة ، ويحتل مناطق واسعة من أرجاء العالم ، فيكثر المتكلمون بها وتتنوع هي الأخرى إلى لهجات ولغات .

والأمثلة على ذلك كثيرة ، ومنها ما حدث للغة العربية بعد ظهور الإسلام ، وتوسعها في الفتوحات الإسلامية .

---

(١) اللهجات العربية نشأة وتطوراً . د . عبد الغفار هلال صـ ٣٦ ، ٣٧ ، وينظر : دراسات في اللهجات العربية . د . فتحي الدابولي صـ ٢٠ : ٢٢ .

وكذلك ما حدث للغة اللاتينية في العصور القديمة والوسطى ومنها أيضاً ما حدث للإنجليزية أو الأسبانية ، والفرنسية والألمانية في العصور الحديثة .

وفيها ما ينتشر انتشاراً متوسطاً ، فيحافظ على مناطق دون توسع ومن ذلك الحبشية ، والفارسية [1].

وللهجات العربية أسباب وجود ، وانتشار من اللغة الأم وهي اللغة العربية ، وهذه اللغة العربية تفرق منها لهجات ، وتشعبت تشعباً أدى إلى تولدها وهذه .

وأهم العوامل التي تؤدى إلى تفرع اللغة إلى اللهجات ، أو بمعنى آخر تفرع اللهجة عن اللغة ؛ هي :-

١- " انتشار اللغة العربية في مناطق لم تكن عربية اللسان . فقد تغلبت اللغة العربية على اللغات اليمنية القديمة في معظم بلاد اليمن ، وعلى اللهجات الآرامية في معظم بلاد العراق والشام ، وعلى الألسنة القبطية والبربرية والكوشية في مصر وشمال أفريقيا وشرقها . ومن المقرر أن اللغة الغالبة ينالها كثير من التحريف في ألسنة المحدثين من الناطقين بها (المغلوبين لغويا) تحت تأثير لهجاتهم القديمة وأصواتها ومفرداتها وما درجوا عليه من عادات في النطق ... وهلم جرا .

وقد كان لهذا العامل أثر واضح في اختلاف لهجات هذه المناطق الجديدة بعضها عن بعض واختلافها عن اللسان العربي الأول . فقد تأثرت اللغة العربية في كل منطقة من هذه المناطق بلهجاتها القديمة ، وانحرفت في ألسنة أهلها انحرافا خاصا اقتضته عاداتهم الصوتية المتأصلة ومناهج

---

(١) دراسات في اللهجات العربية . د . فتحي الدابولي ص ٢٢ ، ٢٣ .

ألسنتهم الأولى ، وتأثرت ألسنة الجاليات العربية نفسها في كل منطقة من هذه المناطق بألسنة أهلها ، فنشأ من جراء ذلك في كل بلد من هذه البلاد لهجة عربية تختلف عن لهجة غيرها ، وتختلف عن اللغة العربية الأولى . فالعربية في الشام مثلا متأثرة بالألسنة الآرامية القديمة ، وفي المغرب باللهجات البربرية التي صرعتها العربية في هذه البلاد ... وهلم جرا .

٢- عوامل اجتماعية سياسية : كاستقلال البلاد العربية بعضها عن بعض ، وضعف السلطان المركزي الذي كان يجمعها ويوثق ما بينها من علاقات . فمن الواضح أن انفصام الوحدة السياسية يؤدي إلى انفصام في الوحدة الفكرية واللغوية .

٣- عوامل اجتماعية نفسية تتمثل فيما بين سكان هذه المناطق من فروق في النظم الاجتماعية والعرف والتقاليد و العادات ومبلغ الثقافة ومناحي التفكير والوجدان .. وما إلى ذلك . فمن الواضح أن الاختلاف في هذه الأمور يتردد صداه في أداة التعبير .

٤- عوامل جغرافية تتمثل فيما بين سكان هذه المناطق من فروق في الجو وطبيعة البلاد وبيئتها وشكلها وموقعها .. وما إلى ذلك ، وفيما يفصل كل منطقة منها عن غيرها من جبال وأنهار وبحيرات .. وهلم جرا . فلا يخفى أن هذه الفروق والفواصل الطبيعية تؤدي – عاجلا أو آجلا – إلى فروق وفواصل في اللغات .

٥- عوامل شعبية جنسية تتمثل فيما بين سكان هذه المناطق من فروق في الأجناس والفصائل الإنسانية التي ينتمون إليها والأصول التي انحدروا منها . فمن الواضح أن لهذه الفروق آثارا بليغة في تفرع اللغة الواحدة إلى لهجات ولغات .

٦- اختلاف أعضاء النطق باختلاف الشعوب . فمن المقرر أن هذه الأعضاء تختلف في بنيتها واستعدادها ومنهج تطورها ؛ تبعا لاختلاف الشعوب وتنوع الخواص الطبيعية المزود بها كل شعب والتي تنتقل بطريق الوراثة من السلف إلى الخلف . فلم يكن مناص إذن أن تختلف أصوات اللهجات العربية بعضها عن بعض باختلاف الشعوب التي انتشرت فيها ، وأن تتجه كل لهجة منها في تطورها من هذه الناحية إلى منهج يختلف عن منهج غيرها .

٧- التطور الطبيعي المطرد لأعضاء النطق . فمن المقرر أن أعضاء النطق في الإنسان في تطور طبيعي مطرد في بنيتها واستعدادها ومنهج أدائها لوظائفها . فحناجرنا وحبالنا الصوتية وألسنتنا وحلوقنا وسائر أعضاء نطقنا تختلف عما كانت عليه عند آبائنا الأولين ، إن لم تكن في بنيتها الطبيعية ، فعلى الأقل في استعداداتها ، بل إنها لتختلف في ذلك عما كانت عليه عند آبائنا الأقربين .

وغني عن البيان أن كل تطور يحدث في أعضاء النطق أو استعدادها يتبعه تطور في أصوات الكلمات ، فتنحرف هذه الأصوات عن الصورة التي كانت عليها إلى صورة أخرى أكثر منها ملاءمة مع الحالة التي انتهت إليها أعضاء النطق . فكان من المستحيل إذن أن تجمد ألفاظ اللغة العربية على حالتها الأولى في الأمم الناطقة بها ، ولم يكن مفر من أن ينالها كثير من التطور باختلاف العصور . ومن آثار هذا ما حدث في اللغة العربية بصدد أصوات الجيم والثاء والذال والظاء والقاف .

فقد أصبحت هذه الأصوات ثقيلة على اللسان في كثير من البلاد العربية ، وأصبح لفظها على الوجه الصحيح يتطلب تلقينا خاصا ومجهودا

إراديا وقيادة مقصودة لحركات المخارج . ولعدم ملاءمتها مع الحالة التي انتهت إليها أعضاء النطق في هذه البلاد أخذت تتحول منذ أمد بعيد إلى أصوات أخرى قريبة منها . فصوت الجيم الذي كانت ينطق به معطشا بعض التعطيش في العربية الفصحى قد تحول في معظم المناطق المصرية إلى جاف (جيم غير معطشة) ، وفي معظم المناطق السورية والمغربية إلى جيم معطشة كل التعطيش . والثاء قد تحولت إلى تاء في معظم المناطق المصرية وفي بلاد أخرى فيقال : (توب ، تلج ، تخين ، تعلب ، تعبان ، تقل ، تئيل ، تمن ؛ تمانية ؛ تور ؛ اتنين ؛ نتر ؛ جتة ، عتة ، عتر ... الخ ، بدلا من : ثوب ، ثلج ، ثخين ، ثعلب ؛ ثعبان ، ثقل ، ثقيل ، ثلث ، ثلاثة ، ثمن ؛ ثمانية ؛ ثور ؛ اثنان ؛ نثر ؛ جثه ؛ عثر ... الخ) . والدال قد تحولت في كثر من المناطق العربية إلى دال في معظم الكلمات ، فيقال : (داب ، دراع ، ديب ، ده ، دى ، دبل ، دبح ، دبان ، دأن ، أدان ، ودن ، دهب ، ديل .. الخ ، بدلا من : ذاب ، ذراع ، ذئب ، ذا ، ذى ، ذبل ، ذبح ، ذبان ، ذقن ، أذان ، أذن ، ذهب ، ذيل ... الخ) ، وإلى زاي في بعض الكلمات ، فيقال مثلا : (زنب ، زهن ، زكي ، رزالة .. الخ ، بدلا من : ذنب ، ذهن ، ذكي ، رذالة ... الخ) . والظاء قد تحولت إلى ضاد في معظم الكلمات ، فيقال مثلا : (ضلام ، ضفر ، ضل ، ضهر .. الخ ، بدلا من : ظلام ، ظفر ، ظل ، ظهر .. الخ) ، وإلى زاي مفخمة في بعض الكلمات (كما ينطق في عامية المصريين بكلمات : ظالم ، ظريف ، أظن ، حظ .. الخ) . والقاف قد تحولت إلى همزة في بعض اللهجات المصرية والسورية والجزائرية ، فيقال : (أط ، ألت ، أبل ، عأد ، نطأ .. الخ ، بدلا من : قط ، قلت ، قبل ، عقد ، نطق .. الخ) ، وإلى جاف) جيم غير معطشة) في معظم اللهجات

العامية في مصر وغيرها من البلاد العربية : فيقال : (جط ، جلت ، جبل ، عجد ، نطج ، .. الخ ، بدلا من : قط ، قلت ، قبل ، عقد ، نطق .. الخ) .

٨- الأخطاء السمعية وسقوط الأصوات الضعيفة : قد يحيط بالصوت بعض مؤثرات تعمل على ضعفه بالتدريج ، كوقوعه في آخر الكلمة ، وزيادته عن بنيتها ، وعدم توقف المعنى المقصود عليه ، فيتضاءل جرسه شيئا فشيئا حتى يصل في عصر ما إلى درجة لا يكاد يتبينه فيها السمع ، فحينئذ يكون عرضة للسقوط . وذلك أن معظم الصغار في هذا العصر لا يكادون يتبينونه في نطق الكبار ، فينطقون بالكلمات مجردة منه .

وقد كان لهذا العامل مع عوامل أخرى سيأتي ذكرها أثر كبير في سقوط علامات الإعراب بالحركات من جميع اللهجات العامية المنشعبة عن العربية . على حين أن الإعراب بالحروف ، لعدم تأثره بهذا العامل ، قد بقيت آثاره في اللهجات العامية : (أخوك ، أبوك ، المؤمنين ، الطيبين .. الخ) .

٩- موقع الصوت في الكلمة . وموقع الصوت في الكلمة يعرضه كذلك لكثير من صنوف التطور والانحراف :

(أ) وأكثر ما يكون ذلك في الأصوات الواقعة في أواخر الكلمات سواء أكانت هذه الأصوات أصوات مد أم أصواتا ساكنة .

أما أصوات المد فقد لوحظ أن وقوعها في آخر الكلمة يجعلها في الغالب عرضة للسقوط ، ويؤدي أحيانا إلى تحولها إلى أصوات أخرى . وقد كان لهذا العامل أثر كبير في سقوط أصوات المد القصيرة المسماة بالحركات (التي يرمز إليها في الرسم العربي بالفتحة والكسرة والضمة) التي تلحق أواخر الكلمات العربية . ففي جميع اللهجات العامية المنشعبة

عن العربية (عاميات مصر والعرق والشام وفلسطين والحجاز واليمن والمغرب ... الخ) انقرضت هذه الأصوات جميعها سواء في ذلك ما كان منها علامة إعراب وما كان منها حركة بناء . فينطق الآن في هذه اللهجات بجميع الكلمات مسكنة الأواخر (فيقال مثلا : رجعْ عمرْ للمدرسةْ بعد ما خفْ من عياه) بدلا من : رجعَ عمر إلى المدرسةِ بعد ما خفَّ من إعيائه) . ولعل هذا هو أكبر انقلاب حدث في اللغة العربية ، فقد أتي جميع الكلمات فانتقصها من أطرافها ، وجردها من العلامات الدالة على وظائفها في الجملة ، وقلب قواعدها القديمة رأسا على عقب .

ومن هذا القبيل كذلك ما حدث في اللغة العربية بصدد أصوات المد الطويلة (الألف والياء والواو) الواقعة في آخر الكلمات . فقد تضاءلت هذه الأصوات في عامية المصريين وغيرهم ، حتى كادت تنقرض تمام الانقراض ، سواء في ذلك ما كان منها داخلا في بنية الكلمة (رمى يرمى ... الخ) وما كان خارجا عنها (ضربوا ، ناموا .. الخ) ، فيقال مثلا في عامية المصريين : سام وعيسَ ومصطفَ أبُ حسين سافرُ يوم الخميس لجرجَ) بدلاً من : (سامي وعيسى ومصطفى أبو حسين سافروا يوم الخميس إلى جرجا) .

وما حدث في اللغة العربية تحت تأثير هذا العامل حدث مثله في كثير من اللغات الأخرى . فمعظم أصوات اللين المتطرفة في اللغة اللاتينية قد انقرض في اللغات المنشعبة عنها .

ووقوع الصوت الساكن (ونعني به ما يقابل صوت المد) في آخر الكلمة يجعله كذلك عرضة للتحول أو السقوط . فمن ذلك ما حدث في

اللغة العربية بصدد التنوين ونون الأفعال الخمسة والهمزة والهاء المتطرفتين .

فقد انقرضت هذه الأصوات في معظم اللهجات العامية المنشعبة عن العربية ، كما يظهر ذلك من الموازنة بين العبارات العربية المدونة في السطرين الأول والثاني ونظائرها في عامية المصريين المدونة في السطرين الثالث والرابع .

محمدٌ ولدٌ مطيعٌ ، الأولادُ يلعبون ، الهواءُ شديدٌ ، انتظرته ساعةً كاملةً .

ومن هذا القبيل كذلك حذف آخر الكلمة التي يوقف عليها في عامية كثير من المناطق المصرية ، كبعض مناطق بني سويف والشرقية ورشيد ، فيقال مثلا " أنت ياول " بدلا من : " أنت يا ولد " ، " فين أخوك محمود " بدلا من : " أين أخوك محمود " . " اديلُ خمسأرو " بدلا من : " أدله خمسة قروش " .

وما حدث في اللغة العربية بهذا الصدد حدث مثله في كثير من اللغات الأخرى . فمعظم الأصوات الساكنة المختتمة بها الكلمات اللاتينية قد انقرضت في النطق الفرنسي أو تحولت إلى أصوات ساكنة أخرى أضعف منها ، أو إلى أصوات لين .

(ب) ووقوع الصوت في وسط الكلمة يعرضه كذلك لكثير من صنوف التطور والانحراف .

فمن ذلك ما حدث في اللغة العربية بصدد الهمزة الساكنة الواقعة في وسط الثلاثي ، فقد تحولت إلى ألف لينة في عامية المصريين وغيرهم

(فيقال : راس ، فاس ، فال ، ضانى ... الخ ؛ بدلا من : رأس ، فأس ، فأل ؛ ضأن .. الخ) .

ومن هذا القبيل كذلك ما حدث بصدد الواو والياء الساكنتين في وسط الكلمة في مثل " عين " و " يوم " . فقد تحولتا في بعض المناطق المصرية وغيرها على صوتين من أصوات المد : فأولهما تحول إلى صوت يشبه صوت (è) في اللغة الفرنسية (عين ، خيل ، بين ، زينب .. الخ) ، وثانيهما تحول إلى صوت يشبه صوت (Ô) الفرنسي (يوم ، نوم فوز ، لوم .. الخ) .

ومن ذلك تحريك الحرف الساكن إذا وقع في وسط كلمة ثلاثية في كثير من لهجات البلاد العربية (عامية الشرقية ، وبعض عاميات الصعيد ، ولهجات القبائل العربية النازحة إلى مصر من الغرب ، ولهجة العراق ...الخ)، فيقال مثلا : اسِم ، رسِم مصِر ، جُرُن ن بدِر فجِل فحِل .. الخ) ، بدلا من : اسْم ، رسْم ، مصْر ، جرْن ، فجْل ، فحْل .. الخ .

وقد سجل الباحثون ظواهر كثيرة من هذا القبيل في اللغات الهندية الأوربية .

(حـ) ووقوع الصوت في أول الكلمة يجعله كذلك عرضة للانحراف . فمن ذلك ما حدث في بعض المفردات العربية المفتتحة بالهمزة ، إذ تحولت همزتها في بعض اللهجات العامية إلى فاء أو واو (" أذن " تحولت في عامية المصريين إلى " ودن " ، و " أين " تحولت في لهجتهم إلى " فين " ، وتحولت إلى " وين " في عامية القبائل العربية النازحة إلى مصر من الغرب وفي عامية العراق

والحجاز ، و " أدى " تحولت في بعض المواضع في عامية المصريين إلى " ودي " فيقال مثلا : " وداه المدرسة " أي أوصله إليها) [١] .

١٠ – تناوب الأصوات المتحدة النوع القريبة المخرج ، وحلول بعضها محل بعض . يتبين من ملاحظة ظواهر التطور في مختلف اللغات الإنسانية أن الأصوات المتحدة النوع ، القريبة المخرج ، تميل بطبعها إلى التناوب وحلول بعضها محل بعض . فكل صوت لين عرضة بطبعه لأن ينحرف إلى صوت لين آخر ن وكل صوت ساكن عرضة بطبعه لأن ينحرف إلى صوت ساكن متحد معه في مخرجه أو قريب منه . وقد كان لهذا القانون آثار ذات بال في انشعاب اللهجات العامية عن العربية وفي تطورها من ناحية الأصوات وقواعد الصرف ووزن الكلمات :

(أ) فقد حدث في هذه اللهجات تناوب واسع النطاق بين أصوات المد القصير التي يرمز إليها في الرسم العربي بالفتحة والكسرة والضمة . ويمثل هذا التناوب انقلابا من أهم الانقلابات التي اعتورت اللغة العربية . فقد كان من آثاره أن انحرفت أوزان الكلمات ، وانقلبت أشكالها رأسا على عقب ، حتى لا نكاد نجد في اللهجات العامية كلمة واحدة باقية على وزنها العربي القديم . فالفتحة قد استبدل بها الضمة أحيانا والكسرة في كثير من الأحوال (فبدلا من : يَعوم ، يَسجد ، يَسمع ، عَثَر ، خَلَص ، سَكَتَ ، كَبير ، ألكتاب ... الخ ، يقال في عامية المصريين : يُعوم ، يُسجد ، يِسمَع ، عِتِر ، أو عُتُر ، خِلِصْ أو خُلُص ، سِكِت أو سُكُت ، كِبير ، إلكتاب ... الخ) . والكسرة قد استبدل بها الضمة أحياناً والفتحة في كثير من الأحيان

(١) ليس هذا مقصوراً على اللهجات العامية ، بل يوجد نظير في اللهجات العربية . ففي لغة لأهل اليمن تبدل الهمزة واواً في مثل " أتيته " فيقال : واتيته على الأمر مواتاة ، وهي المشهورة على ألسنة الناس .

(فبدلا من : يلطِم ، يضرِب ، يسرِق ، عِند ... الخ ، يقال في عامية المصريين : يلطُم ، يضرَب ، يسرَأ ، عَند ... الخ) . والضمة قد استبدل بها الفتحة أحياناً والكسرة في معظم الحالات (فبدلا من : مُحمد ، ثُعبان ، أُنثى ، عُتة ، يقتُل ، يذُم ، ظُفر ... الخ يقال في عامية المصريين : مَحمد ، تِعبان ، إنتابة ، عِتّه ، يتِل ، يزِم ، ضِفر ... الخ) . وحدث كذلك تناسخ في أصوات المد الطويلة نفسها ، وخاصة في الألف اللينة إذ أميلت في لغات بعض القبائل العربية القديمة ، وتمال الآن في كثير من لهجات المغرب ولهجات القبائل العربية النازحة إلى مصر من الغرب وفي بعض اللهجات في الشرقية وغيرها .

وما حدث في اللغة العربية بهذا الصدد حدث مثله في اللغات الهندية الأوروبية .

(ب) وكثير من الأصوات الساكنة المتحدة النوع أو القريبة المخرج قد تناسخت كذلك في اللهجات العامية وحل بعضها محل بعض . فالسين مثلا قد تحولت إلى صاد في بعض المواطن (" ساخن " تحولت إلى " صاخن " في عامية الشرقية وغيرها و " سلطان " تحولت إلى " صلطان " في كثير من اللهجات المصرية) ، والصاد إلى سين في كثير من الألفاظ في عامية القاهرة وغيرها (فبدلا من : يصدق ، مصير .. الخ ، يقال : يسدأ . مسير .. الخ) ، والضاد إلى ظاء في عامية العراق والحجاز ونجد والمغرب وخاصة برقة وفي لهجات القبائل العربية النازحة إلى مصر من برقة [1] (فبدلا من : وضوء ، يضيع ، يضرب ، يضم ... الخ ، يقال وظوء ، يظيع ، يظرب ، يظم .. الخ) ، والعين إلى نون في بعض الكلمات في لهجة العراقيين

---

(١) نعني بها القبائل الحاضرة التي تسكن الفيوم ، وبني سويف ، والشرقية ، والبحيرة ... الخ ..

(فيقال مثلا " ينطى " بدلا من " يعطى ")[1] ، واللام إلى ميم في بعض الكلمات في عامية القاهرة (" امبارح " بدلا من " البارحة ") [2]، والميم إلى نون أحيانا في عامية المصريين (فيقال " فاطنة " بدلا من " فاطمة ") .. وهلم جرا .

وما حدث في اللغة العربية بهذا الصدد حدث مثله في اللغات الهندية الأوروبية .

١١ - يتغير مدلول الكلمات تبعا للحالات التي يكثر فيها استخدامها . فكثرة استخدام العام مثلا في بلد ما أو في عصر ما في بعض ما يدل عليه تزيل مع تقادم العهد عموم معناه وتقصر مدلوله على الحالات التي شاع فيها استعماله . وكثرة استخدام الخاص في معان عامة عن طريق التوسع تزيل مع تقادم العهد خصوص معناه وتكسبه العموم ، وكثرة استخدام الكلمة في معنى مجازى تؤدى غالبا إلى انقراض معناها الحقيقي وحلول هذا المعنى المجازى محله . واستخدام الكلمة في فن أو صناعة بمعنى خاص يجردها في هذا الفن أو في هذه الصناعة من معناها اللغوي ويقصرها على مدلولها الاصطلاحي .

والتطورات التي حدثت في اللهجات العامية تحت تأثير هذا العامل تناولت آلافا من المفردات العربية ، حتى أنه ليندر أن نجد مفردا عاميا مطابقا في مدلوله كل المطابقة للمفرد العربي الذي انحدر منه .

١٢ - يتغير مدلول الكلمة أحيانا تحت تأثير القواعد . فقد تذلل قواعد اللغة نفسها السبيل إلى انحراف معنى الكلمة وتساعد على توجيهه

---

(١) تكاد تكون هذه الظاهرة مقصورة لديهم على العين المتبوعة بطاء ، وهذه كذلك لهجة هذيل .

(٢) هذه كذلك لهجة حمير ، وقد جاء بها الأثر " ليس من امبر امصيام في امسفر " .

وجهـة خاصـة . فـتذكير كلمـة " ولـد " مـثلا في العـربية (ولـد صغير) . قد جعل معناها يرتبط في الذهن بالمذكر ، ولذلك أخذ مدلولها يدنـو شيئا فشيئا مـن هـذا النـوع ، حتـى أصبحت لا تطلق في كـثير مـن اللهجات العامية إلا على الولد من نوع الذكور .

١٣- قـد يـتغير مدلـول الكلمـة في انـتقالها مـن السـلف إلى الخلف . فكثيرا ما ينجم عن هذا الانتقال تطور في معاني المفردات . وذلك أن الجيل اللاحق لا يفهم جميع الكلمات على الوجه الذي يفهمها عليه الجيل السابق . ويساعد على هـذا الاختلاف كثرة استخدام بعض المفردات في غير ما وضعت له عن طريق التوسع والمجاز . فقد يكثر استخدام الكلمة في جيل ما في بعض ما تدل عليه ، أو في معنى مجازي تربطه بمعناها الأصلي بعض العلاقات ، فيعلق المعنى الخاص أو المجازي وحده بأذهان الصغار ، ويتحول بذلك مدلولها إلى هذا المعنى الجديد .

١٤- تغيرت في اللهجات العامية مدلـولات كثير من الكلمات ، لأن الشـيء نفسه الـذي تـدل عليه قـد تغيرت طبيعته أو عناصره أو وظائفه أو الشئون الاجتماعية المتصلة به وما إلى ذلك . فكلمة " الريشة " مثلا كانت تطلق على آلة الكتابة أيام أن كانت تتخذ من ريش الطيور ، ولكن تغير الآن مدلـولها الأصـلي تـبعا لـتغير المـادة المتخذة منها آلـة الكـتابة ، فأصـبحت تطلـق علـى قطعـة مـن المعـدن مشـكلة في صـورة خاصـة . و " القطار " كان يطلق في الأصل على عدد من الإبل على نسق واحد تستخدم في السفر ، ولكـن تغير الآن مدلـوله الأصـلي تـبعا لـتطور وسـائل المواصلات ، فأصبح يطلق على مجموعة عربات تقطرها قاطرة بخارية . و " البريد " كان يطلق على الدابة التي تحمل عليها الرسائل ، ثم تغير الآن

مدلوله تبعا لتطور الطرق المستخدمة في إيصال الرسائل ، فأصبح يطلق على النظم والوسائل المتخذة لهذه الغاية في العصر الحاضر .

١٥ – انتقال كلمات جديدة إلى بعض اللهجات العامية من اللغات الأجنبية التي احتكت بها . فقد انتقل إلى كل بلد عربي اللسان كثير من كلمات اللغات التي أتيح له الاتصال بأهلها اتصالاً ثقافياً ، أو سياسياً ، أو اقتصاديا . فانتقل إلى لهجة العراق كثير من الكلمات التركية والفارسية والكردية والإنجليزية ، وإلى لهجات الشام كثير من الكلمات التركية والفرنسية ، وإلى لهجة مصر كثير من الكلمات التركية واليونانية والفرنسية والإيطالية ... وهلم جرا .

١٦ – انتقال أصوات جديدة إلى بعض اللهجات العامية من اللغات الأجنبية التي احتكت بها . فمن ذلك مثل صوت بين الشين والجيم المعطشة ينطق به في عامية العراق في مثل كلمة " عربنجي " (سائق العربة) : فمن المحتمل أن يكون هذا الصوت قد انتقل إليها من التركية .

١٧ – دخول قواعد جديدة في بعض اللهجات العامية للحاجة إليها في الكلام أو عن طريق احتكاكها باللغات الأخرى . فقد انتقل مثلا إلى المصرية والعراقية طريقة النسب التركية (بزيادة جيم وياء) في بعض الكلمات وبخاصة ما يدل منها على الحرفة (عربجي ، طرشجي ، جزمجي ...) ، وطريقة الإضافة في بعض الكلمات بتقديم المضاف إليه على المضاف (كتبخانة . أنتيكخانة .. الخ ز وانتقل إلى اللهجة العراقية طريقة النعت الفارسية التي يقدم فيها أحيانا النعت على المنعوت (فيقال " خوش ولد " خوش كلمة فارسية معناها حسن ، ومعنى الجملة ولد حسن أو ما أحسنه من ولد) ، وطريقة تنكير الاسم المفرد بذكر كلمة قبله تدل على الوحدة (" فرد رجل " ، " فرد مخالفة " .. الخ) . وانتقل إلى معظم

اللهجات العامية المنشعبة عن العربية ، طريقة الإضافة بتوسط كلمة تدل على الملك بين المضاف والمضاف إليه : ففي مصر تتوسط غالبا كلمة " بتاع " المحرفة عن متاع ، وفي تونس والجزائر " انتاع " أو " تاع " المحرفة كذلك عن متاع ، وفي سوريا ولبنان كلمة " تبع " (الكتاب تبعي) ، وفي المغرب الأقصى كلمة " ديال " ، وفي العراق كلمة " مال " للمذكر و " مالة " للمؤنث (فيقال " الكتاب مالي " ، " الكراسة مالتي " ، أي كتابي وكراستي) ، وفي نجد والحجاز والسودان كلمة " حق " للمذكر و " حقة " للمؤنث مع قلب القاف جيما ، فيقال : " الكتاب حجي " و " الكراسة حجتي " ، أي كتابي وكراستي . ودخل في معظم هذه اللهجات كذلك زمن جديد للمضارع للدلالة على الاستمرار . وقد اختلفت هذه اللهجات في الإشارة إلى هذا الزمن : فبعضها يشير إليه بباء في أول الفعل (" بيكتب " في بعض اللهجات المصرية) ، وبعضها يشير إليه بكاف قبل الفعل (" كيكتب " في لهجة المغرب) ، وبعضها يشير إليه بكلمة " عم " قبل الفعل (" عم يكتب " في كثير من اللهجات المصرية والعراقية) : أو بكلمة " راه " (" راه يكتب " في لهجة المغرب ؟ . وتستخدم هذه الأداة كذلك في مصر ولكن للدلالة على الاستقبال وتقلب هاؤها حاء ، فيقال : " راح يكتب ") .

ومن القواعد المستحدثة كذلك ما تسير عليه اللهجة المصرية وبعض اللهجات العربية في العصر الحاضر من تأخير اسم الإشارة على المشار إليه في بعض التراكيب (الولد دا = هذا الولد) ، وإضافة حرف شين للدلالة على النفي أو توكيده ((ما يرضاش = ما يرضى ، ما هوش كويس أو مش كويس = ما هو كيس أو طيب) ، وكثرة استعمال التصغير في الصفات بدون مقتض للتصغير ، ويجرى هذا غالبا في الأوصاف الدالة على القلة (صغيِّر ،

أريِّب ، أليِّل ، رفيِّع ، أصيِّر ... بدلا من : صغير ، قريب ، قليل ، رفيع ، قصير ...) .

١٨- انقراض بعض الكلمات لانقراض مدلولها أو قلة استخدامه ، فقد انقرض في اللهجات العامية كثير من الأسماء العربية الدالة على أمور بطل استعمالها ، ويصدق هذا على أسماء الملابس ، والأثاث ، وعدد الحرب ، ووسائل النقل ، وآلات الصناعة ، والمقاييس ، والنقود ، ومظاهر النشاط ، والنظم الاجتماعية ... التي كانت سائدة عند العرب في عصورهم الأولى ، ولكنها انقرضت ، أو لم يعد لها شأن في عصورنا الحديثة ، فانقرضت معها الكلمات الدالة عليها .

١٩- انقرضت بعض الكلمات لثقلها على اللسان أو عدم تلاؤمها مع الحالة التي انتهت إليها أعضاء النطق .. وما إلى ذلك . وإلى هذا العامل يرجع السبب في انقراض كثير من الكلمات العربية من لغات التخاطب العامية في العصر الحاضر .

٢٠- انقراض الكلمة لدقة مدلولها ، أو عدم الاحتياج إليه في لهجات المحادثة العادية ، أو قلة دورانه فيها ، أو وجود لفظ آخر مرادف لها . فلهجات المحادثة تقتصر في العادة على الضروري ، وتنفر من الكمالي ، وتنأى عن مظاهر الترف . وإلى هذا العامل يرجع السبب في انقراض آلاف من الكلمات العربية من لهجات المحادثة الحاضرة ، وفي تجرد هذه اللهجات من أهم خاصة تمتاز بها العربية ، وهي سعة الثروة في المفردات وكثرة المترادفات " [1].

---

(1) فقه اللغة د . علي عبد الواحد وافي صـ ١٣٣ وما بعدها ، وعلم اللغة د . وافي صـ ١٧٥ وما بعدها ، وقارن باللهجات العربية د . عبد الغفار هلال صـ ٤١ وما بعدها ، والمقتضب في لهجات العربي . د . محمد كريم صـ ٦٢ وما بعدها .

أسباب نشأة اللهجات :

متى انتشرت اللغة في مناطق واسعة من الأرض ، وتكلم بها جماعات كثيرة يعيشون في بيئة جغرافيا واسعة ، وفصل بين أجزائها وأرضيها فواصل جغرافية أو اجتماعية أو اشتبكت اللغة مع لغة أخرى ، أو لغات في صراع لغوي ، استحال عليها الاحتفاظ بوحدتها أمداً طويلاً .

بل تتفرع إلى لهجات ، وكل لهجة يكون لها خصائصها وصفاتها التي تمييزُها عن غيرها .[1]

واللهجات تنشأ عادة لأسباب أهمها :

(1) الأسباب الجغرافيا :

فإذا كان أصحاب اللغة الواحدة يعيشون في بيئة جغرافيا واسعة ، تختلف الطبيعة فيها من مكان لمكان ، كأن توجد جبال أو وديان تفصل بقعة عن أخرى ، بحيث ينشأ عن ذلك انعزال مجموعة من الناس عن مجموعة ، فإن ذلك يؤدي مع الزمن إلى وجود لهجة تختلف عن لهجة ثانية تنتمي إلى نفس اللغة . والذين يعيشون في بيئة زراعية مستقرة يتكلمون لهجة غير التي يتكلمها الذين يعيشون من بيئة صحراوية بادية [2] .

وبالنظر إلى اللغة العربية نجدها عندما تفرعت إلى لهجات ، وانتشرت القبائل في شبه الجزيرة العربية المترامية الأطراف بين سهول ، وأودية ، وجبال ، وهضاب ، وسواحل ، وصحاري ، وانفصلت كل بيئة عن الأخرى ، فأهل البوادي والتنقل الذين غلب عليهم الترحال يتكلمون لهجة غير التي يتكلمها الذين يعيشون في مناطق الحضارة والاستقرار .

---

(1) اللهجات العربية في القراءات القرآنية . د . إبراهيم أبو سكين صـ ٢٧ .

(2) اللهجات العربية في القراءات القرآنية . د . عبده الراجحي صـ ٣٧.

وكذلك فإننا نرى اختلافاً بين البيئات المختلفة في عصرنا الحاضر [١] .

وهذا ما نلحظه في طريقة النطق وتباين أدوات الكلام ، وهذا ، مرده إلى البيئة وأثرها ، ولعل الفرق واضح بين لهجة القاهري ، ولهجة الإقليمي عندما يتحدث كل منهما [٢] .

(٢) الأسباب الاجتماعية :

إن المجتمع الإنساني بطبقاته المختلفة يؤثر في وجود اللهجات ، فالطبقة الأرستقراطية مثلاً تتخذ لهجة غير لهجة الطبقة الوسطى ، أو الطبقة الدنيا من المجتمع ، ويلتحق بذلك أيضاً ما نلحظه من اختلافات لهجية بين الطبقات المهنية ؛ إذ تنشأ لهجات تجارية ، وأخرى صناعية ، وثالثة زراعية وهكذا [٣] .

وعن هذه الأسباب ينشأ ما يسميه فندريس بالعاميات الخاصة ، وهو يقرر أنه " يوجد من العاميات الخاصة بقدر ما يوجد من جماعات متخصصة ، والعامية الخاصة تتميز بتنوعها الذي لا يحدّ ؛ وأنها في تغير دائم تبعاً للظروف والأمكنة ، فكل جماعة خاصة وكل هيئة من أرباب المهن لها عاميتها الخاصة .

فهناك عامية التلاميذ الخاصة ... وهناك عامية الخياطات الخاصة ، وعامية الغسالات ، وعامية عمال المناجم ، وعامية التجاريين " [٤] .

وتنشأ لغات خاصة ببعض الفئات نتيجة العامل الاجتماعي ، وهذا ما نبه عليه أيضاً فندريس فيقول : " كما أن سكان الملايو عندهم لغة

---

(١) اللهجات العربية . د . إبراهيم أبو سكين ص ٢٧.
(٢) ملامح اللهجات العربية . د . عبد المنعم عبد الله حسن ص ٢٨ ، ٢٩ .
(٣) اللهجات العربية . د . عبده الراجحي ص ٣٨.
(٤) اللغة لفندريس ص ٣١٥ ، ٣١٦ .

الباحثين عن الذهب ، أو الباحثين عن الكافور ، فعندنا أيضاً تلك العامية المهنية الخاصة التي تستعمل في صناعاتنا على اختلافها وفي بريتانيا تنوولت لغة الخياطين بالدرس ، كما تنوولت في أيرلنده ، واسكتلنده لغة صانعي الصهاريج ، ولغة غيرهم من أبناء المهن الأخرى " [١] .

وهذا يعني أن كل فئة في المجتمع وكل طبقة لها لغتها أو مصطلحات خاصة بها ، تكاد تكون لا يفتحها إلا من عرف هذه المهن ، أو سمع هذه الكلمات ؛ ليفهم مدلولها ، ويعرف مضمونها ، حيث تدور على ألسنة الحرفيين والمهنيين والعمال بعض الألفاظ التي لا تكاد تسمع إلا منهم ، أو من يحاول محاكاتهم ، كما تسمع أيضاً من التجار والمشتغلين بالأسواق عبارات أطلقوها وأرادوا منها مدلولات معينة مثل : المشتغلين بالعملات والنقود وأهل الاقتصاد ، فيطلقون لغة (الأرنب) ويريدون به مليون جنيه ، ولفظ (باكوا) ويريدون به ألف جنيه . وكلمة (كبسه) التي اختلف المراد منها حسب كل طبقة ، وهي كلمة مولدة ، وتعني في لغة مدمني المخدرات (هجمة لرجال الشرطة) وتعني عند بعض النساء ؛ ما يصيب المرأة من عوائق الحمل ، وظناً بأن هذا صواب وهي من المفاهيم الخاطئة ، وغير ذلك من الألفاظ التي امتلأت بها ساحة الحياة في هذه الأيام ، مما يثبت نشأة اللهجات والعاميات من اختلاف الطبقات الاجتماعية [٢] .

---

(١) نفسه ص ٣٢٤ ، ٣٢٥ .

(٢) اللهجات العربية والقراءات القرآنية . د. إبراهيم أبو سكين ص ٢٨ ، وملامح اللهجات العربية . د . عبد المنعم عبد الله ص ٢٩ .

وهذه اللهجات الخاصة أو العاميات الخاصة أصبحت – من حيث المبدأ – لغات طبيعية كاللهجات تماماً ، ولكنها تقوم على مادة لغة مشتركة ، وتظل عادة تستمد منها غذاءها [1] .

(٣) احتكاك اللغات واختلاطها نتيجة غزو أو هجرات أو تجاور :

وهذا الاحتكاك أو الصداع يعد من أهم الأسباب التي تؤدي إلى نشأة اللهجات ؛ لأنه يعد أمراً طبيعياً .

وتطور اللغة المستمر في معزل من كل تأثير خارجي ، يعد أمراً مثالياً لا يكاد يتحقق في أية لغة . بل العكس من ذلك ؛ فإن الأثر الذي يقع على لغة ما من لغات مجاورة لها ، كثيراً ما يلعب دوراً هاماً في التطور اللغوي ؛ ذلك لأن احتكاك اللغات ضرورة تاريخية ، واحتكاك اللغات يؤدي حتماً إلى تداخلها " [2] .

والأمثلة على ذلك كثيرة ، والتاريخ فيه شواهد كثيرة تدل على أثر الصراع اللغوي .

فاللهجات العربية التي انتشرت في البلاد الإسلامية ، بعد الفتح الإسلامي دليل عليه [3] فقد غزا العرب جهات كثيرة ، واستطاعت اللغة العربية أن تصرع تلك اللغات في مهدها ، وأن تحل محلها .

فقد تغلبت على الآرامية في العراق والشام ، وعلى القبطية في مصر ، والبربرية في بلاد المغرب ، والفارسية في بعض بقاع مملكة فارس القديمة .

---

(١) اللغة لفندريس . صـ ٣٢٥ .

(٢) نفسه صـ ٣٤٨ .

(٣) اللهجات العربية في القراءات القرآنية . د . عبده الراجحي صـ ٣٨ .

كما يحدثنا التاريخ أن غزو الرومان لجهات كثيرة في أوربا ، جعل الرومانية تحل محل عدة لغات ، كان يتكلم بها في تلك الجهات .

وقد استعرض المحدثون من علماء اللغات الأمثلة التاريخية ، للصراع اللغوي فرأوها أنواعاً ، وقد رأوا أن نتيجة الصراع تختلف حسب كل نوع وظروفه (١) .

فالصراع بين الشعوب نتيجة غزو ينجم عن اتصال الشعوب ببعضها ، فالصلة التي بين الشعوب بعضها وبعض ، صورة لما يجري من العلاقات بين الأفراد . وقد يعتري هذه العلاقات فتور أو تدهور ؛ فيؤدي إلى قيام الحروب بين الدول ، بل قد يصل إلى الحروب بين الأمم ، وذلك لأسباب بينهم ، أو خلافات ، تراها كل أمة من وجهة نظرها أن حق لها .

فيحدث الصراع ، والأمم التي يكون لها الفوز والغلبة تحظى لغتها بالذيوع والانتشار والتأثير في لغة البلاد التي غلبت على أمرها (٢).

وفي أيام العرب ، وهي الحروب التي كانت تشنها قبائل العرب بعضها على بعض ، أو تشنها على الأجانب ، وكان يدفعهم إلى كثير منها نوع حياتهم ، وطلب مواقع الغيث والكلأ ، وطلب حاجتهم بحق ، وبغير حق ، وما كان بين القبائل من حزازات وتراث ، ويدفعهم إلى بعضها الذود عن الوطن ضد الأجنبي ، أو الوفاء بالعهود وحماية الجار ... وما إلى ذلك ، ومن اشهر هذه الأيام " حرب البسوس " بين بكر وتغلب ، وحرب " داحس والغبراء " بين عبس وذبيان ، وحرب " الفجار " بين قريش وحلفائها من كنانة ضد هوازن ،

---

(١) في اللهجات العربية . د. إبراهيم أنيس ص ٢٣ ، ٢٤ .

(٢) ملامح اللهجات العربية . د . عبد المنعم عبد الله ص ٣٢ .

ويوم " بعاث بين الأوس والخزرج ، ويوم " خزارى " بين نزار واليمن ، ويوم " حليمة " بين الغساسنة واللخميين ، ويوم " ذي قار " بين العرب والفرس [١].

أما الصراع اللغوي نتيجة هجرات طلبا للرزق ، وبحثاً عن سبل العيش ، فمثال ذلك ، هجرة قوم من الساميين إلى بلاد ما بين النهرين (العراق سنة ٣٦٠٠ ق . م) (بابل وآشور) وكانوا على أنقاض السومريين ، تلك المملكة التي عرفت فيما بعد بمملكة البابليين والأشوريين .

ولقد قضت اللغة السامية على لغة السومريين ، الذين كانوا يقطنون هذه البلاد ، إلا أنها تأثرت بالسومرية في المفردات ، والتوسع في أزمنة الفعل ، وإهمال بعض الحروف من الأبجدية السامية ، وتحريف الألفاظ ؛ نتيجة لنطق السكان الأصليين لها [٢].

ومثال حالة الجوار بين اللغات ، وتأثير بعضها في بعض اللغة الروسية واللغات المجاورة لها ، وبخاصة في ولايته الأسيوية ، فلقد طغت الروسية على غيرها من اللغات المجاورة ؛ وذلك نتيجة لتأثير النفوذ الروسي على حياة هذه الشعوب .

ومثال صراع اللغتين المتجاورتين ، واللغة العربية ، واللغة النوبية بعد تهجير النوبيين من أراضيهم إلى شمال أسوان ، وبمرور الزمن فإن الصراع اللغوي بين العربية في صعيد مصر واللغة النوبية ، سيؤدي إلى ظهور لهجات نتيجة هذا الصراع .

---

(١) فقه اللغة . د . عليّ عبد الواحد وافي صـ ١١٧ ، واللهجات العربية دراسة وصفية تحليلية . د . محمود عبد العزيز عبد الفتاح صـ ١١ .

(٢) في اللهجات العربية . د . إبراهيم أنيس صـ ٢٥ ، واللهجات العربية . د. إبراهيم أبو سكين صـ ٣١ ، وملامح اللهجات العربية . د . عبد المنعم عبد الله صـ ٣١ .

أما عن الاختلاط بغير العرب فيقتضي أن يتعرف كل فريق على لغة الفريق الآخر وبلاد العرب تجاور أمماً كثيرة من جميع جهاتها ، كالهند وفارس ، واحتاج العرب إلى الاتصال بهذه الأمم ، وعمل علاقات تجارية وسياسية ، وهذه العلاقات لابد فيها من الاتصال المباشر ، كما اختلطت القبائل العربية بالأعاجم بشكل واسع ، فلهجات القبائل التي كانت في بادية الشام ، أو العراق مثلاً كانت تجاور لغات كالآرامية والعبرية ، وأدى ذلك إلى ظواهر لهجية ، وكذلك سكان البراري الذين كانوا يجاورون الأمم الأخرى [١].

(٤) أسباب فردية (الاختلاف الفردي في الكلام ، والقياس الخاطئ) :

من المسلمات التي لابد فيها ، والحقائق الثابتة " أن اللغة واحدة آن واحد ؛ واحدة لدى كل الشعوب ، ولكنها متعددة بتعددّ جميع الأفراد الذين يتكلمونها " [٢].

وإذا كان الأمر كذلك فأيضاً من الأمور الحقيقية " أنه لا يتكلم شخصان بصورة واحدة لا تفترق ، واللغة محدودة بحدود الفرد عند العالم الصوتي ؛ لأنه لا يستطيع ملاحظتها إلا في خصائصها الفردية "[٣].

واختلاف الأفراد في النطق يؤدي مع مرور الزمن – إلى تطوير اللهجة أو إلى نشأة لهجات أخرى .

---

(١) اللهجات العربية . د . إبراهيم أبو سكين ص ٣١ : ٣٣ .
(٢) اللغة لفندريس ص ٢٩٥ .
(٣) نفسه ص ٢٩٥ ، ٢٩٦ .

بل إن سابير يذهب إلى " أن اللهجات تنشأ من الميل العام إلى الاختلاف الفردي في الكلام . ويمكن أن يلتحق بهذا أيضاً ما يسمى " بخطأ الأطفال " و " القياس الخاطئ " فنحن نلحظ مثلاً أن بعض الأطفال يقول : " أحمرة وأخضرة " في مؤنث " أحمر وأخضر " فإذا عاشت الأطفال بعيداً عمن يقوم لسانهم ، ويصلح خطأهم ، كأن يكون آباؤهم مشغولين في طلب الرزق أصبحت هذه الأخطاء بعد فترة من الزمن عادات لهجية ، اعتادوا عليها وتمسكوا بها ، ويحتمل أن تكون لهجة تميم في بناء اسم المفعول من الأجوف على مفعول ، فيقولون " مبيوع ، ومديون " قياساً على الفعل الصحيح بالإتمام [1].

واختلاف الإفراد في النطق يؤدي إلى نشأة اللهجة إلى جوار اللهجات الأخرى بعد مرور وقت من الزمن .

وهذه اللغة العربية فيما نعلم ، وفيما تؤكده طبيعة الأشياء لم تكن متوحدة توحداً كاملاً ، بل كانت لها لهجات كثيرة ، تختلف فيما بينها اختلافاً يكبر أو يصغر ، حسبما يكون بينها تقارب أو تباعد . لكن هذه اللهجات المختلفة لم تكن تمنع من وجود لغة مشتركة عامة ، يصطنعها أصحابها فيما يعن لهم من فن أو من جد القول " [2].

وقد ذكر ابن خالدون السبب في التغيرات التي طرأت على اللغة بعد مجيء الإسلام ، والتي أدت إلى أن تصبح للفصحى لهجات بقوله :

---

(١) اللهجات العربية في القراءات القرآنية . د . عبده الراجحي صـ ٣٩ ، واللهجات العربية، والقراءات القرآنية . د . إبراهيم أبو سكين صـ ٣١ ، ٣٢ .

(٢) اللهجات العربية . د . عبده الراجحي صـ ٤٠ .

" فلما جاء الإسلام ، وفارقوا الحجاز ؛ لطلب الملك الذي كان في أيدي الأمم والدول ، وخالطوا العجم تغيرت تلك الملكة (اللغة الفصحى) بما ألقي إليها السمع من المخالفات التي للمتعربين ، والسمع أبو الملكات اللسانية ، ففسدت بما ألقي إليها مما يغايرها ؛ لجنوحها إليه باعتياد السمع ، وخشي أهل العلوم منهم ، أن تفسد تلك الملكة رأساً ، ويطول العهد بها ، فينغلق القرآن ، والحديث على الفهوم ، فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك ، مطردة شبه الكليات ، والقواعد ، يقيسون عليها سائر أنواع الكلام " (1).

وبعد مجيء الإسلام ، واختلط العرب بغيرهم وفسدت بعض الألسنة لذلك الاختلاط ، لم يؤثر في كلام العرب ؛ لأنهم لم يخالطوا أهل المدن . وقد قاوم النحاة فساد اللغة ، ووضعوا النحو من أجل المحافظة على اللغة من التغير ، وطرد اللحن منها ، فقد كانت اللغة موضع عناية النحاة ؛ لأن الفصحى لغة العرب كلهم ، وإن تكلموا في معاملتهم اليومية لغة أخرى ، لا يهتم بها النحاة إلا لنقدها ولمعاتبة الناطقين بها .

ويرى أكثرية المستشرقين أن اللغة العربية المعاصرة ليس لها ناطقون أصليون ، فلا يتعلمها الأطفال إلا بعد سنوات كثيرة في الكتاتيب ، والمدارس ، وفي الغالب لا يتعلمها إلا القليل من الناس الذين يستعملونها في الكتابة ، وفي المجالات الرسمية ، وهذا يعني أن الفصحى ليس لها وجود إلا عند آداء الناطقين بها فقط ، وأنها لا تلعب أي دور في قدرة الناطقين على آدائها ، وبعبارة أخرى ، في ظنهم أن اللغة العربية الفصحى

---

(1) مقدمة ابن خلدون ص ٤٠٣ .

لغة مصطنعة ، فلا يعترفون بحكم الناطقين بها مثلما يعترفون بحكمهم فيما يتعلق باللهجة الدارجة .

وهذا الزعم غير صحيح ؛ لأن العربية الفصحى ذات وجود حقيقي ، فهي لا توجد في إنجاز الناطقين بها فحسب ، وإنما توجد في قدرتهم أيضاً ، إذ يمكنهم أن يختاروا في حديثهم بين مختلف مستويات النظام اللساني ، الذي يمتد من أعلى مستويات الفصحى إلى أدنى مستوى لهجي ، وهذا يشكل مستوى حديثه على امتداد هذا التسلسل اللغوي ، حسب موضوع الحديث ، أو شخصية المخاطب ، أو الظروف التي تفرض عليه أثناء حديثه ، وليس هذا الوضع اللغوي غير عادي ، فكل لغات العالم يوجد فيها ذلك التسلسل اللغوي ، وفي كل مكان تستعمل اللغة الدارجة ، أو اللهجات إلى جانب لغة معيارية كلاسيكية ، وتعبر عنه المنشورات اللسانية المعاصرة (بازدواجية اللغة) .

ويمكننا أن نقول أن كل الناطقين بالعربية ، وإن لم يمكنهم أن يذهبوا إلى المدرسة ، وأن يتعلموا الفصحى بطريقة منهاجيه ، فإنهم يظلون في رباط بلغتهم الأم ، فهي مسموعة لهم في المساجد ، والمذياع ، ومن أفواه الذين يستعملون اللغة الفصحى تباهياً ، وتفاخراً ، وتفاصحاً .

والتاريخ يعيد نفسه ، فاللغة الفصحى في صدر الإسلام ، عاشت إلى جوار اللهجات ، فقد عاشت اللغة العالية مقياساً ، ومعياراً ، ونموذجاً ، لكل الناطقين بالعربية ، ولم يحدث انفصام بين المستويات المختلفة لتلك اللغة ، وإنما سمي التسلسل اللغوي كله لغة واحدة ، فقد كانت اللغة كلاماً لا يتجزأ ، سواء تلك التي يتكلم بها البعض بصورة صحيحة ، أو تلك التي

يتكلم بها البعض في صورة منحوتة ، ولم يقل أحد أن اللغة الفصحى قد ماتت واندثرت ، وأن اللهجات وحدها هي اللغة الشعبية الحية ، وقد راعت كتب لحن العامة احتياج الناطقين بها إلى نموذج ومثال لغوي يحتذي ، فاعتزت بالفصحى ، ودافعت عنها ضد كل ما يهددها من لحن وإعجام ، وأشارت إلى حيوية الفصحى في المجتمع العربي الإسلامي في عصر الخلفاء .

وقد أظهرت الفصحى اختلافات إقليمية لهجية تجاوزت ما وصفه النحاة في كتبهم ، فقد ظل المجتمع العربي الإسلامي متفاعلاً مع اللغة الفصحى في شتى وجوه الحياة اليومية ، والعامة ، مما يدفعنا إلى القول ، بعد موت الفصحى ، فقد ظلت لغة حية ، ولغة توليد لغوي .

والدعوى الفاسدة المغرضة من المستشرقين التي تدعى فساد اللغة ، وموت الفصحى لها أصل قديم . فابن خالدون يذكر أن بعض النحاة في عصره رددوا مقولة تهاجم العربية الفصحى وهي قولهم : ولا تلتفتن إلى خرفشة النحاة ، أهل صناعة الإعراب القاصرة مداركهم عن التحقيق ؛ حيث يزعمون أن البلاغة لهذا العهد ذهبت ، وأن اللسان العربي فسد .

فالأمر في عصر ابن خلدون لا يعدوا أن يكون سعياً إلى إثبات (الثنائية اللغوية) فهناك لهجات نشأت إلى جوار الفصحى ، والفصحى مرعية ، واللسان العربي لم يفسد ، فما زال هذا اللسان يقبس من الفصحى في لهجاته ؛ فالفعل (شاف) (يشوف) الذي يستعمل في اللهجة الحديثة له أصل فصيح ، وقد اشتقوا منه (شوافة) للمرأة التي تكشف الطالع أو للنظارة التي يستعين بها القارئ ؛ لتصحيح عيوب الأبصار . وهكذا سائر الألفاظ التي

يستعملها العامة إذا تأملناها ، نرى أنها تضرب بسبب ولو من بعيد إلى فصحى العربية [1].

أدلة تعدد اللهجات :

هناك أدلة طبيعية وأخرى تاريخية مأثورة ، عن القبائل العربية ، تدل على تعدد اللهجات وأهم هذه الأدلة ما يأتي :

(١) تفرع قبائل العرب في شبة الجزيرة العربية ، فهو دليل طبيعي على تفرع اللهجات وما يطرأ عليها من أسباب خارجة عن اللغة ؛ لمخالطة العرب لغيرهم من الأعاجم .

• (٢) وصل إلينا عن العرب كلمات متحدة الأصوات إلا في صوت واحد ، قد طرأ عليه التغيير ، والمعنى واحد رغم الاختلاف في الصوت [2] مثل : حصب ، وحضب ، وحطب في قوله تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾ [3] .

قرأ ابن السَّمَيفع " حَصْب جهنم " ساكنة الصاد ، وقرأ ابن عباس " حضَبُ " بالضاد مفتوحة ، وقرأ كثير عزة : " حَضْب " ساكنة الضاد ، وقرأ علي بن أبي طالب ، وعائشة ، وابن الزبير ، وأبي بن كعب ، وعكرمة " حَطَب جهنم ، قال أبو الفتح : أما الحَضَبُ مفتوحة ، وكذلك بالصاد ، غير معجمة ، فكلاهما الحطب ففيه ثلاث لغات ، حَطَب ، وحَضَب ،

---

(١) اللهجات في اللسان العربي . د . عبد الحليم محمد عبد الحليم صـ ١٤ : ١٧ ، واللهجات العربية دراسة وصفية وتحليلية . د . محمود عبد العزيز عبد الفتاح صـ ١٢ ، ١٣ .

(٢) اللهجات العربية. د. إبراهيم أبو سكين صـ ٦٦، ٦٧ .

(٣) سورة الأنبياء الآية(٩٨) .

وحَصَبُ . وإنما يقال : حَصَبُ إذا ألقي في التنور ، وَالموقد ، فأما ما لم يستعمل فلا يقال له : حصب ، وقال أحمد بن يحيى : أصل الحَصْب ، الرمي ، حطباً كان أو غيره ، فهذا أنه المَرْميّ في النار ، فأما " الحَصْب " ساكنا بالصاد ، والضاد فالطرح .

فقراءة من قرأ " حَضْب جهنم " و " حَصْب جهنم " بإسكان الثاني منهما إنما هو على إيقاع المصدر موقع اسم المفعول . كالخلق في معني المخلوق ، والصيد في معنى المصيد [1] .

ومثل قولهم : أرقت الماء وهرقته ، فهو ماء مراق و مهران ، وحكى الفراء : أهرقت الماء فهو مهراق . ، ويقال : إياك أن تفعل ، وهياك أن تفعل [2] .

ومثل قول الجوهري في المستقبل من وَجَل : يَوْجَل ، وياجَل ، وييْجل ، وييِجل ، بكسر الياء على لغة بني أسد [3] .

وكذلك جذب ، وجبذ ، وأيس ، وينس [4] . فهذه أمور قاطعة الدلالة في تعدد اللهجات ؛ لأنه يستحيل أن تنطق قبيلة واحدة الكلمة على عدة أوضاع ، دون فائدة غير العبث الذي يبتعد عنه العرب الذين عرفوا بالحصانة والحكمة [5] .

---

(١) المحتسب ٢/٦٦، ٦٧ .

(٢) الإبدال لأبي الطيب اللغوي ٢/٥٦٩ .

(٣) لسان العرب ٧٢٢/١١ (و – ج – ل) .

(٤) اللهجات العربية د. إبراهيم أبو سكين صـ ٦٧ .

(٥) اللهجات العربية د. إبراهيم نجا صـ ٦٤، ٦٥ .

(٣) وجود المشترك اللفظي :

وهو دلالة اللفظ على عدة معان دلالة متساوية ، كالعين الموضوعة للباصرة [١] ، فإنها تطلق على عضو الإبصار للإنسان وغيره من المخلوقات ، وعلى العين الجارية التي ينبع منها الماء ويجري (أي يخرج منها حيث يكون) . وعلى الجاسوس الذي يكون عينا لشيء معين فيأتي بالأخبار ، وعلى ذات الشيء نفسه ، تقول جاء محمد عينه أو نفسه . وتطلق على النفيس من كل شيء مثل قولك : هذه القصيدة من عيون الشعر [٢] .

ومثل : العمّ : أخو الأب أو العم : الجمع الكثير ، قال الراجز :

يا عامر بن مالك يا عمّاً   أَفْنَيْتَ عمّاً وجَبَرت عمّاً .

فالعم الأول ، أراد به يا عماه ، والعم الثاني ، أراد به أفنيت قوماً وجبرت آخرين.

ومثل : النّوي : الدار ، والنّوي : النية ، والنوي : البعد .. الخ [٣] .

فوجود هذا النوع في الألفاظ العربية ، ذو دلالة قاطعة على تعدد اللهجات ؛ لأن الواضع يقصد إلى إيضاح المعنى والإفصاح عنه ، ولا شك أنه إذا تعددت المعاني للفظ الواحد يكون متجها نحو الخفاء ، ومبتعداً عن الإيضاح ، وهو ما ينأي عنه الواضع الحكيم .

ووجود هذا النوع يجعلنا نوقن بأن تعدد الوضع للفظ الواحد ينشأ من تعدد الوضعين ، وهو ما يؤدي إلى اختلاف اللهجات .

---

(١) نفسه ص ٦٣ .

(٢) اللهجات العربية د. إبراهيم أبو سكين ص ٦٧ .

(٣) المزهر ١/ ٣٧٠ .

(٤) وجود المتضاد :

وهو وضع اللفظ للمعنى وضده ، وقد استعمل العرب هذه الألفاظ في لغتهم ، وأطلقوا على الشيئين المتضادين اسما واحدا ليتسعوا في كلامهم ، ويتظرفوا فيه ، قال أبو الحسين أحمد بن فارس : من سنن العرب في الأسماء أن يسموا المتضادين باسم واحد : نحو الجون للأسود ، والجون للأبيض [1] .

ومثل أمر جلل أي جليل / عظيم ، وأمر جلل أي هين صغير يسير [2] .

فهذا كفيل بإثبات التعدد : لأنه يستحيل أن يكون واحدا لتنافي المعنيين ، وهو ما يؤدي إلى اختلاف اللهجات .

(٥) وجود المترادف :

وهو الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد كالسيف ، و المهند ، والحسام ، والصارم ، وكالإنسان والبشر ، وكالبر والقمح ، والحنطة [3] ؛ لأن الإبانة عن المعنى يكفى فيه لفظ واحد ؛ فيصبح هذا التعدد عبثا لو لم يتعدد الواضعون الذي يعبر عنه باختلاف اللهجات .

(٦) سمع عن العرب أشياء قاطعة في اختلاف اللهجات .

من ذلك ما ذكره ابن خالويه في شرح الفصيح حيث قال :

" اختلف رجلان في الصقر ، فقال أحدهما بالسين ، وقال الآخر بالصاد ،

---

(١) الأضداد لأبي الطيب اللغوي ١/١٧ وقال قطرب الجون الأسود في لغة قضاعة وفي ما يليها الأبيض الأضداد لأبي الطيب ١/١٥١ .

(٢) نفسه ١/١٤٥ .

(٣) المزهر ١/٤٠٢ ، ٤٠٣ .

فتحا كما إلى ثالث فقال : أما أن فلا أقول كما قلتما ، ولكني أقول " الزقر " ثم قال ابن خالويه : فدل على أنها ثلاث لغات .

أي لهجات على حسب ما كان القدماء يطلقون .

ومن ذلك ما روي عن اللحياني أنه قال : قلت لأعرابي : أتقول مثل حنك الغراب ، أو مثل حلكه ؟ فقال : لا أقول مثل ملكه .

وقال أبو حاتم : قلت لأم الهيثم : كيف تقولين أشد سواداً من ماذا ؟ قالت " من حلك الغراب ، قلت : أفتقولينها من حنك الغراب ؟ فقالت : لا أقولها أبداً [١] .

ومن ذلك ما روي عن أبي هريرة – رضي الله عنه – من أنه لما قدم من دوس " وهي بطن من الأزد " عام خيبر لقي رسول الله (ﷺ) ، وقد وقعت من يده السكين ، فقال له : ناولني السكين ، فالتفت أبو هريرة يمنة ويسرة ، ولم يفهم المراد ، فكرر له الرسول (ﷺ) القول ، فقال أبو هريرة(ﷺ) : آلمدية تريد ؟ وأشار إليها ، فقال له : نعم ، فقال أبو هريرة (ﷺ) : أو تسمى سكينا عندكم ؟ ثم قال : والله لم أكن سمعتها إلا يومئذ .

ومن ذلك أن رسول (ﷺ) كان يخاطب الجموع الوافدة إليه من العرب بما يعرفون على اختلاف قبائلهم ، مما أدهش العقول ، حتى إن عليا – كرم الله وجهه – ، وقد سمعه يخاطب وفد بني نهد من اليمن قال : يا رسول الله نحن بنو أب ، ونراك تكلم الناس بما لا نفهم أكثره [٢] . ومن

---

(١) المزهر ٤٧٥/١ .

(٢) اللهجات العربية . د. إبراهيم نجا ص ٦٥ ، ٦٦ .

ذلك ما نقله السيوطي من قول ابن فارس : يقع في الكلمة لغتان ، كقولهم : الصَّرام ، والصِّرام [1] ، والحِصاد والحَصاد .

ويقع في الكلمات ثلاث لغات ، نحو : الزُّجاج ، والزَّجاج ، والزِّجاج . و وَشكان ذا [2] ، و وُشكان ذا ، و وِشكان ذا .

ويقع في الكلمة أربع لغات ، نحو : الصَّداق ، والصِّداق ، والصَّدَقة والصُّدُقة .

ويكون فيها خمس لغات نحو : الشَّمال [3] ، والشَّمْل ، والشَّمأل ، والشَّمِيل والشَّمَل .

ويكون فيها ست لغات نحو ، قُسْطاس ، وقِسْطاس ، وقُصْطَاس وقُسْتاط ، وقِسَّاط ، وقُسَّاط ، ولا يكون أكثر من هذا [4] .

ومن ذلك ما قاله ابن السكيت : حضرني أعرابيان من بني كلاب فقال أحدهما إنْفَحة ، وقال الآخر مِنْفَحَة ، ثم افترقا على أن يسألا جماعة من أشياخ بني كلاب ، فاتفق جماعة على قول ذا وجماعة على قول ، وهما لغتان [5] .

فهذه النصوص قاطعة الدلالة على تفرع العربية إلى لهجات ، وقد صحبها من الأدلة ما عزز هذه الناحية ، وجعلنا نوقن تمام اليقين بتفرع العربية إلى لهجاتها المتعارفة .

---

(١) صرام النخل وصرامه : أوان إدراكه .
(٢) سرعان .
(٣) الشمال : الريح التي تهب من ناحية القطب .
(٤) المزهر ١/٢٥٩ ، ٢٦٠ .
(٥) نفسه ١/٤٧٥ .

كما تدل هذه النصوص أيضاً على تعدد اللهجات حتى في القبيلة الواحدة ، كما ذكر ابن السكيت ، ولقد وصلتنا هذه اللهجات عن طريق مصدرين هما :

(١) القراءات القرآنية التي رويت عن أئمة القراء ، الموثوق بهم ، والتي نقلت إلينا قراءاتهم من طرق لا يتسرب الشك إليها .

(٢) ما رواه الثقات في ثنايا كتب اللغة والنحو والأدب والتاريخ من آثار تلك اللهجات [1] .

---

(١) اللهجات العربية د/ إبراهيم نجا ص ٦٦، ٦٩ ، ٧٠ . واللهجات العربية د/ إبراهيم أبو سكين ص ٦٩، ٧٠ .

المبحث الثاني

الوحدة اللغوية ، واللغة النموذجية

عوامل الوحدة اللغوية ، وتكوين اللغة المشتركة :

كما أنه يوجد عوامل تؤدي إلى اختلاف اللهجات وتفرقها ، فإنه أيضا يوجد عوامل تؤدي إلى التوحد اللغوي ، وجعل اللغة المشتركة ، لغة مترابطة ، وتساعد هذه العوامل على تكوينها ووحدتها .

يحتاج الناس إلى اتصال بعضهم ببعض أفراداً وجماعات وأمما ، ولهذا الاتصال آثاره اللغوية ، فلهجات ولغات تلك الجماعات والأمم تتلاقى ، ويستفيد بعضها من بعض ، والتأثر الذي يعتري لهجات اللغة الواحدة قد يبدو عاديا حين لا يكون الاختلاط بين الطبقات كبيراً ، كلهجات القرى والمدن في أي دولة . فلكل منها سمات تمتاز بها من الأخرى ، وبينهما اشتراك في مظاهر كثيرة تستخدمها من اللغة العامة ، ولذا لا تستعصي إحداها على الفهم خارج حدودها ، اللهم إلا في حالة العزلة التي تعيش فيها بعض القرى ، والأماكن النائية ، أو الأقاليم التي تفصل بعضها عن بعض ، أمور جغرافية ، واجتماعية ، فإنها تؤدي إلى ظهور سمات تنفرد بها لهجاتها .

وقد تستعصي على فهم غيرها من البلاد النائية عنها قرية كانت أو مدينة ، وحين تتجاور اللهجات الخاصة في المدن الكبرى ، والقرى المجاورة لها ، تزيد درجات التأثر ، ففي داخل المدن يكثر الاختلاط بين الطبقات ، ويحاول الأدنى تقليد الأرقى ، ومع ذلك تبقي لكل لهجة خصائصها المميزة ، وسكان القرى المجاورة للمدن ، يحاولون التخلي عن

خصائص لهجاتهم ، وتقليد المدينة ؛ لأن حضارة أهل المدن وثقافتهم تجعل الرغبة في تقليدهم ملحة لدي الريفيين "[١] .

وتتمثل عوامل الوحدة اللغوية في الاختلاط وعدم العزلة ، ولهذا الاختلاط عوامل ، وهذه العوامل تساعد على التوحد اللغوي وتكوين اللغة المشتركة ، وأهمها :-

(١) الدين :

الدين من أهم العوامل ، وأعظمها في المساعدة على الوحدة اللغوية ، وذلك لأن له مظاهر عديدة تدعو إلى تقريب اللغة بين الناس ، وذلك كالاجتماع في الحج وصلاة الجماعة ، والعيدين ، والندوات الدينية وغير ذلك . ففي كل هذه الاجتماعات يحاول الجميع أن يبتعد عن صفات لهجته الخاصة ، ويتكلم بلغة مشتركة .

(٢) الأدب :

يلعب الأدب دوراً بارزاً في تكوين اللغات المشتركة ، سواءً كان شعراً أم نثراً ؛ لأن الشعراء والأدباء يهدفون إلى نشر نتاجهم ، وما تجود به قرائحهم ، بلغة يفهمها من يقرأ ، أو يسمع ما يقولون ، أو يكتبون ؛ كي يتحقق لهم ما يرجون من علو منزلة ، وسمو مكانة ، ولن يتحقق هدفهم ، إلا إذا كان بلغة عامة ، خالية من الخصائص المحلية للهجات .

ولا يخفى عنا ما كان من أثر الأدب في نشر اللغة المشتركة في العصر الجاهلي ، حين كان يعرض ما تجود به من قرائح الشعراء في أسواق الجاهلية ، كسوق عكاظ ، ومجنة ، وذي المجاز ، وغيرها من أسواق العرب ،

---

(١) اللهجات العربية نشأة وتطوراً . د. عبد الغفار هلال صـ ٧٣ .

فقد كان حرص الشعراء على أن يذيع صيتهم ، وينتشر شعرهم ، ويعلو ذكرهم ؛ دافعا إلى صياغة أجود الشعر والأدب بلغة يفهمها المجتمعون ؛ وكانوا يتبارون في ذلك ؛ ، فكانت هذه الأسواق أماكن الاجتماعات العامة ، ينشدون فيها الشعر ، باللغة القرشية ، كما كانوا يبالغون في انتقادات اللهجات ، وانتقاء الأفصح منها ، مما أدى إلى توخي اللهجات في اللهجة القرشية .

وهذا وغيره قد جعل الأدب من العوامل المهمة في نشر اللغة المشتركة ؛ ولذا كان ما انتهى إلينا من شعر ، ونثر ، مما قالته العرب جاء بلغة موحدة ، اللهم إلا في القليل النادر ، حيث حافظ بعض الشعراء على لهجة إقليمهم ، فجاء شعر يمثل لهجة بعض الأقاليم ، وهو من أهم المصادر التي يعتمد عليها الباحث اللغوي في دراسة اللهجات العربية القديمة .

(٣) الخدمة العسكرية :

يجتمع الجنود والضباط وغير ذلك من مجتمع الجيش من شتى البقاع ومختلف البيئات ؛ ليجتمعوا تحت قيادة واحدة ، يتعاملون معها ، وتتعامل معهم ، بلغة واحدة ، يفهمها الجميع ، وتوجه إليهم النداءات والعبارات ، وتلقي عليهم الأوامر والتعليمات بنفس اللغة ؛ ولذا يحاول الجميع أن يبتعد عن صفات لهجته الخاصة ؛ خشية السخرية ، أو التهكم والتحدث باللغة المشتركة الموحدة التي تجعله يقترب من الناس حوله ، يفهمهم ويفهمونه .

(٤) الحرب :

الحرب في كل حال لابد فيها من دمار وهلاك ؛ وهذا يدفع الدولتين المتحاربتين من نقل سكان البيئات الواقعة داخل مرمى المدافع والصواريخ والخطر ، إلى داخل القطر بعيداً عن مسرح العمليات العسكرية ، إلى أماكن ومناطق أكثر أمنا ؛ حفاظا على حياتهم . وهذا – على سبيل المثال – ما حدث إبان حرب الاستنزاف بين مصر وإسرائيل قبل حرب العاشر من رمضان المعروف بالسادس من أكتوبر سنة ١٩٧٣م ، إذ تم نقل سكان قناة السويس إلى داخل مدن وقري أكثر أمنا في مصر – بلدنا الغالية – فتم اختلاط هؤلاء السكان بسكان البيئات الأخرى من أبناء الوطن .

وهذا الاختلاط من العوامل المساعدة على وجود لغة واحدة يتم التفاهم بها فيما بينهم ، والتخلي عن الخصائص المحلية للهجات المختلفة .

(٥) الإذاعة والتليفزيون :

الإذاعة والتليفزيون من وسائل الإعلام الهامة التي تساهم في نشر الثقافة وبخاصة اللغة حيث أنها المعبرة عن الشعوب والأمم ، فما يذاع فيهما باللغة الأدبية له أثر كبير في إيجاد لغة مشتركة موحدة – فالمذيع أو غيره من العاملين في مجال الكلمة في الإذاعة والتليفزيون ، يتحدث أو يكتب باللغة النموذجية الفصحى ، واللقاءات التي تتناول موضوعات أدبية أو دينية تكون باللغة الفصحى ، وكذلك النشرات الإخبارية وغير ذلك ، ويحاول المستمعون أو المشاهدون تقليد المذيع والمتحدث فيما يقول ، وبخاصة إذا كان – المتكلم الذي معه لقاء أو كلمة من ذوي المكانة المرموقة ، أو الكلمة المسموعة – فيحاول البعض تقليده ، ومحاكاته ،

ولا يخفى عنك ما تلحظه من تقليد كثير من الشباب والأطفال لبعض ما يسمعونه من أشياء تحظى بإعجابهم ؛ ولذا فإنه من الواجب الاهتمام الشديد بدقة الألفاظ ، وصحة التعبير ، وجودة العبارات فيما يذاع في الإذاعة والتليفزيون حتى يكون ذلك من العوامل التي تساعد على تكوين لغة مشتركة موحدة .

(٦) الصحف والمجلات :

فالصحف اليومية ، والمجلات الدورية لها دور عظيم في الوحدة اللغوية ، وتكوين اللغة المشتركة ؛ لأن ما يكتب فيها من أخبار وآراء وغير ذلك ، يكون باللغة الفصحى والجميع يفهمها ، بل يحاول إذا قرأها أن يكتب لغة سهلة ميسرة مثلها ، وهذا يكون له أكبر الأثر في المساعدة على تكوين لغة مشتركة ، وموحدة .

(٧) إقامة المعارض والأسواق العامة :

لاشك أن الاختلاط في المعارض والأسواق العامة ، واللقاءات السياسية والاجتماعية وغيرها ، والمباريات الرياضية ، حيث يفد الناس من جهات مختلفة ، وأماكن متعددة لحضور هذه المعارض والأسواق واللقاءات والمباريات وغير ذلك ، فتجتمع الأفراد من مختلف الأماكن ، فيتطلب ذلك وجود لغة مشتركة ، يتفاهم بها المجتمعون ، وهذا يؤدي إلى القضاء على الخصائص المحلية للهجات ، ويساعد على الاتجاه نحو اللغة المشتركة التي تحقق الهدف من الاجتماع في مثل هذه الأشياء .

(٨) الزواج المختلط :

ففي الزواج المختلط يتخلى كل من الزوجين عن صفات لهجتيهما ؛ حرصاً على التفاهم فيما بينهم ، بل ويتحدثان إلى أطفالهم بلغة مشتركة راقية ينشأ عليها الأطفال ، حافظين لهذه اللغة ، بل ومقلدين لها بعد سماعهم من الآباء والأمهات ، وبهذا يكون الزواج عاملاً من عوامل توحيد اللهجات ، وتكوين اللغة المشتركة .

(٩) المدن الكبرى :

ظهور المدن الكبرى ، وخاصة العواصم ، فإليها ينزح الناس من جهات القطر المختلفة ، وفيها يندمج بعضهم ببعض ؛ لأن الجميع يتحدث بلغة مشتركة ، وهي لغة المدينة الكبرى ، ويحاول كل فرد أن يتخلى عن صفات لهجته الخاصة به ، حتى لا يكون موضع سخرية ، أو تهكم ، أو يعاب عليه عند التحدث بلهجته فيوصف بالتأخر أو التخلف ، أو عدم التطور ، فتذهب خواص لهجاتهم بالتدرج ؛ حتى تصبح للمدينة لغة خاصة بها ، ولكنها مفهومه من الجميع .

(١٠) الوحدة السياسية :

الوحدة السياسية عامل مهم من عوامل التوحيد اللغوي ، والتقريب بين اللهجات ، وذلك ؛ لأن هذه الوحدة ، ستؤدي بلا شك إلى اختلاط سكان الأقاليم المختلفة ، واتصالها بشكل قوي وبصوره ، دائمة ، ووجود حكومة مركزية مسيطرة على مجموعة من الأقاليم ، أو الدويلات تجعل الفرصة سانحة لظهور لغة مشتركة وتوطيدها .

والحكومة بجميع وزاراتها وأقسامها لابد لها من استخدام لغة عامة في مكاتباتها ، ووسائلها إلى الأقاليم .

أضف إلى ذلك ، أن وجود مثل هذه الحكومة المركزية ، يجذب الناس من أطراف الأقاليم المختلفة ، ويحتاج إلى استخدام عدد كبير منهم في مرافقها المتعددة ، والأقاليم كلما كانت تنتمي إلى وحدة سياسية مترابطة ، تنتمي إلى حكومة واحدة ، كلما تمتعت بلغة مشتركة [1] .

(١١) الجامعات والمدارس :

في الجامعات والمدارس يتم الاختلاط بين الطلاب ، ومعظمهم من بيئات مختلفة ، والتفاهم بينهم لن يتم إلا بلغة مشتركة يفهمها الجميع ، والتخلي عن الصفات المحلية للهجات ، خصوصاً تلك التي تدعو إلى السخرية والاستهزاء ، أضف إلى هذا ، حاجة أولئك الطلاب إلى لغة مفهومة لديهم يتلقون بها دروسهم في فنون العلم المختلفة ، وحاجتهم إلى قضاء حوائجهم لدي إدارة المدرسة ، أو الجامعة ، مما يتعلق بشئونهم ، وما يتطلبه هذا من وجود تلك اللغة المشتركة التي يمكن التفاهم بها عند قضاء الحوائج .

وبذلك يمكن أن نقول إن انتشار التعليم وانتشار المدارس والجامعات ، من العوامل المهمة ، التي تساعد على تكوين اللغة المشتركة .

---

(١) ينظر : منهج في التطور اللغوي في ضوء علم اللغة التاريخي د. كمال بشر صـ ٤٨: ٥٥، واللهجات العربية د. إبراهيم أبو سكينه صـ ٣٥: ٣٨ ، واللهجات العربية د. عبد الغفار هلال صـ ٧٣: ٨٠ ، والمقتضب في لهجات العرب د. محمد كريم صـ ٦٩: ٧٦ ، واللهجات العربية د. وحيد زايد صـ ٢٨: ٣٣ .

(١٢) العمل في دواوين الحكومة والمصانع :

اجتماع العاملين في أماكن عملهم ، وانتماؤهم إلى بيئات مختلفة من عوامل توحد اللغة ؛ وحرص كل واحد منهم إلى التفاهم فيما بينه وبين زملائه وإخوانه ، حتى يمكن آداء ما يكلف به من أعمال ، فيضطر – غالباً – إلى التخلي عن سمات لهجته ، وخصائصها المحلية .

وقد أصبحت المصانع – الآن – تضم آلافاً من العمال ينتمون إلى بيئات مختلفة ، وكذلك الأعمال الحكومية الكبيرة التي تضم – أيضاً – عدداً كبيراً من الموظفين ، ولا شك أن هذا الاجتماع يتطلب وجود لغة مشتركة مفهومه لدي الجميع [1] .

هذه هي أهم عوامل الوحدة اللغوية ، وتكوين اللغة المشتركة ، غير أن التوحيد التام بين اللهجات يعد أمراً مثالياً ، لا يكاد يتحقق في أي لغة ؛ لأن الأحوال الاجتماعية مهما زالت الفروق الطبقية ، ووجدت عوامل الاختلاط ، والاتصال ، والترابط بين أفراد المجتمع ، لا يمكن أن تتحد اتحاداً تاماً .

ومن الضروري أن تحتفظ كل بيئة ، وكل طائفة من طوائف المجتمع ببعض الصفات والخصائص الخاصة بلهجاتهم .

ولقد فكر بعض العلماء في إيجاد لغة عامة ، وجعل عنوانها(اسْبِرَانتو) من أصل لاتيني بمعنى الأهل ، إشارة إلى يأس العلماء قبله من النجاح في هذا العمل ، وهي لغة مصنوعة وضعها لغوي بولندي في أخريات القرن الماضي لتكون لغة عالمية ، وتتألف هذه اللغة من ٣٢٠٠مادة مقتبسة من

---

(١) المقتضب في لهجات العرب د. محمد كريم ص ٧٤، ٧٥ .

لغات أربع وهي : اللاتينية ، والإنجليزية ، والفرنسية ، والألمانية ، ثم اتخذت آداة للتفاهم في عدة مؤتمرات دولية ، وأوصت عصبة الأمم المتحدة عام ١٩٢١م بتعليمها في المدارس والمعاهد ، وأعادت منظمة (اليونسكو) التوصية عام ١٩٥٥م ، ويبلغ عدد المتكلمين بها الآن عدة ملايين ، وتصدر شركات كبرى إعلاناتها بها ، وتخصص محطات إذاعية برامج للتحدث بها ، وفي العالم الآن ما يقرب من مائة صحيفة ومجلة تنشر بهذه اللغة [1] .

وأهل اللغة العربية . لغة القرآن الكريم . يعلقون آمالاً كبيرة في التوحد اللغوي والثقافي ، وهذا يمهد الطريق لظهور لغة عربية راقية ، تجد قبولاً وترحيبا من العرب والمسلمين في كل مكان ، وظهور لغة مشتركة تقرب بين لغات العرب والمسلمين ، وهذا سيكون من عوامل النهوض باللغة العربية الفصحى .

والعوامل الذي ذكرتها للمساعدة على إيجاد لغة مشتركة ، عوامل متشابكة وتعمل كلها في اتجاه واحد في الوقت نفسه ، وليس من الدقة أن ننسب فضل التقريب بين اللهجات ، أو التوحيد بينها إلي عامل واحد أو عاملين .

وإن شاء الله نأمل أن يكون المستقبل أعظم وأقوي في توحيد ، لغة مشتركة . وانتشارها ، وهي لغة القرآن الكريم الذي يظل وستظل لغته ما دامت الحياة ، إن شاء الله تعالى .

---

(١) اللهجات العربية د. إبراهيم أبو سكين ص ٣٧، ٣٨ .

وحدة النطق في البلاد العربية :

وفدت اللغة العربية من شبة الجزيرة العربية مع مجيء الفتح الإسلامي ، إلى بيئات معمورة جديدة تتكلم بلغات متباينة ، بعضها قريب الشبة بلغة الفاتحين ، والأخرى لا تكاد تمت إليها بصلة .

وبدأ الصراع اللغوي ، بين اللغة العربية – لغة الفاتحين ، ولغة القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة) – وتلك اللغات ، وأخذ هذا الصراع صوراً مختلفة في تلك البيئات التي فتحها الإسلام ، حتى تم الفتح الإسلامي ، واستقرت الدولة الإسلامية ، وثبتت دعائمها وانتشرت اللغة العربية ، وانتصرت على غيرها ، وأصبحت لغة البلاد المفتوحة ، وسادت الثقافة العربية الإسلامية .

وقد نزحت اللغة العربية إلى تلك البيئات المعمورة في صورتين :

(١) صورة اللغة الموحدة المنسجمة ، وهي لغة القرآن الكريم ، والآثار الأدبية من شعر ونثر ، وهي اللغة التي نمت وازدهرت في مكة والحجاز .

(٢) صورة اللغة التي تميز لهجات القبائل العربية المختلفة وذلك إبان عصر الفتوح الإسلامية ، ومن هذه القبائل : تميم ، وجهينة ، وقيس ، وبهراء ، وأسد ، وهَمْدان ، وطئ ، وعقيل ، وكنانة ، وأزد شنوءة ، ... الخ .

وقد ظلت اللغة الأدبية موحدة في البيئات الجديدة ، زمنا طويلاً ، لم يصبها إلا القليل من التغيير ، حين استقلت هذه البيئات بعضها عن بعض ، ولكنها كانت دائما مفهومة ، وفي متناول المثقفين من الناس ، كما ظلت الآثار الأدبية القديمة . نماذج يحتذي بها ، ويعتز بها ، وتقوم على دراستها والعناية بها من الفئة المثقفة والمختصة بذلك ؛ لأنها لغة القرآن الكريم والسنة النبوية ، أي لغة الدين .

وظل الاتصال الثقافي وثيقا بين الدول ، يكتب المصري لغيره ، وغير ذلك من التبادل الثقافي ، فيقرأ بعضهم لبعض ،ويعجب بعضهم بمؤلفات بعض ؛ لأن آداة الكتابة واحدة ، ومحور الثقافة كان واحداً ؛ وهذا لأن الدين عند الجميع واحد .

وكان المصري يرحل إلى بيئة بغداد ؛ ليقرأ القرآن على قارئ مشهور ، أو ينزح المغربي ، أو الشامي إلى الديار المصرية ؛ ليقرئ بعض الناس ما تيسر من كتاب الله . هذا إلى أن تدوين تلك المؤلفات في كل نواحي الثقافة قد حد من تطور تلك اللغة وتغيرها ، وجعل منها آداة مشتركة بين البلاد العربية . وقد سلمت من طفرات التطور ، والتغير ؛ لأن الآثار الأدبية التي سجلت بها في العصور الأولى للإسلام ، قد ظلت بمثابة الحراس عليها ؛ إذا اتخذت كل العصور مثلها العليا ، يهدف إلى احتذائها كل متعلم .

أما لغة الكلام التي يطلق عليها أحيانا اللغة العامية ، أو اللغة الدارجة، واستعملها الناس فيما بينهم في البيئات المختلفة ، في عملهم وفي أسواقهم ، ومنازلهم ... الخ أصبحت لغة سليقة يتحدث بها المرء دون أن يشعر بخصائصها ، ومن هنا نشأت اللهجات المتباينة ، وهي منحدرة من اللهجات العربية القديمة .

وتلك اللهجات المختلفة هي التي صرعت لغات الكلام في البيئات الجديدة ، وحلت محلها بعد قرن ، أو قرنين من الزمان ، في صورة جديدة من بعض النواحي ، لا في صورتها الأصلية ، نتيجة صراعها مع تلك اللغات المغزوة التي لم تسلم قيادها إلى اللغة الغازية إلا بعد أن تركت بها بعض الآثار ، وصبغتها بصبغة خاصة .

وقد اختلف الصراع اللغوي شدةً وضعفاً في البيئات المفتوحة ، وحيث كان الصراع هزيلا ضعيفاً شهدنا اللغة العربية ، أو لهجات الكلام فيها تخرج من مثل هذا الصراع سالمة ، وهذا تحقق في الجهات القريبة من شبة الجزيرة العربية .

أما فيما بَعُدَ من الجهات ، فقد كان الصراع عنيفا ، خرجت منه اللغة الغازية مشوهة – (محرفة) – لها نكاد نتبين فيها كثيراً من صفاتها الأصلية – فإذا أضيف إلى هذا ، أن البلاد العربية قد استقل بعضها عن بعض ، بعد سقوط الدولة العباسية ، وأن لهجات الكلام فيها قد أهملت ، وتركت وشأنها تنمو في الأفواه ، وتورث إلى الأجيال الناشئة في صور جديدة ، دون حد من هذا التطور المستقل ، أدركنا السر فيما نشاهده الآن من فروق لغوية بين لهجات الكلام في البيئات العربية .

ولذا يجب علينا أن نقرب بين هذه اللهجات ، حين ينطق أصحابها جميعاً لغة واحدة هي اللغة الفصحى ، ولا سيما أن اللغة من أقوي الدعائم على التوثيق بين الأفراد والشعوب ، إن لم تكن أقواها ، وزد على ذلك أنها أوضح العناصر اللغوية التي توحد بين البيئات [1] بل قل بين أبناء الأمة العربية والإسلامية ، التي نأمل لها التوحد والتقريب ، فإذا تم التقريب بين نواحي النطق في البلاد العربية ، فيصبح التقريب في غيرها أسهل وأيسر ؛ لأنهم جميعا أصحاب لغة واحدة ودين واحد .

---

(١) في اللهجات العربية د/ إبراهيم أنيس صـ ٢٦: ٢٩ واللهجات العربية د. إبراهيم أبو سكين صـ ٣٩: ٤٢ .

عناصر اختلاف النطق في البلاد العربية .

بين اللهجات العربية في البلاد العربية عناصر اختلاف في النطق في هذا الزمن ، وتكاد تنحصر عناصر هذا الاختلاف فيما يلي :-

(١) الاختلاف في نطق بعض الأصوات الساكنة :

رغم أن القدماء من علماء العربية كالخليل ، وسيبويه ، وابن جني ، وغيرهم ، قد وصفوا الأصوات الساكنة وصفاً دقيقاً ومع تواتر القراءات القرآنية عن طريق التلقي والمشافهة جيلا بعد جيل ، فقد تطورت بعض الأصوات الساكنة من حيث المخرج والصفة .

فصوت الضاد قديما كان مخرجه من بين أول حافة اللسان ، وما يليها من الأضراس ، وليس له نظير من حيث المخرج .

ولكنها تطورت حديثا إلى مخرجه من طرف اللسان ، وأصول الثنايا العليا ، وله نظير من حيث المخرج ، وهو الدال .

ومن حيث الصفة ، وصفة القدماء بأنه رخو ، وتطور حديثاً إلى صوت انفجاري (شديد) .

وكذلك صوت الطاء فهي عند القدماء صوت مجهور وينطق بها في معظم اللهجات الحديثة صوتاً مهموساً .

وكذلك صوت الجيم فقد اختلف بين اللهجات الحديثة ، فيكون شديداً كما في النطق المصري ، ويكون أميل إلى الرخاوة كما هو الحال في النطق الفصيح المروى عن القدماء . ويكون كثير الرخاوة كتلك الجيم التي كثر تعطيشها كما في نطق المغاربة ، وبعض السوريين

وكالأصوات اللثوية (الذال والثاء ، والظاء) التي ينطقها الكثير زاياً وسينا ، وزاياً مفخمة على الترتيب [١] ، فيقولون في ذنب ، زنب ، ويقولون في حديث : حديس ، وفي ظريف زريف ، بتفخيم الزاي ، كما أن الذال في اللغة الدارجة تنطق دالاً ، فيقال في كِذْب : كِدْب ، والثاء تنطق تاء في فيقال في ثعلب ، وتنطق الظاء ضاد في بعض الكلمات ، وليست تلك الضاد التي ينطق بها القدماء ، وإنما الضاد التي ننطق بها الآن . فيقال في الظهر : الضهر [٢] .

فإذا لوحظ الفروق الصوتية بين الأصوات الساكنة ، وأمكن اتخاذ نطق نموذجي موحد بيننا في هذه الفروق ، لا نلبث أن نشهد وحدة تامة بين الدول العربية فيما يتعلق بنطق الأصوات الساكنة [٣] .

---

(١) في اللهجات العربية د. أنيس صـ ٢٩، ٣٠ ، واللهجات العربية د. إبراهيم أبو سكين صـ ٤٢ .
(٢) المقتضب في لهجات العرب د. محمد كريم صـ ٨١ .
(٣) في اللهجات العربية د. أنيس صـ ٣٠ .

(٢) الاختلاف في نطق أصوات اللين :

أصوات اللين هي تلك الأصوات التي سماها بعض القدماء بالحركات حين تكون قصيرة ، وسموها حين تكون طويلة بحروف المد .

فالقصيرة : الفتحة ، والكسرة ، والضمة ، والطويلة هي : الألف والياء ، والواو .

وفي الاصطلاح العلمي الحديث يجمع بين هذه وتلك فتسمى جميعاً أصوات اللين ؛ لأن الفرق بين الفتحة وألف المد ليس : إلا في الكمية ، وكذلك الحال بين الكسرة ، وياء المد ، وبين الضمة وواو المد ، وينظر إليها المحدثون من علماء الأصوات نظرة واحدة ؛ لأنها جميعاً تكوّن مجموعة من الأصوات اللغوية وثيقة الاتصال بعضها ببعض .

ولقد أهمل القدماء أمر أصوات اللين ، فتركت وشأنها تتخذ في الأفواه أشكالاً كثيرة ، حتى كان ما نشاهده من فروق خطيرة بين البلاد العربية الشقيقة . وكأن العلماء القدماء قد ظنوا لخلو الرسم العربي من هذه الأصوات في غالب الأحيان ، أنها ليست عنصراً من عناصر اللغة ، في حين أنها لكثرة شيوعها في الكلام والنطق ، أوضح وأبرز في تكوين الفروق بين اللهجات [1] .

فنجد فرقاً واضحاً في نطق مثل : (الهوى – الهدى – موسى) ، ومن ينطقها بالإمالة .

ونجد – أيضاً – فرقاً واضحاً في نطق مثل : (نستعين ، نشرب ، نعلم) ، بفتح حرف المضارعة (النون) ومن ينطقها بكسر حرف المضارعة ،

---

(١) في اللهجات العربية . د . أنيس ص ٣٠ .

ويوجد – أيضاً – فرق كبير بين من ينطق مثل : (الجامعة ، والداخلية ، والثانوي) ، بصوت لين طويل وهو الألف ، وبين من ينطق بها بصوت لين قصير ، وهو الفتحة ، كما ينطقها العامة باللغة الدارجة .

وفرق – أيضاً – بين من ينطق مثل : (ثوم) ، وبين من ينطقها (توم) في اللغة العامة أو الدارجة [1] .

لذا ينبغي أن نجعل لأصوات اللين ؛ القصيرة ، والطويلة ، عناية كبيرة ، وأن نتخذ لها مقاييس خاصة نتدرب عليها ؛ لنتعود في نطقنا ، ولا نحيد عنها مهما صادفنا في هذا من عنت ومشقه .

(٣) الاختلاف في موضع النبر من الكلمة :

وهو من العناصر التي تفرق بين النطق في البلاد العربية ، بل ويفرق – أيضاً – بين لهجات الكلام في الإقليم الواحد ، حتى في نطقهم القرآن الكريم .

فلو تأملت وأنت تسمع للقاهري أو لأبناء الوجه البحري في نطقهم لقوله تعالى : ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾ [2] أو قوله تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ [3] فستجدهم يضغطون في الكلمات (رقبة ، مؤمنة ، همزة ، لمزة " على مقطع خاص في كل منها ، يخالفون ما يصنعه أهل الوجه القبلي (الصعيد) حال قراءتهم لهاتين الآتيين ، أو غيرهما .

---

(١) اللهجات العربية د. إبراهيم أبو سكين ص ٤٥ والمقتضب في لهجات العرب.د. محمد كريم ص ٨٢ .

(٢) سورة النساء من الآية ٩٢ .

(٣) سورة الهمزة آية ١ .

ذلك هو مثل واضح يبين اختلاف موضع النبر ، بين نطق أبناء الدول العربية الشقيقة [١] .

ومن الكلمات أيضاً التي تبين أن كل بيئة تضغط على مقطع معين في هذه الكلمات ، (مدرسة – معركة – مخرطة – مزرعة ... الخ) .

فنجد الناطقين في العالم العربي ، وقد اختلفت بيئاتهم ، وتفاوتت أحوالهم الاجتماعية ، يختلفون في موضع النبر من الكلمة ، فبيئة تضغط على مقطع ، وأخرى تضغط على مقطع آخر وهكذا [٢] .

وسائل توحيد النطق في البلاد العربية :

يجب أن يعمل القائمون على الحفاظ على اللغة العربية على توحيد النطق لدي أبناء الوطن العربي وذلك يتطلب جهداً كبيراً ، ووجود متخصصين تعلموا النطق الصحيح ليدركوا هذه الفروق في النطق ، وهذا الأمر له وسائل عديدة أهمها :

(١) المدرس الكفء ، أي الذي يصلح للتدريس في بيئة معينة من البيئات العربية ، وإعداده إعداداً خاصاً بدراسته ، دراسة علمية صحيحة العادات الصوتية لتلك البيئة ، تلك العادات التي كونتها لهجة الكلام فيها ، وأصبح الناس هناك يتميزون بها عن غيرهم ، ويكون على دراية وعلم كاملين بسمات وخصائص النطق النموذجي الذي نرجو أن يسود كل البيئات العربية ؛ ليحاول التوفيق بين صفات صوتية مصدرها لهجات الكلام في كل بيئة ، وتلك الصفات الصوتية التي ستتم المواضعة عليها في النطق النموذجي للغة الفصحى ، فإذا أراد مثل هذا المدرس الكفء تعليم

---

(١) في اللهجات العربية د/ إبراهيم أنيس ص ٣١ .

(٢) اللهجات العربية د. إبراهيم أبو سكين ص ٤٥ .

الصغار ، أو الكبار ، استطاع ذلك بمهارة ، فقلده التلاميذ وحاكوه ، وبهذا ، فإنه سيكون عاملاً مهما من عوامل توحيد النطق في البلاد العربية .

(٢) المذيع المتدرب تدريبا صوتيا على النطق النموذجي .

فإذا قرأ المذيع ، أو تحدث في نشرات الأخبار – مثلاً – أو في تقديم برامجه ، النطق الفصيح ، فإن السامعين سيقلدونه ، وسيتعود الجميع على النطق السليم ، وهذه الوسيلة ، ربما كانت أوسع وأشمل من وسيلة المدرس الكفء ؛ لأن دوره أكثر انتشاراً وأسرع ، حيث يسمعه المتعلم وغير المتعلم والصغير والكبير ، وغير ذلك من الناس .

(٣) الممثل المتدرب على النطق الصحيح :

فالممثل إذا تحدث الفصحى ونطق نطقا راعى فيه القواعد وغير ذلك مما يجب أن يكون ، فإنه سيكون له تأثير كبير في توحيد النطق ؛ فإن الكثير إذا أحب ممثلاً قلده في كلامه ، وطريقة نطقه ، وهذا يدعو إلى المساهمة في توحيد النطق بين البلاد العربية [1] .

ولا يظن ظان أن تحقيق هذا الأمر سهل ميسور ، وإنما يحتاج إلى جهد شاق ، وزمن طويل ، بل قد يتعذر تحقيقه على الرغم من اتخاذ الوسائل السابقة وبذل الجهد الشاق [2] .

ولكن علينا أن نعمل جاهدين على تحقيق هذه الوسائل ، وإيجاد وسائل أخرى تساعد ، وتساهم في توحيد النطق ، حتى إذا اتفق النطق ، قربت وجهات النظر ، فتتحد الكلمة ، ويجتمع الشمل ، وتسود المحبة والمودة ، فتنتشر اللغة العربية في أرجاء الوطن العربي ، بل في أنحاء العالم الإسلامي ، وهي إن شاء الله تعالى باقية مادامت الحياة .

---

(١) في اللهجات العربية د.أنيس صـ ٣١، ٣٢ ، واللهجات العربية د. إبراهيم أبو سكين صـ ٤٦، ٤٧ .
(٢) المقتضب في لهجات العرب د. محمد كريم صـ ٨٥ .

فصاحة القبائل العربية :

مما لا شك فيه أن لغة الجاهلين كانت أرقى وأقوى من لغة من جاء بعدهم من الإسلاميين والعباسيين ، وغيرهم ، سواء من ناحية صحة اللغة ، أو بلاغتها " [1].

واللغة العربية قد عاشت في شمالي الجزيرة (نجد ، والحجاز ، وتهامة) واستطاعت في القرن السادس الميلادي أن تبسط نفوذها كلها ، وتدخل اليمن مرة أخرى ، وتسيطر عليها ، وتمحوا ما بقى فيها من لهجات ، وتحل محلها ، وهذا ؛ لأن أهلها – العدنانيين – استطاعوا أن يسيطروا على جنوبي الجزيرة ، بعد أن ضعف نتيجة الغزوات المتتالية من الفرس ، والأحباش ، وتبعهم الزحف اللغوي ، فتوحدت حينئذ لهجات الشمال والجنوب في لغة عامة واحدة قبل الإسلام بحوالي مائة وخمسين عاماً تقريباً .

وإذا أردنا أن نعرف أول العربية الباقية ، متى بدأت وكيف ظهرت ؟ وميلادها ، فمن الصعب الوقوف على ذلك ؛ لأن التاريخ اللغوي مجهول ، ولم تصلنا أثار ترشد إليه ، وكل ما نعرفه ، أنه توافرت لدينا نصوص أدبية – شعراً ونثراً – متكاملة القواعد ، والنظام اللغوي ، وهذا يعبر عن لغة بلغت شأوها من النضج والقوة ، لكنه لا يرشد إلى فترة طفولة اللغة أيام كانت ساذجة ضعيفة غير مهذبة القواعد ، والتراكيب .

وهذه اللغة التي بلغت غايتها من النضج والتكوين ، هيئ لها أن تنتشر في الجزيرة العربية الواسعة ، حيث تختلف البيئات والعادات ،

---

(١) اللهجات في اللسان العربي . د . عبد الحليم محمد عبد الحليم ص ١٧ .

والتقاليد بين الشمال والجنوب ، والأحوال التي يعيش فيها أبناء العرب في مواطنهم ، لذا لم تلبث أن انقسمت إلى لهجات عديدة في أنحاء الجزيرة .

ولم يعش العرب في جزيرتهم منعزلين بعضهم عن بعض ، وإنما يلتقون في التجارة ، وفي الأسواق الأدبية التي يتبارى فيها الشعراء ، ويقدمون نتاج قرائهم – مثل (سوق عكاظ ، والمجاز ، وذي المجنة) – وقد أدت لقاءاتهم المتعددة وسماع كل عربي للهجات إخوانه من المناطق الأخرى إلى أن يستفيد كل منهم من صاحبه من الناحية اللغوية ، كما يستفيد منه من النواحي التجارية ، والثقافية وغيرها [١].

وقد أتيح للهجات المتعددة فرص كثيرة للاحتكاك ، بفضل التجارة ، وتبادل المنافع ، ومجاورة القبائل بعضها لبعض ، وتنقلها في طلب الكلأ ، وتجمعها في المناسبات مثل الحج والأسواق وغير ذلك .

فاشتبكت من جراء ذلك اللهجات العربية بعضها مع بعض في صراع لغوي [٢].

وهكذا استمرت اللهجات في صراعها إلى أن هيأ الله – سبحانه وتعالى – للهجة القرشية أن تبقى بعد هذا الصراع ، والاحتكاك باللهجات الأخرى ، وأن تضم إلى كيانها كثيراً من مميزات اللهجات الأخرى ، وأن تصبح لهجة قريش اللغة النموذجية [٣]. بعد أن تطورت من المحلية الضيقة في مكة وما حولها ، إلى الانفتاح على ربوع شبه الجزيرة

---

(١) اللهجات العربية نشأة وتطوراً . د . عبد الغفار هلال صـ ٨١ : ٨٣ ، وفصول في فقه اللغة . د . رمضان عبد التواب صـ ٧٧ .

(٢) المقتضب في لهجات العرب صـ ٩١ .

(٣) اللهجات العربية . د . إبراهيم أبو سكين صـ ٥٧ ، وفقه اللغة . د . وافي صـ ١٠٨ .

العربية من أقصاها إلى أقصاها ، فكانت لغة قريش أوفر نصيباً وأسعد حظاً من غيرها [1].

ولهذا كان في قريش من الفصاحة ما لم يكن في غيرها ، ولذلك قال ابن فارس : " أجمَعَ علماؤنا بكلام العرب، والرُّواةُ لأشعارهم، والعلماءُ بلُغاتهم وأيامهم ومَحالهم أن قُرَيشاً أفصحُ العرب ألْسنةً وأصْفاهم لغةً. وذلك أن الله – جل ثناؤه – اختارهم من جميع العرب واصطفاهم ، واختار منهم نبيَّ الرحمة محمداً صلى الله تعالى عَلَيْهِ وسلم. فجعل قُريشاً قُطّان حَرَمِه، وجيران بيته الحرام، ووُلاته. فكانت وُفود العرب من حُجاجها وغيرهم يَفِدون إِلَى مكةِ للحج، ويتحاكمون إِلَى قريش فِي أُمورهم. وَكَانَتْ قريش تعلِّمهم مَناسكَهم وتحكُمُ بَيْنَهم. ولن تزل العرب تَعرِف لقريش فضلها عليهم وتسمّيها أهل الله ؛ لأنهم الصَّريح من ولد إسماعيل عَلَيْهِ السلام، لَمْ تَشُبْهم شائبة، وَلَمْ تنقُلْهم عن مناسبهم ناقِلَة، فضيلةً من الله – جلّ ثناؤه – لهم وتشريفاً. إذ جعلهم رَهط نبيّه الأدْنَيْنَ، وعِتْرته الصالحين.

وَكَانَتْ قريش، مع فصاحتها وحُسن لغاتها ، ورِقّة ألسنتها، إِذَا أتتهُم الوُفود من العرب تخيّروا من كلامهم وأشعارهم أحسنَ لغاتهم وأصفى كلامهم. فاجتمع مَا تخيّروا من تِلْكَ اللغات إِلَى نَحائزهم وسَلائقهم الَّتِي طُبعوا عَلَيْهَا. فصاروا بذلك أفصح العرب.

ألا ترى أنك لا تجد فِي كلامهم عَنْعَنَة تَميم ، ولا عَجْرفيّة قَيْس ، ولا كَشْكَشَة أسَد ، ولا كَسْكَسة رَبيعةَ ، ولا الكَسْر الَّذِي تسمَعه من أسدَ وقَيْس مثل : " تِعلمون" و "نِعلَم" ومثل "شِعير" و بِـعير" [2].

---

(١) من لغات القرآن الكريم دراسة لغوية . د . محمد عبد الحفيظ العريان ص ١٣ .

(٢) الصاحبي لابن فارس ص ٣٣ : ٣٤ .

فابن فارس يثبت في النص السابق أن إثبات الفصاحة للهجة قريش جاء نتيجة ؛ لتخيرها ، وانتقائها من كلام الوافدين عليها من سائر القبائل ، فقد كان العرب يقيمون أسواقاً منتظمة على مدار السنة في أقاليم مختلفة من جزيرة العرب ، ويتجمع الوافدون إلى هذه الأسواق من كل القبائل لتبادل المنافع بالبيع والشراء ، وسماع الأشعار ، والخطب ، والآراء ، ويتم التفاهم داخل هذه الجماعات بلهجة موحدة .

وهذه اللغة الموحدة يعود بها أصحابها إلى داخل القبائل للحديث بها في مجالات التشاور والحروب ، وأماكن العبادات ، فيستخدمها رؤساء القبائل ، والأشراف والكهنة في مجتمع يتحكم فيه العرف لا القانون ، ويتم التفاهم فيه لحل المشاكل عن طريق الصلات والذمم والمعاهدات ، ولا بد من فصحى عامة تحقق التفاهم ، وتبادل الآراء .

أما تلك اللهجات القبلية التي ذكرها ابن فارس في نصه السابق ، عن أن لغة قريش ليس فيها ما في هذه اللغات في قوله " لا تجد في كلامهم عَنْعَنَة تميم ، ولا عَجْرفيّة قَيْس ، ولا كَشْكَشَة أسَد ... الخ ، فقد جعلها لغات مذمومة [1].

فهذه اللهجات استخدمت في بيئات خاصة تضم قبيلة واحدة ، أو مجموعة من القبائل ، فهذه اللهجات القبلية يتفاهم بها الأفراد في شئون حياتهم العادية ، وهي وسيلتهم في السمر ، وأحاديث التفكه ، وكل قبيلة من هذه القبائل تتميز بمستوى خاص يميزها عن غيرها من القبائل الأخرى ، كما يتميز بالتالي عن الفصحى في عدة مستويات أهمها : معاني الألفاظ ، نطق الأصوات ، الصيغ ، تأليف الكلام ، الإعراب [2].

---

(١) وضع ابن فارس لها باباً مستقلاً وسماه باب " اللغات المذمومة " الصاحبي لابن فارس ص ٣٥ .

(٢) اللهجات في اللسان العربي . د . عبد الحليم محمد عبد الحليم ص ١٨ ، ١٩ .

وهذا أبو نصر الفارابي يقول في كتابه المسمّى بالألفاظ والحروف : " كانت قريشٌ أجودَ العرب انتقاداً للأفصح من الألفاظ ، وأسهلها على اللسان عند النُّطْق ، وأحسنها مسموعاً ، وأبينها إبانة عمّا في النفس ؛ والذين عنهم نُقِلت اللغة العربية وبهم اقْتُدِي ، وعنهم أُخِذَ اللسانُ العربيُّ من بين قبائل العرب هم : قيس ، وتميم ، وأسد ؛ فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثرُ ما أُخِذ ومعظمه ، وعليهم اتُّكل في الغريب وفي الإعراب والتَّصْريف ، ثم هذيل ، وبعض كِنانة ، وبعض الطائيين ، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم ، وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضَريٍّ قطَ ، ولا عن سكّان البَرَاري ممن كان يسكنُ أطرافَ بلادِهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم ، فإنه لم يؤخذ لا مِنْ لَخْم ، ولا من جذَام ؛ لِمُجاوَرتهم أهل مصر والقِبْط ؛ ولا من قُضاعة ، وغَسَّان ، وإياد ؛ لمجاورتهم أهل الشام ، وأكثرهم نصارى يقرؤون بالعبرانية ، ولا من تغلب واليمن ؛ فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان ، ولا من بكر ؛ لمجاورتهم للقبط والفرس ولا من عبد القيس وأزْد عُمَان ؛ لأنهم كانوا بالبحرَين مُخالطين للهند والفُرس ؛ ولا من أهل اليمن ؛ لمخالطتهم للهند والحبشة ؛ ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة ، ولا من ثقيف وأهل الطائف ؛ لمخالطتهم تجّار اليمن المقيمين عندهم ، ولا من حاضرة الحجاز ؛ لأن الذين نقلوا اللغة صادفوهم ، حين ابتدءوا ينقلون لغةَ العرب ، قد خالطوا غيرهم من الأمم ؛ وفسدت ألسِنتهم ، والذي نقل اللغةَ واللسانَ العربيَّ عن هؤلاء وأثْبَتها في كتاب ، فصيَّرها عِلْماً وصناعة ، هم أهلُ البصرة والكوفة فقط من بين أمصار العرب "[1].

---

(١) المزهر للسيوطي ١ / ٢١١ ، ٢١٢ .

وهذا النص السابق يوضح الأسس التي اعتمدها علماء اللغة ، عند جمعهم مادة اللغة ، كما يبين أن القبائل التي اعتمد عليها العلماء في أخذهم للغة ، ينتسب معظمها إلى العدنانية ؛ لأنهم يشكلون نسبة كبيرة ، حيث أخذ عن قيس ، وتميم ، وأسد ، وهذيل ، وبعض كنانة ، ومع أن قبيلة طيئ تنسب إلى القحطانيين إلا أنها جنوبية البيئة ، ولهذا السبب أخذ عن بعضها [١].

ومن المعروف أن القبائل العربية تعود إلى أصلين كبيرين هما :

(١) القحطانية في جنوب شبه الجزيرة العربية ، وينسب إليها قبائل حمير وغسان ، ولخم ، والأزد ، ومدحج ، وطيئ ، وبعض النسابيين ينسبون قضاعة إلى القحطانيين .

(٢) العدنانية في الشمال ، وقد تركزت إقامتها في الحجاز ، ونجد ، وتهامة ، وترجع القبائل العدنانية في نسبتها إلى معد ، ومعد هو الذي تناسلت منه قبائل الشمال ، فمن معد ؛ نزار التي تفرعت إلى خمسة فروع كبار هي : أنمار ، وإياد ، وربيعة ، وقضاعة – في بعض الآراء – ومضر التي اشتهرت بالفصاحة ، ومن أشهر القبائل المضرية : قريش ، ثم تميم ، وقيس ، وأسد ، وهذيل ، وضبة ، ومزينة .

واللغة العربية الفصحى كثيراً ما تنسب إلى لغة مضر ، والقبائل التي أخذ عنها اللغة ينتسب معظمها إلى العدنانية [٢].

---

(١) اللهجات في اللسان العربي . د . عبد الحليم محمد عبد الحليم صـ ٢٣ .

(٢) نفسه صـ ٢١ ، ٢٢ .

وقد رحل علماء اللغة إلى القبائل في البادية ، وشافهوها ، وكان أوثقهم أعراب البادية ؛ لأن البدو الخالص البداوة لا ينطق غير ما فطر عليه ، ولأنه بعد عن الحاضرة ، ولم يدخل اللحن والخطأ على لسانه .

واللغة العربية الموثقة أحيطت بسياج الجزيرة العربية ، التي لا يكاد يقتحمها غريب من الأعراب ، فإذا حدثت رحلة إلى أطراف شبه الجزيرة العربية ، كرحلة الشتاء والصيف ، فإن هذا الانتقال ما كان ليؤثر في ألسنتهم ، أو يغير من طباعهم ؛ حيث أنهم كانوا أحرص الناس على ألسنتهم .

ولقد كانت اللغة العربية قبل الإسلام يتلقاها الأبناء عن الآباء ، فلما أقبل الناس على دين الله ، يتعلمون القرآن ، ويقيمون به صلاتهم ، ويجدون فيه تعاليم دينهم ، ودنياهم ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً بعد أن أحاطت بهم الدعوة من كل جانب ، كان على الناس أن يتفهموا الأوامر والنواهي التي جاء بها الدين ؛ وكلها صارت بلسان عربي ، عند ذلك اتجه الناس إلى اللغة ، فكانوا يجدون بغيتهم بادئ الأمر عند صحابة رسول الله (ﷺ) وتابعيهم ، فلما انقضى عهد الصحابة وتابعيهم ، تلمسوا تفسير ما غمض عليهم في الآثار العربية الموثقة من شعر ونثر ، وكلام محكم ، ثم جلسوا إلى العلماء يتعلمون العربية [1].

---

(١) اللهجات العربية في اللسان . د . عبد الحليم محمد ص ٢٠ .

العوامل التي ساعدت على تغلب لهجة قريش على اللهجات الأخرى :

لا شك أن اللهجة القرشية أتيح لها من الظروف ما جعلها تحتل الصدارة على باقي اللهجات العربية الأخرى ، حيث كان القرشيون يلتقون كغيرهم من القبائل . بإخوانهم العرب من كل مكان ، وقد ساعدت عدة عوامل على تهذيب لهجتهم ، وتهيئة الفرصة لها ؛ لتحتل الصدارة بين اللهجات العربية الأخرى وأهم هذه العوامل ما يلي :-

(١) العامل الديني :

كان القرشيون يحظون بتقدير العرب لهم ؛ لأنهم هم الذين يتولون سدانة البيت الحرام ، والقيام على شئونه ، وكانوا يستضيفون الحجاج ، ويقومون على سقايتهم ، وتعليمهم مناسكهم ، وبعد حادث الفيل ، وأبرهة الأشرم ، توطد مركز قريش حتى قالت العرب عنهم : أهل الله قاتل عنهم فكفاهم مؤونة عدوهم ، وهذا كله جعل لقريش سلطاناً دينياً يعترف به العرب جميعاً ، حتى قيل عنهم : قريش أئمة الناس ، وهداتهم ، وأهل البيت ، وصريح ولد إسماعيل وقادة العرب .

(٢) العامل الاقتصادي :

انطلق القرشيون في أنحاء الجزيرة العربية ، وما حولها من الأقطار في الشام ، وفارس ، والعراق ، ومصر ، والحبشة ، وكلهم ثقة واطمئنان لما لهم من مكانة بين العرب أساسها النفوذ الديني [١].

وكانت أنشطتهم التجارية كبيرة وواسعة ، فازدهرت تجارة قريش ، يمكن القول بأن زمام التجارة أنذاك كان في أيديهم ؛ وذلك لأنهم كانوا

---

(١) اللهجات العربية . د . عبد الغفار هلال ص ٨٣ ، ٨٤ .

يجلبون البضائع من الشام صيفاً ، ومن اليمن شتاءً ، ويوزعونها على القبائل العربية ، فكان هذا النفوذ ي أيديهم [١].

ولا ريب أن ذلك كله جعل لقريش مركزاً تجارياً حققوا من ورائه ثروات طائلة ووطد صلاتهم بالقبائل العربية المختلفة ، وقد نزل القرآن الكريم مشيراً إلى رحلاتهم التجارية ، صيفاً وشتاءً .

فقال سبحانه وتعالى : ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝ ﴾ [٢].

(٣) العامل السياسي :

لقد تمتع القرشيون في مكة باستقرار ونظام في حياتهم الاجتماعية ؛ نتيجة لما تمتعوا به من نفوذ ديني واقتصادي واسع ، وقد تهيأ لهم طائفة من الزعماء الذين كانوا يتدخلون لفض المنازعات سواء بين بطون القبيلة المتعددة ، أو بين المتنازعين من غيرهم ، وكانت مكة حرماً آمناً ، من ورد إليه لا يظلم ولا يعتدي عليه ، إلى جانب ما كان لقريش من علاقات ودية طيبة مع القبائل المختلفة في داخل الجزيرة ، وعلى أطرافها في الطريق إلى الشام أو العراق .

ولعل للنفوذ التجاري ، واستخدام بعض هذه القبائل في شئون التجارة أثراً بينا في تحقيق السيادة القرشية ، إلى جانب ما تمتعوا به من نفوذ ديني أشرنا إليه من قبل ، وكانت لهم أحلاف كثيرة مع القبائل ، كل

---

(١) اللهجات العربية .د . إبراهيم أبو سكين ص ٥٧ .

(٢) سورة قريش .

هذا جعل لهم سيادة سياسية بين العرب جميعاً . حتى قال أبو بكر الصديق (ﷺ) عقب وفاة الرسول (ﷺ) : لا تدين العرب إلا لهذا الحي من قريش ، فلا تنفسوا على إخوانكم ما منحهم الله من فضله " [١].

ويقول ابن فارس :" وكانت قريش تعلمهم مناسكهم وتحكم بينهم " [٢].

وربما يفهم من قول أبي بكر (ﷺ) أن ذلك إنما كان بسبب الإسلام ؛ لأنه قال قوله هذا بعد وفاة النبي (ﷺ) .

ويرد هذا ، أن أبا طالب عم النبي (ﷺ) قال في خطبته عند زواج النبي (ﷺ) من السيدة خديجة (رضي الله عنها) : الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم ، وزرع إسماعيل ، وجعل لنا بلداً حراماً ، وبيتاً محجوجاً ، وجعلنا الحكام على الناس .

ومن المسلم به أن النبي (ﷺ) تزوج السيدة خديجة – رضي الله عنها – قبل نزول الوحي عليه ، وقبل أن يكون رسولاً للناس كافة [٣].

(٤) العامل اللغوي :

ونتيجة لما سبق اتسع نفوذ القرشين اللغوي ، فنمت لهجتهم ، وازدهرت وسادت اللهجات الأخرى ، فأصبحت لغة عامة للعرب جميعاً ، واستعملتها القبائل المختلفة في نتاجها الأدبي الرفيع [٤].

---

(١) اللهجات العربية . د . عبد الغفار هلال صـ ٨٤ ، ٨٥ . وفقه اللغة . د . وافي صـ ١٠٩ .

(٢) الصاحبي لابن فارس صـ ٣٣ .

(٣) المقتضب في لهجات العرب صـ ٩٣ .

(٤) اللهجات العربية . د . عبد الغفار هلال صـ ٨٥ .

ولقد أضاف القرشيون إلى لهجتهم ما هي في مسيس الحاجة إليه ، وما رأوه أخف على أسماعهم ، وأيسر على ألسنتهم ، فكانت قريش مع فصاحتها ، وحسن لهجتها ، إذ أتتهم الوفود من القبائل العربية ، تخيروا من تلك اللهجات إلى سلائقهم التي طبعوا عليها ، وقد حظيت اللغة القرشية بكل هذا نتيجة لاحتكاكها بمختلف اللهجات ، وما أتيح لأهلها من وسائل الثقافة والحضارة ، وما انتقل إليها من هذه اللهجات من عناصر زادتها ثروة على ثروتها [1].

وهذه العوامل السابقة ، والظروف التي أتيحت للهجة قريش جعلتها تتغلب على اللهجات العربية الأخرى ؛ لأنه من المقرر أن الصراع بين لهجتين محليتين ينتهي بتغلب إحداهما على الأخرى في حالتين :

الأولى : أن يكون لأهل واحدة منهما نفوذ على أهل اللهجة الأخرى ، ففي هذه الحالة يكتب النصر للهجة المنطقة ذات النفوذ ، على شريطة أن لا تقل عن المنطقة الأخرى حضارة وثقافة وآداباً .

الثانية : أن تفوق إحدى المنطقتين الأخرى ، في ثقافتها وحضارتها ومقومات لغتها وآدابها ، ففي هذه الحالة يكتب النصر للهجتها ، وإن لم يكن لها سلطان على المنطقة الأخرى .

وإذا كانت إحدى هاتين الحالتين ، تؤدي إلى تغلب اللهجة المتوافرة فيها شروطها ، فمن باب أولى إذا توافر كلتاهما في لهجة محلية ، كما كان شأن لهجة قريش ، فقد كان لأهل هذه اللهجة السلطان الديني ، والاقتصادي والسياسي ، وكانت هي أكثر أخواتها ثروة ، وأغزرها مادة ، وأوسعها ثقافة ، وأقدرها على التعبير في فنون القول . فليست ظاهرة تغلبها

---

(١) اللهجات العربية . د. إبراهيم أبو سكين ص ٥٨ .

إذن فذة في التاريخ ، أو يرجع سببها إلى إرهاص ، أو إعجاز ، بل هي ظاهرة عامة في لغات بني الإنسان قديمها ، وحديثها .

ومن المقرر كذلك أن اللهجة المحلية التي يتاح لها التغلب تصبح عاجلاً أو آجلاً ، لغة الآداب ، فتصطنع وحدها في الكتابة والتأليف والأدب شعره ونثره .

ومثال ذلك أن لهجة باريس تغلبت على معظم أخواتها ، حتى أصبحت هي لغة الكتابة والآداب بفرنسا . وغير ذلك من تغلب الإنجليزية بلندن ، والأسبانية بمدريد ... الخ .

وهذا ما حدث للغة قريش ، فقد ترتب على تغلبها على بقية اللهجات العربية ، أن أصبحت لغة الآداب عند جميع قبائل العرب ، فبها كان ينظم الشعر ، وتلقي الخطب ، وترسل الحكم والأمثال ، وتدون الرسائل وتتفاوض الوفود ، ويتبارى الأدباء ، وتجري المناقشات والمؤتمرات في مختلف بلاد العرب ومختلف قبائلها ، وقد تم لها ذلك قبل بعثة الرسول (ﷺ) بزمن غير قصير [(١)].

ولعل ما سبق يوضح لنا سر وصول معظم الآثار الأدبية القديمة إلينا في لغة موحدة لا تشتمل على خصائص اللهجات العربية التي رواها الرواة [(٢)].

فلا غرابة إذن في أن القرآن الكريم ، وقد جاء بلغة قريش ، كان مفهوماً لدى جميع القبائل ، وكان يؤثر في العرب جميعاً ببيانه وبلاغته ، فقد نزل بعد أن تم للهجة قريش التغلب على اللهجات العربية الأخرى ، وبعد أن أصبحت لغة الآداب لسائر قبائل العرب .

---

(١) وفقه اللغة . د . وافي ص ١١٠ : ١١٢ .

(٢) المقتضب في لهجات العرب . د . محمد كريم ص ٩٦ .

ولا غرابة كذلك ، أن جاءت آثار قريش ، بل كان يكون غريباً كل الغرابة ، ومتعارضاً مع نواميس اللغات الإنسانية ، لو جاء شيء منها مؤلفاً بغير هذه اللغة ؛ لأن أقدم هذه الآثار لا يتجاوز القرن الخامس ، أو السادس بعد الميلاد ، أي أنها جميعها قد ألفت بعد أن تم للغة قريش التغلب على ما عداها ، وبعد أن أصبحت اللغة الفذة التي يصطنعها العرب في ميادين الآداب [١].

ما استفادته لهجة قريش من صراعها مع اللهجات العربية الأخرى :

لقد كان هناك فوائد عديدة عادت على اللهجة القرشية من احتكاكها باللهجات الأخرى في شبه الجزيرة العربية من أهمها ما يلي :-

(١) استفادت كثيراً من المفردات والأساليب ، فتنوعت فنون القول ، وتمكنت من التعبير عن جميع الأغراض . فقويت بذلك مقوماتها ، واتسع نطاقها ، وكمل ما كان فيها من نقص .

(٢) أصبحت اللغة القومية للعرب قاطبة ، فأصبحت لغة الشعراء والخطباء وكان على الشعراء الذين تسارعوا إلى مجالات الثقافة بين القبائل كأسواق العرب ، أن ينظموا أقوالهم ، شعراً كان أو نثراً بالقرشية النموذجية والتي خلت من العنعنة والعجعجة ، والكشكشة وغيرها من اللغات المذمومة .

(٣) نزول القرآن الكريم . فلقد نزل القرآن الكريم بهذه اللهجة النموذجية الراقية القومية السائدة عند العرب في ذلك الوقت ، ولقد أكسبها القرآن الكريم كثيراً من الألفاظ الإسلامية

---

(١) وفقه اللغة . د . وافي ص ١١٢ .

كالصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، بمعانيها الجديدة ، فعززت مادتها .

واللغة الحية هي التي تستوعب كل ما يجد من مستحدثات في الحياة ، وما يكثر من أغراض ، وهذا متوفر في لغتنا العربية ؛ لأن لها من الميزات والخصائص ما ليس في غيرها .

(٤) تقوية سلطانها . القرآن الكريم دستور الإسلام والمسلمين ومصدر الحياة ، قد نزل باللغة النموذجية القرشية ؛ لذلك كان لزاماً على العرب جميعاً بعد أن دخلوا في دين الإسلام ، أن ينظروا إلى هذه اللغة ، لغة القرآن الكريم ، نظرة رعاية وعناية وتقديس ، فقوى سلطانها ، وتوطدت أركانها ، وثبتت دعائمها [١].

(١) اللهجات العربية . د . إبراهيم أبو سكين ص ٨٤ ، ٨٥ . وفقه اللغة . د . وافي ص ١١٤ : ١١٨ .

المبحث الثالث : مقياس الفصاحة

مقياس الفصاحة لدى العلماء :

استقر رأي جمهور العلماء القدامى على أن نصوص القرآن الكريم هي الأساس الأول في تقعيد قواعد اللغة ، ولا خلاف بينهم في ذلك [(١)].

وفي ذلك يقول الراغب الأصفهاني : " فألفاظ القرآن هي لبّ كلام العرب وزبدته ، وواسطته وكرائمه ، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم ، وحكمهم ، وإليها مفزع حذاق الشعراء ، والبلغاء ، في نظمهم ، ونثرهم ، وماعداها ، وعدا الألفاظ المتفرعات عنها والمشتقات منها ، هو بالإضافة إليها كالقشور والنوى ؛ بالإضافة إلى أطايب الثمرة ، وكالحثالة والتبن بالإضافة إلى لُبُوب الحِنْطة " [(٢)].

أما حين نظر جمهور العلماء إلى المروى من الشعر العربي الجاهلي ، فقد أجمعوا على أنه يحتج بالشعر الجاهلي ، كشعر زهير بن أبي سلمى ، وطرفه بن العبد ، وامرئ القيس ، والنابغة الزبياني ،ولبيد بن ربيعة ، وغيرهم من شعراء الجاهلية .

كما يحتج بشعر المخضرمين وهم الذين عاشوا في الجاهلية والإسلام ، ونظموا شعرا في المرحلتين (الجاهلية – والإسلامية) ومن أشهرهم : حسان بن ثابت ، وكعب بن زهير ، ومعن بى أوس ، وغيرهم من الشعراء المخضرمين .

---

(١) في اللهجات العربية . د. إبراهيم أنيس صـ ٤٩ .

(٢) المفردات في غريب القرآن ٤ ، ٥ من المقدمة . والمزهر للسيوطي ١ / ٢٠١ .

وكذلك يحتج بشعر الإسلاميين حتى منتصف القرن الثاني الهجري ومنهم جرير والفرزدق ، والأخطل ، وإن كان بعض المتشددين من علماء العربية كأبي عمرو بن العلاء ، كان يرفض الاستشهاد بالشعر الإسلامي ، فيروى عنه أنه كان يقول : لقد حسن المولَّد . يريد شعر جرير والفرزدق . حتى كدت آمر صبياننا بروايته !! ويقول عنه تلميذ الأصمعي : لقد لازمته عشر حجج فما سمعته يحتج ببيت إسلامي قط !! (١).

أما شعر المولدين فجمهور العلماء رفض الاحتجاج به ، وقد احتج بعضهم بشعر بعض المولدين ، وذلك قائم – فيما يبدو – على مبدأ الانتقاء ، والاختيار ، لمن يحتج بشعره منهم ، كأن تتوافر في الشاعر المولد مؤهلات تجعله أهلاً للاحتجاج بشعره عند من يحتج به ، كأبي تمام عند الزمخشري ، وأبي فراس الحمداني ، والمتنبي عند شهاب الدين الخفاجي .

وعلى هذا فقد اختلف بعضهم في قبول الاستشهاد بشعر المولدين ، ورفضه ولكل حججه (٢).

هذا بالنسبة إلى القرآن الكريم والشعر العربي الجاهلي والإسلامي حتى منتصف القرن الثاني الهجري .

أما عن موقف العلماء من الاستشهاد بنصوص الأحاديث النبوية الشريفة في مسائل اللغة فانقسموا إلى فريقين .

---

(١) في اللهجات العربية . د . إبراهيم أنيس صـ ٤٩ .

(٢) المقتضب في لهجات العرب . د . محمد كريم صـ ١٠٩ : ١١٤ ، والعربية خصائص وسماتها . د . عبد الغفار هلال صـ ١٨٨ وما بعدها .

الفريق الأول : يرى منع الاستشهاد بالحديث في مسائل اللغة ، وتقعيد قواعدها ، وحجته في ذلك : أن رواية الحديث تجوز بالمعنى .

ومن حججهم أيضاً : أن كثيراً من رواة الأحاديث كانوا من المولدين أن الذين عاشوا بعد عصور الاحتجاج . أي عاشوا بعد عصر الرواية ، وعليه فلا يحتج بكلامهم ؛ لأنه يجوز أن يدخل عليهم اللحن . وهذا الرأي يؤيده الكثير من العلماء .

الفريق الثاني : يرون جواز الاستشهاد بنصوص الأحاديث النبوية الشريفة في تعقيد اللغة ، ووضع مسائلها .

وحجته في ذلك : أنه إذا جاز اللحن في رواية الحديث ، فكذلك يقال بجواز اللحن في رواية الأشعار ، بل إن احتمال اللحن في رواية الأشعار أكثر .

وعليه يمكن أن نقول بأنه يجوز الاستشهاد بالحديث مادام قد جاز الاستشهاد بما يرويه هؤلاء من الأشعار .

ومن حججهم أيضاً : أن الوازع الديني يساعد على مراعاة ، وصيانة نصوص الأحاديث ، والمحافظة عليها من أي لحن أو تغيير ، أما قولهم : إن تدوين الحديث كان قبل فساد اللغة ، ففيه نظر ؛ لأن المعروف أنه دون في القرن الثاني الهجري في الأمصار ، أي بعد عصر الاحتجاج ، وقد ظهر اللحن في أواخر عهد بني أمية .

وقد سكت المتقدمون من علماء العربية عن الاستشهاد بالحديث الشريف ، ولم يروعنهم ما يفيد أنهم منعوة ، بل نجد في بعض كتبهم استشهاداً بالحديث وإن كان قليلاً [١].

" فالنحاة الأوائل قد احتجوا بالحديث ولم يرفضوه ، لكنهم احتجوا به على قلة مع التصريح بأن ما يحتجون به حديث ، أو مع إغفال الإشارة إلى أنه من الحديث ، إنما كانوا يذكرونه كأية عبارة عربية يوردونها ، أو يتمثلون به مع الأمثلة والشواهد الأخرى ، كما فعل سيبويه وبعض من تابعوه فيما احتج به من الأحاديث .

أما السبب في قلة احتجاج الأوائل بالحديث ، فلم يصرحوا هم أنفسهم به ، ولم يشيروا إليه ، لا من قريب ولا من بعيد ، ولذلك اختلف المتأخرون في تعليل ذلك ، وافترضوا عللا من عند أنفسهم " [٢].

أما المتأخرون من العلماء فقد اشتد الخلاف بينهم وأصبح واضحاً كل الوضوح في القرنين السابع والثامن من الهجرة ، ومن زعماء المنع للاستشهاد بالحديث الشريف ابن الصائغ الأشبيلي (ت ٦٨٠هـ) ، وأبو حيان (ت ٧٤٥ هـ) ، ومن زعماء المجوزين له ابن مالك (ت ٦٧٢ هـ) ، وابن هشام (ت ٧٦٣ هـ) [٣].

---

(١) في اللهجات العربية . د . إبراهيم أنيس صـ٤٩ ، ٥٠ .

(٢) موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث . د . خديجة الحديثي صـ ٤٠٠ ومن أراد معرفة هذه العلل بالتفصيل ، فليرجع إليه صـ ٤٠٠ : ٤١٤ .

(٣) في اللهجات العربية . د . إبراهيم أنيس صـ ٥٠ . وفصول في فقه العربية . د. رمضان عبد التواب صـ ٩٨ .

ومن المحدثين الذين بذلوا جهداً كبيراً في الوصول إلى رأي معتدل يقصد منه الدفاع عن الحديث الشريف ، ومدى الاستشهاد به ، فضيلة الشيخ / محمد الخضر حسين الذي قام بعمل بحث سماه " الاستشهاد بالحديث في اللغة " وكان سبب قيامه بهذا البحث الخلاف الذي رآه بين علماء العربية في إثبات اللغة والنحو بالحديث .

وقد بلغ جهده لاستقصاء الأحاديث في الكتب الكثيرة المؤلفة في الحديث وغريبه ؛ ليرى في أي جانب من الجانبين يكون الحق ، أفي جانب المانعين للاستشهاد بالحديث أم في جانب المجيزين ؟ يقول :

وهذا ما دعاني إلى أن بحثت هذه المسألة ، وبذلت جهداً في استقصاء ما كتبه فيها أهل العلم ، ثم استخلصت من بين اختلافهم رأيا [(١)].

وهو أن الحديث قسمان :

القسم الأول : يستشهد بنصوصه ولا ينبغي الاختلاف في الاحتجاج به في اللغة .

والقسم الثاني : قسم لا يحتج به في مسائل اللغة ، ولا ينبغي الاختلاف في عدم الاحتجاج به .

فالقسم الأول الذي لا ينبغي الاختلاف به في اللغة أنواع :

أحدها : ما يروى بقصد الاستدلال على كمال فصاحته – عليه الصلاة والسلام – كقوله (ﷺ) : " حمي الوطيس " وقوله " مات حتف أنفه "

---

(١) دراسات في العربية وتاريخها لشيخ محمد الخضر حسين ص ١٦٦ .

وقوله : " الظلم ظلمات يوم القيامة " إلى نحو هذا من الأحاديث القصار ، والمشتملة على شيء من محاسن البيان . كقوله " مأزورات غير مأجورات " وقوله : " إن الله لا يمل حتى تملوا " .

ثانيها : ما يروى من الأقوال التي كان يتعبد بها ، أو أمَر بالتعبد بها ، كألفاظ القنوت والتحيات ، وكثير من الأذكار ، والأدعية التي كان يدعوا بها في أوقات خاصة .

ثالثها : ما يروى شاهداً على أن الرسول (ﷺ) كان يخاطب كل قوم من العرب بلغتهم ، ومما هو ظاهر أن الرواة يقصدون في هذه الأنواع لرواية الحديث بلفظه .

رابعها : الأحاديث التي وردت من طرق متعددة ، واتَّحدت ألفاظها ، فإن اتحاد الألفاظ مع تعدد الطرق ، دليل على أن الرواة لم يتصرفوا في ألفاظها . والمراد أن تعدد طرقها إلى النبي (ﷺ) أو إلى الصحابة والتابعين – رضي الله عنهم – الذين ينطقون الكلام العربي فصيحاً .

خامسها : الأحاديث التي دونها من نشأ في بيئة عربية ، لم ينتشر فيها فساد اللغة . كمالك بن أنس ، وعبد الملك بن جريج ،والإمام الشافعي .

سادسها : ما عرف من حال رواته ، أنهم لا يجيزون رواية الحديث بالمعنى مثل : ابن سيرين ، والقاسم بن محمد ، ورجاء بن حيوة ، وعلى ابن المدينى .

أما القسم الثاني من الأحاديث التي لا ينبغي الاختلاف في عدم الاحتجاج بها ، وهي الأحاديث التي لم تدون في الصدر الأول ، وإنما تروى في كتب المتأخرين ، أو التي غمزت في صحتها ، أو الأحاديث التي شذت روايتها [1].

هذا بالنسبة للحديث الشريف ، وقضية الاحتجاج به ، وأنه من مقياس الفصاحة لدى العلماء .

أما بالنسبة إلى النثر من كلام العرب والمسموع عن القبائل العربية ، فنجد أن العلماء قد فرقوا بين القبائل ، يأخذون عن بعضها ، ويرفضون الأخذ عن البعض الآخر والعلماء جعلوا فصاحة القبيلة أساسها دعامتين :

الأولى : مقدار قرب مساكنهم من مكة وما حولها .

الثانية : مقدار توغلها في البداوة .

ولذلك رأيناهم يعتزون بلغة القبائل الحجازية بوجه عام ، وقبائل نجد ، ووسط الجزيرة ، ويرفضون الأخذ عن القبائل التي كانت مساكنهم في أطراف الجزيرة وعلى حدودها .

كذلك رأيناهم يعتزون اعتزازاً كبيراً بلغة القبائل المتوغلة في البداوة ، ونلحظ هذا في احتكامهم في مسائل اللغة إلى الأعراب الوافدين إلى الأمصار ، أيا كانت ثقافتهم ، أو مركزهم الاجتماعي ، اعتقاداً منهم أن

---

(١) دراسات في العربية وتاريخها للشيخ محمد الخضر حسين ص ١٧٨ ، وفي اللهجات العربية . د . إبراهيم أنيس ص ٥١ ، وموقف النحاة من الاحتجاج بالحديث . د . خديجة الحديثي ص ٤١٤ . وما بعدها ، وفيه تفصيل شامل لهذا الموضوع ، وعرض لجميع الآراء والأدلة لكل رأي ، وغير ذلك مما يهم الدارس معرفته .

هؤلاء الأعراب قد انعزلوا عن البيئات المتحضرة التي فسدت لغتها ، وأنهم ورثوا اللغة سليمة صحيحة .

أما الأعرابي الذي يعيش فترة في الحضر ، ثم يسأل في مسألة نحوية ، ويجيب بما يعرف ، أو بما يخالف ما يتوقع منه . كان السائل من العلماء يقول له : هيهات لان جلدك يا أبا فلان ، أي أصبحت متحضراً ، ولم تعد أهلاً لأخذ مسائل اللغة عنك .

وخير مثل لهذا ، قصة أبي عمرو بن العلاء مع أعرابي يسمى " أبا خيرة " حين جاءه بجملة تشتمل على جمع مؤنث سالم في حالة النصب ، وطلب من أبي خيره ضبط هذا الجمع ، فنطق به مفتوحاً . وذلك حينَ قال له كيف تقول : استأصل الله عرقاتهم ، فلما نطق به أبو خيرة مفتوحاً ، والصواب فيه الكسر علامة للنصب ؛ لأنه جمع مؤنث سالم ، قال له أبو عمرو بن العلاء : هيهات ، لان جلدك يا أبا خيرة [1].

وهذا كناية عن مخالطته الحضر ، فبدأ لا يستقيم لسانه ، وهذا ما حكاه ابن دريد حين قال : رأيت رجلاً في الوراقين بالبصرة يقرأ كتاب المنطق لابن السكيت ، ويقدم الكوفيين ، فقلت للرياشي (ت ٢٥٧ هـ) -وكان قاعداً في الوراقين – ما قال ؟ ، فقال : إنما أخذنا اللغة عن حرشة الضباب وأكلة اليرابيع ، (يريد البدو) ، وهؤلاء (يقصد الكوفيين) ، أخذوا اللغة عن أهل السواد أكلة الكواميخ والشواريز ، (يريد أهل الحضر) [2].

---

(١) في اللهجات العربية . د . إبراهيم أنيس ص ٥١ ، ٥٢ بتصرف يسير .

(٢) الفهرست لابن النديم ص ٦٤ .

ولذلك يمكن القول بأن مقياس الفصاحة عند العلماء في العصور الأولى يتحقق في العزلة التامة ، وعدم الاختلاط بغير العرب ، ومن ثم امتنع الرواة عن الأخذ من القبائل التي أثير عنها الاختلاط [1]. وهم لا يأخذون عن حضرى قط ، مع أن أولئك كانوا هم الأصل في الفصاحة العربية ، وهم الذين نزل القرآن بلغتهم ، والأصل فيهم قريش فلماذا رجحها العلماء على بقية اللهجات الأخرى ، وهي ليست قبيلة بدوية ؟.

وللإجابة على هذا نقول :

السبب في عدّ اللهجة القرشية أفصح اللهجات ، هو قدم تلك اللهجة القرشية ، وللقديم جمال يملأ القلوب والأسماع ، فأحاطوها بهالة من التقديس ؛ لتقادم عهدها ، ولفضل أهلها بما لهم من قدم راسخة في الشئون الدينية والحكم ، وأيضاً فقريش لم يداخل لهجتها من لكنة (أي كلام) الأعاجم ما داخل غيرها من القبائل التي كانت تسكن البراري ، والتي كانت على اتصال دائم بالأعاجم وذلك راجع إلى بعدها عن بلاد الأعاجم من جميع جهاتها ، فكان هذا حاجزاً طبيعياً قلّل من اتصال قريش بالأعاجم [2].

وهذا المقياس السابق الذي استنتجه العلماء ، يبين مدى دقة علماء اللغة وحرص القدماء ، وغيرهم على نقاوة اللغة وسلامتها ، فأخذوا

(١) اللهجات العربية . د . إبراهيم نجا صـ ٥٨ والمراد بالاختلاط هو الاختلاط بالأعاجم اختلاطاً دائماً ، ويتحقق ذلك في القبائل النازلة على حدودهم (اللهجات العربية . د . إبراهيم أبو سكين صـ ٦٥) .

(٢) اللهجات العربية . د . إبراهيم أبو سكين صـ ٦٥ ، ٦٦ .

عن تلك القبائل التي اطمأنوا إلى فصاحتها ، ورفضوا الأخذ عن تلك القبائل التي لم يطمئنوا إلى سلامة لغتها ؛ لمجاورتها أمماً أجنبية تتكلم بلسان غير عربي [١].

وهذه الدقة من العلماء في تحريهم القبائل والأمكنة ، كانت كذلك منهم حيال الأزمنة والعصور " فلم يأخذوا إلا عن العصور التي كان بها اللسان العربي سليماً لم يصبه بعد تبلبل أعجمي ، ولا انحراف عن أوضاع الفصحى ، ولذلك لم يأخذوا إلا عن عرب الجاهلية والإسلام ، إلى نهاية القرن الثاني الهجري ،بالنسبة إلى فصحاء الحضر ، وإلى أواسط القرن الرابع بالنسبة إلى فصحاء البادية ، وسموا هذه العصور " عصور الاحتجاج " وأهملوا ما عداها مبالغة في الدقة وحرصاً على تحرى وجوه الصدق واليقين " [٢].

وبهذا نرى مدى الدقة لدى العلماء في تحديد المقياس للفصاحة " وإذا كان التحديد المكاني والزماني فيه تشدد وتعسف ، فذلك كان في صميمه حماية للغة ، وكان سياجاً متيناً حافظاً عليها من فساد الألسنة ، وانحرافها عن سنن العرب الفصحاء .

فقد سلك القدماء سبل الحيطة والحذر ، وربما كان ثمة خارج الحدود المكانية والزمانية من يؤخذ بقوله ؛ لفصاحته ، ونقاء لغته ، إلا أنه لم يؤخذ عنه مبالغة في الحيطة والحذر ، وإذا كان لا سبيل لنا الآن إلى ما

---

(١) المقتضب في لهجات العرب . د . محمد رياض كريم صـ ١١٨ .

(٢) فقه اللغة . د . وافي صـ ١٧١ ، ١٧٢ .

ضاع من مفردات وأساليب ، نتيجة التحديد المكاني المتشدد ولا سبيل إلى تحقيق ما كنا نرجوه من القدماء من تطبيق مبدأ الانتقاء بدلاً من الحظر العام ، فليس أمامنا الآن إلا الأخذ بالحيطة ، كما أخذ القدماء بها ، ولا نتطلع إلى إعادة النظر في معيار الاحتجاج عندهم ؛ لأننا وقد بعد الزمن بنا عن زمنهم لا نأمن العثار ، ولا نضمن أمن الطريق ، صحيح أنه قد وقع تجاوز من بعض الأئمة في الاحتجاج بنطق من لم يشمله التحديد المكاني والزماني للاحتجاج ، إلا أننا يجب أن نقف عنده بعينه ولا نعمم المعيار ونطلقه .

ولا نستبعد أن يكون أولئك الذين احتج بعض أئمة اللغة بشعرهم ممن كانوا خارج النطاق المكاني ، والزماني لنطق الاحتجاج ، قد خضعوا لمعيار الانتقاء عند هؤلاء الأئمة الذي كنا نرنوا إليه ونود الأخذ به "[1].

---

(١) المقتضب في لهجات العرب صـ ١٢٠ ، ومن أراد المزيد حول مقياس الفصاحة ، والاستشهاد بالقرآن والحديث ، ومصادرا الاحتجاج فليرجع إلى كتاب فصول في فقه العربية صـ ٩٥ : ١٠٧ . وكتاب العربية خصائصها وسماتها صـ ١٨٣ : ٢٠٠ .

لغة القرآن الكريم :

ولما كان لقريش هذه المنزلة بين القبائل ، ولما كانت لهجتها بهذه المكانة من الفصاحة ، كان طبيعياً أن يتنزل القرآن الكريم بلغتها ؛ تأليفاً للعرب ، وإعجازاً لبيان الذكر ، وعلى هذا كان ضرورياً أن يتنزل القرآن الكريم بلغة قريش ، وفق حكمة إلهية كبرى . وتدبير سماوي محكم هيأ الله له أسبابه ، ووفر سبله [١].

وإذا كان القرآن الكريم قد نزل بلغة قريش فهل يعني هذا أن لغة القرآن الكريم قد خلت من آثار لهجات القبائل الأخرى ؟

وللإجابة عن ذلك قال ابن عبد البر : قول من قال : نزل بلغة قريش معناه عندي الأغلب ؛ لأن غير لغة قريش موجودة في جميع القراءات ، من تحقيق الهمزة ونحوها ، وقريش لا تهمز .

وقال الشيخ جمال الدين بن مالك : أنزل الله القرآن بلغة الحجازيين إلا قليلاً ، فإنه نزل بلغة التميميين كالإدغام في ﴿ وَمَن يُشَاقِّ ٱللَّهَ ﴾ [٢]. وفي ﴿ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ ﴾ [٣].فإن إدغام المجزوم لغة تميم ؛ ولهذا قلّ،والفك لغة الحجاز ؛ ولهذا كثر نحو ﴿ وَلْيُمْلِلِ ﴾ [٤] ،

---

(١) ملامح اللهجات العربية . د . عبد المنعم الله صـ ٤٨ .

(٢) سورة الأنفال من الآية (١٣) .

(٣) سورة المائدة من الآية (٥٤) .

(٤) سورة البقرة من الآية (٢٨٢) .

﴿ يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [1]،﴿ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴾ [2]،﴿ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى ﴾ [3]...

وقال الواسطى : ليس في القرآن حرف غريب من لغة قريش غير ثلاثة أحرف ؛ لأن كلام قريش سهل لين واضح ، وكلام العرب وحشيّ غريب ، فليس في القرآن إلا ثلاثة أحرف غريبة : ﴿ فَسَيُنْغِضُونَ ﴾ [4].

وهو تحريك الرأس : ﴿ مُّقِيتًا ﴾ [5] : مقتدراً ، ﴿ فَشَرِّدْ بِهِم ﴾ [6].

وقد ذكر السيوطي عن أبي بكر الواسطي قول الواسطى في كتابه : الإرشاد في القراءات العشر ، في القرآن من اللغات خمسون لغة :

(١) لغة قريش	(٢) وهذيل	(٣) وكنانة	(٤) وخثعم
(٥) والخزرج	(٦) وأشعر	(٧) ونمير	(٨) وقيس عيلان
(٩) وجرهم	(١٠) واليمن	(١١) وأزد شنوءة	(١٢) وكندة
(١٣) وتميم	(١٤) وحمير	(١٥) ومدين	(١٦) ولخم
(١٧) وسعد العشيرة	(١٨) وحضر موت	(١٩) وسدوس	(٢٠) والعمالقة
(٢١) وأنمار	(٢٢) وغسان	(٢٣) ومذحج	(٢٤) وخزاعة
(٢٥) وغطفان	(٢٦) وسبأ	(٢٧) وعمان	(٢٨) وبنو حنيفة

---

(١) سورة آل عمران من الآية (٣١) .

(٢) سورة طه من الآية (٣١) .

(٣) سورة طه من الآية (٨١) .

(٤) سورة الإسراء من الآية (٥١) .

(٥) سورة النساء من الآية (٨٥) .

(٦) سورة الأنفال من الآية (٥٧) . وينظر : الإتقان في علوم القرآن ٢ / ١٠٣ ، ١٠٤ .

(٢٩) وثعلبة (٣٠) وطيئ (٣١) وعامر بن صعصعة (٣٢) وأوس
(٣٣) ومزينة (٣٤) وثقيف (٣٥) وجذام (٣٦) وبلى
(٣٧) وعذرة (٣٨) وهوازن (٣٩) والنمر (٤٠) واليمامة

ومن غير العربية : الفرس ، والروم ، والنبط ، والحبشة ، والبربر ، والسريانية ، والعبرانية ، والقبط [١].

وقد ذكر الإمام السيوطي نوعاً كاملاً وهو النوع السابع والثلاثون وسماه ، فيما وقع بغير لغة الحجاز ، وأورد أمثلة كثيرة لهذه الأمر ونذكر منها ما يلي :

* " لهوا "

أخرج عن الحسن في قوله تعالى : ﴿ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا ﴾ [٢].
قال اللهو بلسان اليمن المرأة .

* " خمرا "

وأخرج الضحاك في قوله تعالى : ﴿ أَعْصِرُ خَمْرًا ﴾ [٣]. قال عنباً بلغة أهل عمان يسمون العنب خمراً .

* " بعلاً "

وأخرج ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا ﴾ [٤]. قال ربّاً بلغة أهل اليمن وأخرج عن قتادة قال : بعلا : ربّا ، بلغة أزد شنوءة .

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ٢ / ١٠٢ .
(٢) سورة الأنبياء من الآية (١٧) .
(٣) سورة يوسف من الآية (٣٦) .
(٤) سورة الصافات من الآية (١٢٥) .

* " المرجان "

وأخرج فيه عن ابن الكلبي قال : ﴿ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾[1].صغار اللؤلؤ ، بلغة اليمن .

* " ألم ييأس "

وأخرج فيه عن أبي صالح ، في قوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾[2]. قالوا : أفلم يعلموا ، بلغة هوازن ، وقال الفراء : قال الكلبي : بلغة النَّخع . وفي مسائل نافع بن الأزرق لابن عباس ﴿ يَفْتِنَكُم ﴾[3]. يضلكم بلغة هوازن .

وفيها : ﴿ بُورًا ﴾[4] : هَلْكى ، بلغة عمان .

وفيها : ﴿ فَنَقَّبُوا ﴾[5] : هربوا ، بلغة اليمن .

وفيها : ﴿ لَا يَلِتْكُم ﴾[6] : لاينقصكم ،بلغة بني عبس

وفيها : ﴿ مُرَٰغَمًا ﴾[7]. منفسحاً ، بلغة هذيل[8].

(١) سورة الرحمن من الآية (٢٢) .
(٢) سورة الرعد من الآية (٣١) .
(٣) سورة النساء من الآية (١٠١) .
(٤) سورة الفرقان من الآية (١٨) .
(٥) سورة ق من الآية (٣٦) .
(٦) سورة الحجرات من الآية (١٤) .
(٧) سورة النساء من الآية (١٠٠) .
(٨) الإتقان للسيوطي ٢ / ٩٠ وما بعدها .

وغير ذلك من الأمثلة التي ذكرها السيوطي ، وهي كثيرة مما يدل على أن القرآن به آثار لهجات القبائل الأخرى .

تفسير هذه الظاهرة :

" لقد عرفت أن اللغة القرشية ، اصطفت من القبائل الأخرى كلمات كثيرة ، واقتبست منها ألفاظاً شتى ، وجمعت ما راق لها من أساليب وتراكيب ، وهذه الكلمات المقتبسة ، وتلك الألفاظ المصطفاة التي دخلت اللسان القرشي ، صارت منسوبة إلى قريش بعد نطقهم بها ، وتداولها على ألسنتهم ، فهي قرشية الاستعمال ، وإن كانت من أصول مختلفة .

وعلى كل ... فلغة القرآن قرشية ، هذا هو الغالب ، وما سواها فقليل " [1].

---

(١) ملامح اللهجات العربية . د . عبد المنعم عبد الله ص ٥١ .

المبحث الرابع

ألقاب اللهجات العربية القديمة

ضمت اللغة العربية قبل الإسلام في الطور الثاني من أطورها – أي قبل الإسلام بحوالي قرن ونصف – لغات القبائل العربية المتفرقة في شبه الجزيرة العربية ، كلغات قريش ، وتميم وقيس ، وهذيل ، وربيعة ، ومضر ، وغيرها ، ولكل قبيلة لهجاتها الخاصة التي تتفق مع ظروفها البيئية ، والاجتماع والنفسية .

ولهجات القبائل العربية منها الفصيح والردئ ، وكلما كان أصحاب اللهجة بعيدين عن الاختلاط بغيرهم من الأمم المجاورة – كالفرس والروم – كانت لهجتهم أفصح ، كما أن قوة اللهجة وضعفها تخضع لطبيعة الإقليم ، حيث تعكس البيئة أثرها على لسان أصحابها ، وما تتسم به من خصائص من الناحية الصوتية ، أو الأدبية ، أو القواعد أو المفردات [1].

ومن ذلك ما روته كتب اللغة من صفات اللهجات الخاصة للقبائل العربية ، والتي وصفها بعض العلماء بأنها لهجات ضعيفة ، ورديئة ، أو مذمومة .

كابن فارس في الصاحبي حيث وضع بابا لها وسماه " باب اللغات المذمومة " [2].

والسيوطي في المزهر حيث خصص لها نوعاً مستقلاً ، وهو النوع الحادي عشر وسماه " معرفة الردئ والمذموم من اللغات " [3].

---

(١) دراسات في اللهجات العربية . د . فتحي الدابولي صـ ٤٧ .

(٢) الصاحبي صـ ٣٥ .

(٣) المزهر ١ / ٢٢١ .

وقد وضع اللغويون القدامى ألقاباً وصفاتاً لهذه اللهجات عندما تحدثوا عنها وأرادوا التعريف بها وإلى أي قبيلة تنسب كل لهجة منها ، وذكروا لذلك أمثلة ، وهي مسموعة في لهجة كل قبيلة ، وكانت اللهجة من صفاتها الخاصة ، وهذه اللهجات تسمى اللهجات الملقبة وهي ما يلي :

"(١) الكشكشة :

تعزي هذه الظاهرة إلى " ربيعة ، ومضر " و " ناس كثير من تميم وناس من أسد " و " بكر " و " بني عمرو بن تميم " ، و " بني أسد وتميم " [١] .

ومعنى الكشكشة ، أن يجعل المتكلمون بها بعد كاف الخطاب في المؤنث شيئا فيقولون في " رأيتكِ " : " رأيتكش " وفي " بكِ " : " بكش " ، وفي " عليكِ " : " عليكش " قصدا للفرق بين المذكر والمؤنث ؛ لأن الكسرة الدالة على التأنيث تخفى في الوقف .

والمتكلمون بهذه الظاهرة يختلفون في مفهومها ، فمنهم من يثبتها في الوقف فقط وهو الأشهر ، ومنهم من يثبتها وصلا ووقفا .

والبعض يجعل السين مكان الكاف ويكسرها في الوصل ويسكنها في الوقف فيقول في " منك " منش " ، وفي " عليك " عليش " ، وعليه ، قراءة مَنْ قرأ " ريش تحتش سريا " [٢] في قوله تعالى : (قد جعل ربك تحتك سريا) [٣] .

---

(١) ينظر : الكتاب ١٩٩/٤ ، والكامل ٣٧١/١ ، وشرح المفصل ٤٩/٩ ، واللسان (كشش) وقارن بفصول في فقه العربية صـ ١٢٢، ولهجات العرب . أحمد تيمور صـ ٦١ : ٧٩ .

(٢) شرح المفصل ٤٩/٩ ، وهي قراءة شاذة .

(٣) مريم من الآية (٢٤) .

ومن شواهد إجرائها في الوصل مجري الوقف قول مجنون بني عامر :

فعيناش عيناها وجيدُش جيدُها
سوي أن عظم الساق منش دقيق [1]

ونلاحظ على بعض أهالي الشرقية متابعة أصحاب هذه اللهجة في قلب الكاف شينا مطلقاً حيث نسمع بعضهم يقول : " الزنشلون " بدل " الزنكلون " فلعل بعض أصحاب اللهجة هاجروا إلى بعض مناطق الشرقية وبعد أن كانت اللهجة خاصة بكاف المؤنث أصبحت عامة في كل كاف .

وليس هناك صلة بين هذه الشين والشين التي تزاد في عاميتنا في حالة النفي مثل قولنا (مكلمكش) بدل (لم يكلمك) وقولنا " معندكش " بدل (ليس عندك) وقولنا (مليش) بدل (ليس لي) ... الخ .

(٢) الكسكسة :

نسبها البعض إلى قبيلة (بكر) [٢] وهي الأكثر ، ونسبت كذلك إلى " ربيعة " و " مضر " [٣] و " هوازن " [٤] و" تميم " [٥] .

وهي أن يجعل المتكلمون بها بعد كاف المخاطبة ، أو مكانها سينا في الوقف نحو (أعطيتكس) في " أعطيتك " و (أكرمتكس) في (أكرمتك) و (منس) في (منك) وعنس في (عنك) .

---

(١) ينظر : شرح المفصل ٤٨/٩ ، ٤٩ .
(٢) نفسه ٤٩/٩، والثعالبي في فقه اللغة صـ ٧٣ ، (ط بيروت) والكامل ٣٧١/١ .
(٣) المزهر ٢٢١/١ .
(٤) الخصائص ١٢/٢ ، والسان (كسس) .
(٥) القاموس المحيط (كس) .

والفراء يجعل الكسكسة عكس الكشكشة ، أي الكسكسة : أن يجعل بعد كاف المذكر أو مكانها سينا قصدا للفرق بينهما [١] .

(٣) الفحفحة :

تعزي هذه الظاهرة إلى " هذيل " وحدها [٢] . وهي عبارة عن : إبدال الحاء من " حتى " عينا يقولون : "عتي بدل " حتى " ومنه قراءة " ابن مسعود " عتي حين " [٣] بدل " حتى حين " [٤] .

(٤) العنعنة :

تعزي إلى " تميم " [٥] وقد تنسب إلى قضاعة أو إلى أسد وقيس ومن جاروهم [٦] ، ومفهوم العنعنة يختلف من قبيلة إلى أخرى .

فهي عند تميم : إبدال الهمزة المبدوء بها عيناً فيقولون في " أنك " (عنك) وفي " أَسْلم " : " عَسْلم " .

والبعض يخص العنعنة بالهمزة المفتوحة في " أن " وأنشد يعقوب :

فلا تلهك الدنيا عن الدين واعتمل
لآخرة لابد عَنْ ستصيرها [٧]

---

(١) أي الكشكشة والكسكسة . انظر المزهر ٢٢١/١ وبقايا اللهجات العربية في الأدب العربي – أنوليتمان ٣/٦ ، (مقال نشر في مجلة كلية الآداب جامعة / فؤاد الأول ، جـ١ مايو سنة ١٩٨٤م) .

(٢) المزهر ٢٢٢/١، دراسات في فقه اللغة د/ صبحي الصالح / ٦٨ .

(٣) الكشاف ، الزمخشري ٢٥٥/٢.

(٤) يوسف من الآية / ٣٥ .

(٥) الخصائص ١١/٢ .

(٦) اللسان (عنن) وقارن بفصول في فقه العربية : ١١٥ – ١١٧ .

(٧) اللسان (عنن) .

أراد أنْ ، قال الفراء : " لغة قريش ومن جاورهم " أنّ " وتميم وقيس وأسد ومن جاورهم يجعلون ألف أن إذا كانت مفتوح عينا [١] .

والبعض يجعلها مكان الهمزة مطلقا ومنه قول بعض العرب " أشهد عنك رسول الله " وقال بعضهم " سمعت عَنَّ فلانا قال كذا " يريدون " أنَّ " وجاء عكس ذلك في كلامهم أي إبدال العين همزة : حكَى محمد بن يحيى العنبري أن سمع (كثيرا من أهل مكة يقولون : يا أبْد الله " [٢] .

(٥) الطمطانية : (في لغة حِمْير وطيئ)

يجعلون لام التعريف ميما فيقولون في " طاب الهواء " طاب امْهَوَاء ، ومنه الحديث المشهور الذي رواه النمر بن تولَبْ عن رسول الله (ﷺ) : " ليس من امْبَر امْصيام في امسْفر " أي ليس من البر الصيام في السفر ، ويستدل النحويون بهذه اللهجة على أن " أمْ " تأتي للتعريف .

وقيل إن هذه اللغة مختصة بالأسماء التي لا تُدْغِم لام التعريف في أولها نحو : غلام وكتاب بخلاف نحو : رجل ، وقد حكى بعض طلبة اليمن أنه سمع في بلادهم مَنْ يقول " خُذ الرمح وأركب امْفرس " وعلى ذلك تكون هذه اللهجة لبعضهم لا لجميعهم ، لكننا إذا نظرنا إلى الحديث السابق ، وجدناها دخلت على النوعين ، وهو الصحيح في هذه اللغة [٣] .

---

(١) اللسان (عنن) .

(٢) الصاحبي صـ ٣٥ . ولهجات تيمور صـ ٥٣ .

(٣) مغني اللبيب – ابن هشام ٤٨/١٢ ، ٤٩ .

وقيل إن بعض أهل اليمن يريدون " أم " في كلامهم فيقولون : " أم نحن نطعم الطعام " أي نحن نطعم [١] ، فلعل ذلك أساس لتلك اللهجة وأن " أم " كانت في الأصل زائدة ثم استعملت بدل أداة التعريف .

وهناك تفسير آخر للطمطمانية يقول : هي أن يكون الكلام مشتبها بكلام العجم ورجل طمطم أي في لسانه عجمة لا يفصح قال عنترة :

تأوي له حِزَقُ النعام كما أوت
حِزَقٌ يَمانية لِأعَجَمَ طِمْطِم [٢]

(٦) التلتلة :

تنسب هذه الظاهرة إلى قبيلة بهراء [٣] ونسبها صاحب اللسان إلى غيرها [٤] ، وهي عبارة عن : كسر حروف المضارعة جاء في اللسان ، وتقول أنت تِتَّقي الله وتِتَّقي الله على لغة مَنْ قال : تَعْلم وتِعْلم ، وتِعلم بالكسر لغة قيس وتميم وأسد وربيعة وعامة العرب ، وأما أهل الحجاز وقوم من أعجاز هوازن وأزد السراة وبعض هديل فيقولون : تَعلم ، والقرآن عليها " [٥] .

---

(١) درة الغواص للحريري / ٢٤٩ .

(٢) الحزَق : الجماعات ، النعام يطلق على الواحد الذكر ، كالظليم ، ورجل أعجم طمطم إذا كان لا يفهم الكلام ، والمعنى إن هذا الظليم يصوت وينقنق لقلص النعام فيأوين إليه كما أوت هذه الحزق اليمانية لراع أعجم . ينظر : شرح المفصل ٤٩/٩ ، والكامل ٣٧٢/١ ، ولهجات العرب صـ ١٠٣.

(٣) انظر درة الغواص صـ ٢٥٠.

(٤) اللسان ١٥ /٤٠٢، ٤٠٣ (و – ق – ى).

(٥) نفسه .

وقال الفراء في حركة النون في : نَسْتعين " هي مفتوحة في لغة قريش ، وأسد ، وغيرهم يقولونها بكسر النون " [١] .

وهذه اللهجة أي كسر حروف المضارعة لا تزال شائعة في لهجتنا العامية إلى اليوم فنقول في العامية " قيمته نِمْتحن أو نِسافر أو نِلعب " وهكذا [٢] .

وقري في الشواذ : " فبذلك فَلْتِفْرَحوا " [٣] .

(٧) العجعجة : في لغة قُضَاعة وفُقَيْم :

وهي جعل الياء جيما فيقولون : في تميمي ، وعشي : تميمج وعشج ، سواء أكانت الياء مشددة كما في النسب في قول الراجز :

خالي عُوَيْفٌ وأبو عَلِجّ

المُطعمان اللحم بالعَشِجّ

وبالغداة فِلَقَ البَرْنِجّ [٤]

أراد أبو علي ، والعشيّ ، والبَرنيّ .

أم كان الياء مخففة يقولون : هذا رَاعِج خرج مَعِج ، أي راعي خرج معي[٥] .

---

(١) الصاحبي صـ ٢٩، ومثله في المزهر ٢٥٥/١ ، وقارن بالخصائص ١١/٢، ولهجات العرب صـ٨٦-١٠١.

(٢) ينظر : فصول في فقه العربية صـ١٠٦، ١٠٧ .

(٣) يونس من الآية (٥٨) ، ينظر : للسان العرب ١٣ / ١٠ (أ - د - ن) ، وقرأ أيضاً في الشواذ (فليفرحوا) بالخطاب وكسر لام الأمر ، أي فلِتفْرحوا ، ينظر : القراءات الشاذة . الشيخ . عبد الفتاح القاضي صـ ٤١ .

(٤) فِلَق أي قطع والبَرني : ضرب من التمر أحمر مشرب بصفرة ينظر : الصاحبي صـ ٣٧ .

(٥) ينظر : للسان العرب ٢ / ٣٢٠ (ع - ج - ج) .

والبعض يقيد الياء بوجود العين معها ، ولكن الأصح عدم وجود هذا القيد بدليل عدم وجود العين في " البرني " .

ومن هنا نجد " فُقَيْم " من بني حنظلة تجعل الياء جيما مطلقا .

" قال أبو عمرو : وقلت لرجل من بنى حنظلة : مِمَّنْ أنت ؟ فقال : فقيمج فقلتُ : مِنْ أيهم ؟ فقال : مُرِّج " (١) أراد : فقيمي ومُرِّي .

وهناك صلة قوية بين الياء الصامتة والجيم الفصيحة أساسها اتحاد المخرج بينهما ، فهما من وسط اللسان وما يقابله من الحنك الأعلى ، وهما مشتركان أيضاً في كثير من الصفات الصوتية ؛ فهما مجهوران ومنفتحان ومصمتان ، وفي شرح المفصل " أختان في الجهر والمخرج " (٢) .

ومن ثم أبدلت كل منهما من الأخرى ، وإذا كانت العجعجة إبدال الياء جيما ، فقد ورد كذلك عن العرب إبدال الجيم ياء . روي أبو زيد أن بعض بني تميم قال : " " شِيَرة " بدل شَجرة وأنشدت أم الهيثم :

إذا لم يكن فيكن ظِل ولا جني

فأبعدكن الله منَ شَيَرات (٣)

وقرئ في الشاذ " ولا تقربا هذه الشيرة " وهي لغة أبدلت الجيم فيها ياء لقربها منها في المخرج وتكون " الشيرة " بكسر الشين لئلا تقلب الياء ألفا فتصير " شارة " وهذا غريب حسن (٤) .

---

(١) شرح المفصل ٥٠/٥ ، ولهجات العرب لأحمد تيمور ١٥ - ٣٨ .

(٢) شرح المفصل ٥٠/٥ ، و فصول في فقه العربية صـ ١١٢ .

(٣) القلب والإبدال - ابن السكيت صـ ٩٥، ٩٦ .

(٤) ينظر : المزهر ٨٨/٢ ، وإملاء ما من به الرحمن للعكبري ٢٠/١ ..

(٨) الاستنطاء :

في لغة سعد بن بكر وهذيل والأزد وقيس والأنصار وأهل اليمن [١]، ومعنى هذه الظاهرة قلب العين الساكنة نونا، وهذه الظاهرة لم ترد في كتب اللغة إلا في قلب العين نونا في كلمة " أعطى " قالوا " أنطى " في " أعطى " ومنه قراءة " إنا أنطيناك الكوثر " [٢] وقالوا : منطي في " معطي " ومنه حديث الدعاء " لا مانع لما أنطيت ولا منطي لما منعت " [٣].

(٩) الشنشنة في لغة اليمن :

وهي جعل الكاف شينًا مطلقاً يقولون : لَبَّيش اللهم لبيش في " لبيك اللهم لبيك " ولا تزال هذه اللهجة شائعة في عامية حضرموت، يقولون عليش بدلا من عليك [٤].

(١٠) الوتم في لغة اليمن :

وهي قلب السين تاء وشاهده قول عَلْباء بن أَرْقم اليَشْكُري :

يا قاتل الله بني السِّعلات
عَمْرو بن يَرْبوع شِرار النات
غير أعِفَّاء ولا أكْيَات

يريد : الناس وأكياس، فقلب السين تاء [٥].

---

(١) ينظر : في اللهجات العربية د/ أنيس ص ١٤٠ – ١٤٢.

(٢) نسبت هذه القراءة إلى رسول الله (ﷺ). انظر : الكشاف ٤/ ٢٣٧.

(٣) ينظر : للسان العرب ١٥ / ٣٣٣ (ن – ط – و).

(٤) المزهر ٢٢٢/١ وفصول في فقه العربية ص ١٠٨، ولهجات العرب ص ١٢٢.

(٥) ينظر : الخصائص ٥٣/٢، وثلاثة كتب في الحروف للخليل والرازي ص ١٥٠.

(١١) الـوكْم : في لغـة ربـيعة وهـم قـوم مـن كلـب ونـاس مـن بكر بن وائل [١] :.

وهو عبارة عن كسر الكاف المضمومة من ضمير المخاطبين ، المتصل (كُـمْ) إذا سـبق بكسـرة ، أو يـاء للاتـباع والخفـة يقولـون في (عليكُم : عليكِم) [٢] وفي بِكُم : بِكِم قال الحُطَيْئة :

وإنْ قال مولاهم على جُلّ حادثٍ
من الدهر رُدُّوا فضل أحلامِكِمْ رَدُّوا

فأتبع الكسرة الكسرة حيث كان أخف عليهم من أن يضموا بعد الكسر وهي رديئة جداً [٣] .

(١٢) الوَهْم : في لغة كلب وقوم من ربيعة [٤] :

يكسرون الهاء التي حقها الضم فيقولون : مِنْهِم وعَنْهِم في مِنْهُم وعَنْهُم ، وقياس حركة ضمير الهاء في اللغة الفصحى : " الضم " تقول : منه وربُّهُ ما له يُسْبق بكسرة أوْ ياء فيكسر تقول : عَلَيْهِ وبهِ .

أما قبيلة كلب وبعض ربيعة فيكسرون هاء الضمير مطلقا ، سواء سبق بكسرة أو ياء أم لم يسبق طرد اللباب على وتيرة واحد [٥]

---

(١) الكتاب لسيبويه ١٩٧/٤، ولهجات العرب صـ ١٠٩ .

(٢) القاموس (وكم) .

(٣) الكتاب لسيبويه ١٩٧/٤ وقارن بفصول في فقه العربية صـ ١٣٣ .

(٤) المزهر ٢٢٢/١ .

(٥) نفسه ، والكتاب لسيبويه ١٩٦/٤ .

(١٣) اللَّخْلَخانيَّةُ : تنسب في الأصل إلى نطق أهل العراق [١] :

ومعناها : العجمة في المنطق يقال : رجل لَخْلَخاني ، إذا كان لا يفصح ، قال أبو عبيدة : اللخلخانية : العُجْمة " وفي حديث معاوية قال : أي الناس أفصح ؟ فقال رجل : قوم ارتفعوا عن لخلخانية العراق قال هي اللكنة في الكلام والعجمة ، وقيل : هو منسوب إلى لخلخانية وهي قبيلة ، وقيل : موضع ، ومنه الحديث : " كنا بموضع كذا وكذا فأتي رجل فيه لخلخانية " [٢] .

ثم حدد أبو منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) مفهوماً آخر لهذه اللهجة حيث قال : " اللخلخانية تعرض في لغة أعراب الشِّحْر وعُمَان كقولهم : مشا الله أي ما شاء الله " [٣] .

ولا ريب – أن اللخلخانية كثيرة الشيوع في عاميتنا – الآن – وهي نوع من الترخيم ، والسهولة في النطق ، فكثيرا ما نسمع من يقول : يعني فلان مشا الله قوي " .

(١٤) الغمغمة : تُنْسب هذه اللهجة لقضاعة [٤] :

الغمغمة والتغمغم : الكلام الذي لا يُبَيَّن وقيل هما : أصوات الثيران عند الذُّعر وأصوات الأبطال في الوعي عند القتال . قال الراعي :

يَفْلِقْن كُلَّ ساعدٍ وجُمْجُمَة

ضَرْبا فلا نَسْمع إلا غَمْغَمة [٥] .

---

(١) ينظر : لسان العرب ٣ / ٥١ (ل – خ – خ) .

(٢) نفسه ، وشرح المفصل ٤٩/٩ .

(٣) انظر فقه اللغة للثعالبي صـ ٧٣، وعنه في المزهر صـ ٢٢٣ .

(٤) الكامل للمبرد ٣٧١/١ .

(٥) اللسان ١٢ /٤٤٤ (غ – م – غ – م) .

قال ابن يعيش : " والغمغمة أن لا يتبين الكلام " (١) فكأن الغمغمة حذف أصوات من الكلمات فلا يعرف هذه اللهجة إلا أصحابها فقط .

(١٥) عَجْرفية ضبة وتضجع قيس :

نسبت كتب اللغة العجرفية لضبة والتضجع لقيس (٢) .

ومعنى العَجْرَفِيّة : الجَفْوة في الكلام ، قال ابن سيدة " وعَجْرَفيّة ضبة أراها تقعُّرَهم في الكلام " (٣) ، فكأنها زيادة عن حق الكلام في آدائه . وأما تضجع قيس فلم تفسره كتب اللغة التي تعرضت لتوضيح اللهجات الخاصة بالقبائل مثلما تعرضت لتوضيح صفات أخرى كالتلتلة والعنعنة ويبدو لي أن التضجع في الكلام معناه : خفاؤه ، وعدم آدائه كاملا ، جاء في اللسان " التضجيع في الأمر : التقصير فيه ... وتَضَجَّع في الأمر ، إذا تقعد ولم يقم به ، ويفهم من معنى التضجع الإمالة أي إمالة الحرف إلى الكسر (٤) .

وبهذا يقرب معنى التضجع من معنى العجرفية ولهذا ذكرتهما معا – لاسيما – وأن هاتين القبيلتين بدويتان ، فيكون في كلامهما هذا الخفاء وتلك الجفوة التي نشاهدها في الأفراد الذين يعيشون حياة منعزلة بعيدا عن سكان المدن .

(١٦) القطعة تُعْزي إلى طيئ :

ومعناها : قطع اللفظ قبل تمامه جاء في اللسان " القطعة في طيئ كالعنعنة في تميم وهو أن يقول : يا أبا الحكا ، يريد يا أبا الحكَم فيقطع كلامه عن إبانة بقية الكلمة " (٥) .

---

(١) شرح المفصل ٤٩/٩ .

(٢) الخصائص ١١/٢ والمزهر ٢١١/١ .

(٣) اللسان ٩ / ٢٣٤ (ع – ج – ر – ف) .

(٤) اللسان ٨ / ٢٢٠ (ض – ج – ع) ولهجات العرب صـ ١٢٨ .

(٥) ينظر : العين للخليل ١ / ١٣٧ (ق – ط – ع) واللسان ٨ / ٢٨٦ (ق – ط – ع) .

ولا ريب في أن هذه اللهجة شائعة في عامية بعض مناطق الإقليم العصري كالشرقية والغربية حيث نسمعهم يقطعون أواخر الكلمات فنسمع " ياوَلَ " يريد " يا ولد " و " السلام عليكُ " يريد " السلام عليكم " ، " يا مْحَمّ " يريد " يا مُحَمَّد " " يا بِهْ " بدل " يا بنت " كما أنها شائعة – الآن – في بعض مناطق اليمن يقولون : " يا بَلْحَكم " [١] .

(١٧) الفَشْفَشَةُ في تغلب والفراتية في العراق :

ذُكرت اللهجتان في بعض كتب اللغة دون تفسير [٢] ولعلهما يرجعان إلى الإبهام وعدم الوضوح في الكلام .

(١٨) وهناك لهجات لم يوضع لها لقب ونُسِبتْ لقبيلة معينة أَوْلم تُنْسب :

أ– من ذلك : ما نُسِب إلى قبيلة طئ من جواز قلب الياء ألفاً في كل ما آخره ياء مفتوحة مكسور ما قبلها تخفيفا ، سواء أكان ذلك في الفعل كقولهم : بَقَي في بَقِي ، و " رَضَا " في " رَضِيَ " أم كان في الاسم كقولهم في " ناصِيَةَ " نَاصَاة ، وفي " ناحِيَة : ناحاة ، وقلب الياء ألفاً في هذه اللهجة يسْتتبع قلب الكسرة التي قبلها فتحة ؛ لتجانس الفتحة قبل الألف وقيد العلامة الرضي هذه القاعدة بألا تكون فتحة الياء فتحة إعرابية [٣] .

ب– وما نُسب إلى بني مازن من أنهم كانوا يبدلون من الباء ميما ومن الميم باء (كما ورد في حكاية أبي عثمان المازني مع الخليفة الواثق حين سأله الخليفة : بَاسْمُك (يعني ما اسمك ؟) قال : اسمي مكر يعني

---

(١) ينظر فصول في فقه العربية صـ ١٢٠ وقارن بمعجم تيمور في الألفاظ العامية ١٤٦/١ ولهجات العرب ، أحمد تيمور صـ ١٤ .

(٢) ينظر : لهجات العرب صـ ١٢٩، ١٣٠ .

(٣) لهجات العرب صـ ١٣٥ وما بعدها ، واللسان ١٥ / ٣٢٧ (ن – ص – و) .

بكر ... " ومن ذلك أنهم يلفظون اسم مكة (بكة) وقول ابن جني : بنات مخر ، وبخر ..

جـ- وما رواه الخليل عن البدل من الفاء والباء والميم في لهجة الخفاجيين من بني عقيل " قيل : عكب بمعنى : عكف ، وقيل في لسان العرب " إن كلمة : أقصف بدل : أقصم في لهجة ما "

د- ومن ذلك ما ورد في لهجة تميم من إبدال اللام نونا يقولون : لعَنً بدل " لعلَ " ومن حذف النون يقولون : مذ في منذ ، وتحذف النون أيضاً من " سنبلة " لتصير " سَبُولة " أو " سَبَلة " عند بني همدان ، أما في لهجة بني طيئ فتبدل الياء من النون يقولون " إيان " في " إنسان " .

هـ- من ذلك أن بني أسد وبني قضاعة وبني هذيل وبني تميم يبدلون الدال تاء ، فيقولون " سبنتي " بمعنى نمر ، في " سبندي " ، تَفْتر ، في دفتر ، وفُنْتُقا ، في فُنْدُقا [1] .

ومما سبق عن صفات اللهجات الضعيفة يتضح لنا أن اللهجة الواحدة قد يُنْسب إليها أكثر من صفة من الصفات الضعيفة كلهجة طيئ مثلا "[2] .

---

(١) ينظر : بقايا اللهجات العربية صـ ٨ : ١٥ .

(٢) ينظر : دراسات في اللهجات العربية . د . فتحي الدابولي صـ ٤٩ وما بعدها ومن أراد المزيد حول هذه الظواهر اللهجية ، فليرجع إلى : اللهجات العربية . د . إبراهيم أبو سكين صـ ٩٩ وما بعدها ، والمقتضب في لهجات العرب . د . محمد كريم صـ ١٢٦ وما بعدها ، واللهجات في اللسان العربي . د . عبد الحليم محمد صـ ٧٢ وما بعدها . واللهجات العربية في التراث . د . أحمد علم الدين ١ / ٣٥٩ وما بعدها ، واللهجات العربية . د . إبراهيم نجا صـ ٨١ وما بعدها . وفصول في فقه العربية . د . رمضان عبد التواب صـ ١١٦ وما بعدها .

اللغة النموذجية واللهجات :

تمسكت كل قبيلة من العرب قبل الإسلام بصفات كلامية ، خاصة في حديثها العادي ، في حين أن الخاصة من الناس في هذه القبائل لجئوا إلى اللغة النموذجية التي نشأت في مكة في شئونهم الجدية ، ونظم الشعر والخطابة ، حتى إذا ما عادوا إلى أقوامهم ، تحدثوا إليهم في شئونهم العامة بمثل لهجاتهم ، حتى لا تنفر منهم نفوس أبناء جلدتهم ، فقد كانوا يرون عيباً أن يتحدثوا إلى قبائلهم بغير تلك اللهجات .

وقد جاءت اللغة النموذجية نتيجة امتزاج عدة صفات نسبت إلى قبائل عدة ، أخذت قريش منها ما استحسنته ، وضمته إلى لغتها ، فجاءت مزيجاً منسجم القواعد والأصول ، ونزل القرآن الكريم مؤكداً هذا الانسجام ، فرأينا العديد من الآثار الأدبية من شعر ونثر صحت روايته ، يسير على نفس الدرب .

وقد يسرت القراءات على العامة من العرب نطق القرآن الكريم بما تستطيعه ألسنتهم ، وما يوافق لهجاتهم ، وروت لنا كتب القراءات نماذج عديدة من لهجات العرب ، ما زالت محل دراسة الدارسين ، ينهلون من معينها ، ويقفون كل صباح على جديد فيها .

وقد أراد الله للإسلام أن يتألف قلوب الناس كافة ، فسمح للعامة أن يقرأوا القرآن ببعض الصفات ، التي لم يكن في مقدورهم آداؤها في الفصحى ، فالقرآن وإن كان قد نزل بلغة أدبية موحدة ، ولهجة واحدة ، إلا أنه قد أبيحت قراءته ببعض تلك الصفات ؛ تيسيراً على عامة العرب .

وقد حوت القراءات القرآنية الكثير من صفات اللهجات العربية القديمة ، والتي يمكن أن تكون صورة واضحة لظاهرة تعدد اللهجات قديماً [1] .

كذلك اشتملت كثير من كتب اللغة والأدب وغيرهما على العديد من الأمثلة ، والكلمات والأبيات الشعرية ، التي هي في مجملها تمثل العديد من اللهجات العربية القديمة ، وتعطي صورة واضحة أيضاً لتعدد اللهجات .

(١) اللهجات في اللسان العربي . د . عبد الحليم محمد صـ ٣٤ .

المبحث الخامس : ظواهر لهجية

ويمكن القول بأن لهجات العرب يمكن حصرها تحت ظواهر عديدة ، ويمكن الوقوف معها بالتعريف والشرح والتمثيل ومن هذه الظواهر ما يلي :-

(١) الهمز والتسهيل :

من الظواهر التي شغلت علماء اللغة العربية قديماً وحديثاً ظاهرة الهمز (التحقيق) والتسهيل

معنى الهمز قال صاحب اللسان : " النبر بالكلام : الهمز ... والنبر مصدر نَبَرَ الحَرْفَ ينبره نبراً همزه ، وفي الحديث : قال رجل للنبي (ﷺ) : يا نبئَ الله ، فقال : لا تَنْبِر باسمي أي لا تهمز ، والنبر : همز الحرف ... والمنبور : المهموز . والنبرة : الهمزة "[١].

" والهمز مثل الغمز والضغط ، ومنه الهمز في الكلام ، لأنه يضغط ، وقد همزت الحرف فانهمز "[٢].

والتعريف اللغوي يشمل الاصطلاحي وغيره : " إن التعريف اللغوي للهمز يخصه بمعنى عام فهو كيفية في آداء الكلام ، وبعبارة أدق : كيفية في نطق الحروف أو الأصوات اللغوية ، حين يخصها الناطق بمزيد من التحقيق أو الضغط ، لا يستأثر بذلك حرف دون آخر . فإذا ضغط الناطق على مقطع الخاء في الفعل (أخذه) كانت الخاء هنا مهموزة ، وإذا ضغط على مقطع " الدال " كانت مهموزة ، وكذلك إذا ضغط على مقطع " الألف " في بدايته كانت مهموزة "[٣].

---

(١) لسان العرب ١٨٩/٥ (نبر) .

(٢) لسان العرب ٤٢٦/٥ (همز) .

(٣) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث د. عبد الصبور شاهين صـ٢٢.

وقد ذكر ابن جني : " أن الألف التي في أول حروف المعجم هي صورة الهمزة في الحقيقة " [1]. وهذا يدل على أنه قد خلط بين الألف والهمزة ، ثم بين العلة في كلامه فقال : " وإنما كتبت الهمزة واواً مرة وياء أخرى على مذهب أهل الحجاز في التخفيف ، ولو أريد تحقيقها البتة لوجب أن تكتب ألفاً على كل حال . يدل على صحة ذلك أنك إذا أوقعتها موقعاً لا يمكن فيه تخفيفها ولا تكون فيه إلا محققة ، لم يجز أن تكتب ألفاً ، مفتوحة كانت ، أو مضمومة ، أو مكسورة ، وذلك إذا وقعت أولاً ، نحو : أخَذ ، وأُخِذ وإبراهيم ، فلما وقعت موقعاً – لا بد فيه من تحقيقها – اجتُمع على كتبها ألفاً . وعلى هذا وُجدت في بعض المصاحف ﴿ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [2] بالألف بل الواو .ووجد فيها أيضاً ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ﴾[3]. بالألف بعد الياء . وإنما ذلك ؛ لتوكيد التحقيق " [4].

(١) سر صناعة الإعراب ٤١/١ .

(٢) سورة الأنعام : من الآية (٥) : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾.

(٣) سورة الإسراء من الآية (٤٤) .

(٤) سر صناعة الإعراب ٤٢/١ .

مخرج الهمزة :

الهمزة المحققة عند القدماء : صوت حلقي يخرج من أقصى الحلق(١).

وعند المحدثين مخرجها " من المزمار نفسه إذ عند النطق بالهمزة تنطبق فتحة المزمار انطباقاً تاماً عنه بالهمزة " (٢).

إذاً صوت الهمزة تغلق معه الأوتار الصوتية إغلاقاً تاماً يمنع مرور الهواء ، ثم تنفتح الأوتار الصوتية فجأة فيخرج الهواء منطلقاً متفجراً فهو صوت حنجري .

صفاتها :

وصف سيبويه الهمزة بأنها صوت مجهور شديد (٣).

وذهب كثير من المحدثين إلى أنها مهموسة ؛ لأن الهمس يعني عدم التذبذب (٤). ومنهم من قال بأن الهمزة صوت لا هو بالمجهور ولا هو بالمهموس ؛ لأن فتحة المزمار مغلقة إغلاقاً تاماً (٥). ومنهم من قال بأنها مجهورة مثل د/ جبل و د/ علي عبد الواحد وافي (٦).

---

(١) ينظر : الكتاب لسيبويه ٤٣٣/٤ ، وسر الصناعة ٥٢/١ ، والمزهر ٩٠/١ .

(٢) الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس صـ ٨٩ ، ٩٠ . وينظر : خصائص لهجتي تميم وقريش د. الموافي الرفاعي البيلي صـ٥٠- .

(٣) الكتاب لسيبويه ٤٣٤/٤ .

(٤) أصوات اللغة د. عبد الرحمن أيوب صـ ١٨٣- وينظر : المدخل إلى علم اللغة د. رمضان عبد التواب صـ ٥٦، وأصوات اللغة العربية د. صلاح عيطة صـ ١٦٢، وعلم الأصوات لبرنيل مالبرج ترجمة د. عبد الصبور شاهين صـ ١١٠ .

(٥) ينظر : الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس صـ ٩٠ . وفي اللهجات العربية د.أنيس صـ٧٧- .

(٦) ينظر : أصوات اللغة العربية د. حبل صـ ١٣٣ ، وفقه اللغة د. وافي صـ ١٦١.

أما الهمزة المسهلة : وتسمى بهمزة بين بين [١]. ويصفها ابن جني بالمخففة ثم يبين ذلك فيقول : " ومعنى قول سيبويه (بين بين) أي هي بين الهمزة وبين الحرف الذي منه حركتها ، وإن كانت مفتوحة فهي بين الهمزة والألف ، وإن كانت مكسورة فهي بين الهمزة والياء ، وإن كانت مضمومة فهي بين الهمزة والواو ، إلا أنها ليس لها تمكن الهمزة المحققة ، وهي مع ما ذكرنا من أمرها في ضعفها وقلة تمكنها بزنة المحققة ، ولا تقع الهمزة المخففة أولاً ؛ لقربها بالضعف من الساكن ، فالمفتوحة نحو قولك في : سأل ، سالَ ، والمكسورة نحو قولك في : سَئِمَ : سَيم ، والمضمومة نحو قولك في : لَؤُم : لَوُمَ " [٢].

موقف القبائل العربية من الهمز والتسهيل :

" من الحقائق العامة المشهورة عن النطق العربي أن الهمز كان خاصة من الخصائص البدوية التي اشتهرت بها قبائل وسط الجزيرة وشرقيها تميم وما جاورها ، وأن عدم الهمز خاصة حضرية ، امتازت بها لهجة القبائل في شمال الجزيرة وغربيها " [٣].

وقد ذكر ذلك أبو زيد فقال : " أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة والمدينة لا ينبرون ، وقف عليها عيسى بن عمر فقال : ما آخذ من قول تميم إلا بالنبر ، وهم أصحاب النبر ، وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا " [٤].

---

(١) ينظر : الكتاب لسيبويه ٥٤١/١ .
(٢) سر صناعة الإعراب ٤٨/١.
(٣) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث د. عبد الصبور شاهين صـ٣٠ .
(٤) لسان العرب ٢٢/١ .

وقال د/ إبراهيم أنيس : " تكاد تجمع الروايات على أن التزام الهمز وتحقيقه من خصائص تميم ، في حين أن القرشيين يتخلصون منها بحذفها ، أو تسهيلها ، أو قلبها إلى حرف مد . على أنه قد روي – أيضاً – أن بعضاً من تميم يقلبون الهمزة الساكنة إلى صوت لين من جنس حركة ما قبلها فيقولون في : رأس – بئر – لؤم .

على الترتيب : راس – بير – لوم " (١).

ولما كان النطق بصوت الهمزة يحتاج إلى جهد عضلي كبير ؛ لأنه له خاصية تميزه عن غيره ، من هنا ساغ تخفيفها وتسهيلها عند بعض القبائل . فقد ذكر ابن يعيش في المفصل فقال : " اعلم أن الهمزة حرف شديد مستقل يخرج من أقصى الحلق إذا كان من أدخل الحروف في الحلق فاستثقل النطق به إذ كان إخراجه كالتهوع ، فلذلك من الاستثقال ساغ فيها التخفيف ، وهو لغة قريش ، وأكثر أهل الحجاز ، وهو نوع استحسان لثقل الهمزة والتحقيق لغة تميم وقيس " (٢).

وقد علل د/ أنيس صعوبة النطق بالهمزة مما كان له أكبر الأثر في ميل بعض القبائل إلى تخفيفها فقال : " للهمزة حكم خاص يخالف جميع الأصوات الأخرى ؛ لأنها صوت ليس بالمجهور ولا بالمهموس ، وهي أكثر الأصوات الساكنة شدة ،وعملية النطق بها – وهي محققة – من أشق العمليات الصوتية ... لهذا مالت كل اللهجات السامية إلى التخلص منها في النطق ، فليس غريباً أن يتخلص منها – أيضاً – معظم الحجازيين .... على أنه من الممكن أن ننسب تحقيق الهمزة إلى اللغة الأدبية النموذجية " (٣).

---

(١) في اللهجات العربية د. أنيس صـ ٧٥، ٧٦ .

(٢) شرح المفصل لابن يعيش ١٠٧/٩ـ.

(٣) في اللهجات العربية ، د. أنيس صـ٧٧ .

وأتناول فيما يلي هذه الظاهرة (الهمز والتسهيل) عند قطرب من خلال مروياته التي جاءت فيها فيما يلي :

أولاً – الهمز (التحقيق) :

جاء في الفرق لقطرب : " الثندؤتان : مَغْرَزَ الثدى ، وبعضهم يضمها ويهمزها فيقول : الثُّنْدُؤة ، وبعضهم لا يهمز ويفتح فيقول : الثَّنْدُوَة " [١].

فنلاحظ أن قطرباً حكى في كتابه الهمز مع ضم الثاء في الثُّنْدؤة ، وحكى أيضاً التسهيل فيها ولكن مع الفتح (الثَّنْدُوَة) .

وجاء عن ثعلب في الصحاح : " الثَّندوة بفتح أولها غير مهموز ، مثل : التَّرْقُوَة ، والعَرْقُوَة على فَعْلُوه ، وهي مَغْرز الثَّدي . قال أبو عبيدة ، وكان رؤبة يهمز الثندؤة ... والعرب لا تهمز واحداً منهما " [٢].

فنلاحظ أن قطربا حكى الثندؤة بالهمز والثندوة بغير الهمز ، وأشار إلى أن المضموم منها يُهمز والمفتوح لا يهمز ، ووافق في هذا أبو عبيدة (٢١١هـ) وابن السكيت (٢٤٤هـ) وثعلب (٢٩١هـ) ورؤبه وعامة العرب [٣].

وجاء في المحتسب : قال الله تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ﴾ [٤]. لقد ذكر ابن جني أن قطرباً حكى في " موسى " " مؤسى " [٥].

---

(١) الفرق لقطرب صـ ٥٢ تحقيق د. خليل العطية ، وينظر : تاج العروس للزبيدي ٤٩/١ .

(٢) ينظر : الصحاح للجوهري ٢٢٩١/٦ .

(٣) نفسه .

(٤) القصص من الآية (١٠) .

(٥) المحتسب ١٤٨/٢ .

فقطرب قد حكى " مؤسى " بالتحقيق (الهمز) وهذا الهمز وراءه علة تصريفية . ذكر ابن جني فقال : " وذلك أن الساكن إذا جاور المتحرك فكثيراً ما تقدر العرب أن تلك الحركة كأنها في الساكن . فكأن ضمة " موسى " في الواو . والواو إذا انضمت ضماً لازماً فهمزها جائز . كأُعِدَ وأُجُوه . وكذلك أيضاً قولهم في المرأة والكمأة ، المراة والكَمَاة . فقلبوا الهمزة ألفاً ؛ لأنهم قدروا فتحة الهمزة في الراء والميم قبلها ، فصار كأنه المرأة والكمأة ، فقيل فيه مَراه وكماه . كما يقال في تخفيف رأس ، وكأس ومنه أيضاً قول بعضهم في الوقف : هذا بكُرْ ، ومررت ببكِرْ . فنقلوا الضمة والكسرة إلى الساكن قبل الراء وهو الكاف ، فكأن الراء محركة بحركة الكاف لأنها تجاورها ، ففي ذلك شيئان :

أحدهما : الشح على حركة الإعراب أن يستهلكها الوقف .

والآخر : الاستراحة من اجتماع ساكنين ، ... يدلك على أن حركة الحرف تحدث معه ، وأن الحركة إذا جاورت الساكن صارت كأنها فيه ، فعليه جاء همز مؤسَى ، أنشدنا شيخنا أبو علي :

لَحَبُّ المؤقدان إلى مؤسى [1].

بهمز واو الموقدين ، وموسى [2] ، وقرأ ابن كثير قوله تعالى : ﴿ بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴾ [3]. قرأها " بالسؤق " بهمز الواو ... وقال البزِّي :

---

(١) ينظر : المحتسب ١٤٨/٢، ١٤٩ البيت من بحر الوافر وفي المحتسب ٤٧/١ منسوب إلى جرير .
ينظر : ديوان جرير ص٢٨٨ تحقيق د. نعمان طه – ١٩٧١م . وتمامه : وجعدة إذ أضاءهما الوقود .
(٢) ينظر : سر الصناعة ٧٩/١، ٨٠ .
(٣) سورة ص من الآية (٣٣) . ﴿ مَسْحًا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴾ .

سمعت أبا الإخريط يهمزها . و يهمز ﴿ عَن سَاقَيْهَا ﴾[1] . ، وأنا لا أهمز شيئاً من هذا " [2]. وقد ذكر الرضى علة الهمز في " بالسوق " فقال : " أن الواو لما جاورت الضمة صارت كأنها مضمومة ، والواو المضمومة تهمز نحو نؤور [3] ، وغُووْر [4].

وقد أشار الدكتور / أنيس إلى أنه قد ورد فيها الهمز في لغة عقيل فقال : " وكانت عقيل البدوية تهمز (الجؤنة ، والمؤسى ، والحؤت) بدلاً من النطق الشائع بغير همز " [5].

فنلاحظ أن قطرباً قد وافق عقيلاً البدوية في التحقيق ، وخالف الحجازيين ؛ لأنهم يسهلون، ولأن أكثر قراءات الحجازيين إلى التسهيل لا النبر كما هي الحال في قراءة نافع وأبي جعفر من أشهر قراء المدينة فإنهما يقرآن ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ خاسياً وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ [6] قرأ بها الأصبهاني وأبو جعفر [7].

---

(١) سورة النمل من الآية (٤٤) . ﴿ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ﴾ .

(٢) السعة في القراءات لابن مجاهد ص ٥٥٣ .

(٣) والنؤور : النيلج وهو دخان الشحم يعالج به الوشم ويحشى به حتى يخضر . اللسان ٢٤٤/٥ (نور) .

(٤) ينظر : شرح شافية ابن الحاجب للرضى ٢٠٦/٣ . وغار الماء غوراً ، وغؤوراً : ذهب في الأرض وسفل فيها . اللسان ٩٣٦/٥ (غار) .

(٥) في اللهجات العربية ، د. أنيس صـ ١١٢ .

(٦) سورة الملك من الآية (٤) . وينظر : دراسات في فقه اللغة د. صبحي الصالح صـ ٧٨ .

(٧) ينظر : الإتحاف للبناء صـ ٤٢٠ .

وجاء عن ابن جني في الخصائص : " وروينا عن قطرب : لفيئة ولفائيء وأنشدوا :

فإنك لا تدري متى الموت جائيء إليك ولا ما يحدث الله في غد " [١].

" وحكى أبو زيد (اللهم اغفر خطائئي ودرائئي) جمع خطيئة ودريئة ، وابن جني جاءيء ، وقطرب كفيئة وكفائئ بتحقيق الهمزتين " [٢].

وقد ذكر صاحب اللسان أن القياس في خطاءئ ولفائئ خطايا ولفايا . فقال : " ولفأ اللحمَ عن العظم يلفؤه لفأ ولفا ، والتَفَاه كلاهما : قشره وجلفه عنه ، والقطعة منه لَفيئة .... والجمع لفئ وجمع الفيئة من اللحم لفايا مثل خطيئة وخطايا " [٣].

وقد حكى أبو زيد في جمع خطيئة خطائئ وجاء عن الليث في اللسان فقال : الخطيئة فعيلة ، وجمعها كان ينبغي أن يكون خطائئ بهمزتين فاستثقلوا التقاء همزتين فخففوا الأخيرة منهما ، كما يخفف في جائئ على هذا القياس ، وقال أبو اسحق النحوي : الأصل في خطايا كان خطايؤا فيجب أن يبدل من هذه الياء همزة فتصير خطائي فتجتمع همزتان فقلبت الثانية ياء فتصير خطائِيَ ، ثم يجب أن تقلب الياء والكسرة إلى الفتحة والألف فيصير خطاأا ، فيجب أن تبدل الهمزة ياء ، لوقوعها بين ألفين ، فتصير خطايا وإنما أبدلوا الهمزتين حين وقعتا بين ألفين ؛ لأن الهمزة مجانسة للألفات وهذا مذهب سيبويه .

---

(١) البيت من بحر الطويل . الخصائص ١٤٣/٣ .

(٢) ارتشاف الضرب ١٣١/١ ، ١٣٢ .

(٣) لسان العرب ١٥٣/١ (لفا)

وإذا تأملنا هذا الإبدال الموجود في خطايا نجده إبدال الواو من الهمزة ، فمفرد خطايا خطيئة فُلام مفرده بالهمزة ، وأصل خطايا خطيئ ، ثم أبدلت الياء همزة على حد الإبدال في صحائف فصار خطائيء ، بهمزتين .

ولفائي وخطائئ التي جاءت عن قطرب بتحقيق الهمزتين نجده قد وقف بها عند اجتماع الهمزتين وقد حكى ذلك أبو زيد . ولكن لو أكملنا باقي خطوات الإبدال بعد ذلك يكون كالتالي :

تبدل الهمزة الثانية ياء ، ثم قلبت الياء ألفاً ؛ لتحركها وانفتاح ما قبلها فصارت الكلمة خطاءا بألفين بينهما همزة ، والهمزة تشبه الألف ، فاجتمع شبه ثلاث ألفات ، فأبدلت الهمزة ياء فصار خطايا ، بعد خمسة أعمال ، ومثلها لفيئة ، فتصير بعد خمسة أعمال مثلها لفايا ، وهذا كله مما اجتمعت فيه الهمزتان في آخر الكلمة [1].

تعقيب :

نلاحظ أن قطرباً وأبا زيد قد وقفا بالتحقيق في مثل : خطائي ، ولفائي ، ودرائي قبل الخطوة الأخيرة في الإبدال واكتفيا بها ، وقد ذكر ابن جني أن مثل هذا بالتحقيق والوقوف عند هذا الحد من الكلمة شاذ فقال : " فأما ما حكاه أبو زيد من قولهم : دريئة ودرائيء وخطيئة وخطائئ فشاذ لا يقاس عليه " [2].

---

(١) ينظر : أوضح المسالك لابن هشام ٣٧٩/٤، ٢٨٣ ، وحاشية الصبان ٢٩١/٤، ٢٩٢ .

(٢) سر صناعة الإعراب ٧١/١، ٧٢ .

وجاء عن التلمساني قال : " وفي خلق الإنسان لقطرب : وبعض عكل يقول : الترقؤه ، فتهمز " (١).

نلاحظ أن قطرباً حكى عن عكل التحقيق في الترقؤة . وقد جاء الهمز فيما يماثله عند بعض القبائل الأخرى فقد ذكر د/ أنيس أن " عقيل البدوية تهمز (الجؤنة ، والمؤسى ، والحؤت) بدلاً من النطق الشائع بغير همز " (٢).

كذلك جاء في المحتسب " وروي أن قيساً تقول : ﴿ اشترؤا الضلالة ﴾ (٣) وقال بعض العرب عصئوا الله مهموزة " (٤).

ثانياً – التسهيل عند قطرب :

قوله تعالى : ﴿ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ (٥).

جاء في المحتسب " قال أبو الفتح حكى قطرب فيما رويناه عنه (لِيْلاَ) بكسر اللام وسكون الياء ، وقال : حذف همزة (أن) وأبدل (النون) ياء " (٦).

---

(١) تخريج الدلالات السمعية للتلمساني صـ٦٦٣، وينظر : اللهجات العربية في التراث د. أحمد علم الدين صـ٣٣٣ .

(٢) في اللهجات العربية د. أنيس صـ ١١٢ .

(٣) سورة البقرة من الآية (١٦) .

(٤) المحتسب ١/٥٥ .

(٥) سورة الحديد من الآية (٢٩) .

(٦) المحتسب لابن جني ٢/٣١٣ . وينظر : البحر المحيط ٨/٢٢٩ .

بالوقوف أمام هذا التسهيل الذي روي عن قطرب وجدت أن الخليل بن أحمد أدغم النون في اللام من (لئلا) لأن الأصل (لأن لا) فتقول : أمرتك ألا تفعل ذلك [1] ولم يذكر ابن منظور تسهيل (لئلا) " [2].

وجاء في الحجة للقراء السبعة : أن نافعاً لم يهمز (لئلا) والباقون يهمزونها ، وقال أبو على : تخفيف الهمزة في (لِئلا) أن تُخْلَصَ ياء ، ولا يجوز أن تجعل بين بين ، ألا ترى أنه بمنزلة " مِئِرٍ " جمع مَئْرة ، من قولك مأرت بين القوم : إذا أفسدت [3].

" وقرأ خطاب بن عبد الله لأن لا يعلم . . وروي مجاهد عن الحسن ليلا مثلى ليلى اسم المرأة ويعلم برفع الميم أصله لأن لا بفتح لام الجر وهي لغة فحذفت الهمزة اعتباطاً ، وأدغمت النون في اللام فاجتمعت الأمثال ، وثقل النطق بها ، فأبدلوا من الساكنة ياء ، فصار ليلا ورفع الميم ؛ لأن إن هي المخففة من الثقيلة ، لا الناصبة للمضارع إذ الأصل لأنه لا يعلم . وقطر ب عن الحسن أيضاً لئلا بكسر اللام وتوجيهه كالذي قبله إلا أنه كثير اللام على اللغة الشهيرة في لام الجر ، وعن ابن عباس كي يعلم وعنه لكيلا يعلم وعن عبد الله وابن جبير وعكرمة لكي يعلم " [4].

وجاء في الدر المصون أن " ورش يبدلها ياء محْضة ، وهو تخفيف قياسي نحو : مية ، وفيه ، في مئة ، وفئة " [5].

---

(١) ينظر : العين للخليل ٣٥٢/٨ .

(٢) ينظر : اللسان ٤٦٤/١٥ (لا) .

(٣) الحجة للقراء السبعة لأبي على الفارسي ٢٤٤/٢-.

(٤) تفسير البحر المحيط لأبي حيان ٢٢٩/٨ - .

(٥) الدر المصون ٢٦٠/١٠ .

تعقيب :

فنلاحظ أن " لئلا " وردت فيها قراءات متعددة ، والقراءة التي جاءت بها الرواية عند قطرب جاءت موافقة لقراءة الحسن بكسر لام الجر على اللغة الشهيرة والياء الساكنة .

ووجه إسكان الياء وكسر اللام أن همزة " أنْ " حذفت فصارت " لَنْ " فأدغمت النون في اللام فصارت " ليلاً " فلما اجتمعت اللامات أبدلت الوسطى منها ياء كما قالوا في أما : أيْما " [1].

ومن التسهيل عند قطرب في قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ ﴾ [2]

النحاة يستضعفون إبدال هذه الهمزة ألفاً ، بل المشهور عندهم تسهيلها بين بين ، وهي الرواية المشهورة عن نافع ، لكنه نقل الإبدال المحض قطرب وغيره من اللغويين " [3].

وقد اختلف اللغويون والقراء في الهمز وتركه وإثبات الألف من غير همز في قوله تعالى : ﴿ أَرَءَيْتُم ﴾ [4] و﴿ أَرَءَيْتَكُمْ ﴾ و﴿ أَرَءَيْتَ ﴾ [5].

فقرأ ابن كثير ، وعاصم ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وحمزة بألف في كل القرآن بالهمز ﴿ أَرَءَيْتُم ، أَرَءَيْتَكُمْ ، أَرَءَيْتَ ﴾. وقرأ نافع بغير همز

---

(١) تفسير القرطبي ١٧٣/١٧ .

(٢) سورة الأنعام : ٤٠ . ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَنكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ ﴾.

(٣) الدر المصون ٦١٥/٤، ٦١٦ .

(٤) سورة الأنعام : ٤٦ . ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَـٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم ﴾.

(٥) سورة الكهف : ٦٣ . ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ ﴾.

ولا ألف ، والكسائي حذف الهمزة حذفاً على غير التخفيف . وعيسى كان يقرأها على الحذف ومما يقوي ذلك من استعمالهم قول الشاعر :

فمن را مثل معدان بن ليلى   إذا ما النّسْع طَال على المطية [1]

فهذا على أنه قلب الهمزة ألفاً كما قلبها في قوله : لا هناك المَرْتع فاجتمعت مع المنقلبة عن اللام ، فحذفت إحداهما ؛ لالتقاء الساكنين ، فهذا يقوى قول عيسى والكسائي [2]. وقرأ (أرأيتكم) بتسهيل الهمزة الثانية بين بين قالون وورش من طريقه وأبو جعفر . ولورش من طريق الأزرق وجاء آخر وهو إبدالها ألفاً خالصة مع إشباع المد للساكنين . وأما قراءة الكسائي بحذف الهمزة الثانية من ذلك كله ، فهي لغة فاشية . والباقون بإثباتها محققة على الأصل . وحمزة بالإضافة إلا أنه يقرأ بالتحقيق : أن هناك وجهاً واحداً أنه يقرأ بين بين [3].

وخلاصة القول :

أن للقراء في همزة (أرأيتكم) آراء متعددة وقراءات مختلفة ، فأبو جعفر وقالون وورش بالتسهيل بين بين .

---

(١) من بحر الوافر . وجاء هذا البيت في دقائق التصريف لأبي سعيد المؤدب من إنشاد قطرب صـ ٤٢١ ، وذكر الشطر الأول منه في اللسان لابن منظور ٢٩٢/١٤ (رأي) . والبيت يدل على أنه قد يتخلص من ثقل الهمزة بحذفها ، وهذا له وجه مشابه في القراءات القرآنية مثل قراءة نافع بغير همز ولا ألف (رأيتم . ينظر : الحجة لأبي على الفارسي ٣٠٥/٣ : ٣٠٨ ، والنِّسع : سَيْر يُضْفَرُ على هيئة أعنة النِّعال تُشدُّ به الرِّحال اللسان ٣٥٢/٨ (نسع) .

(٢) ينظر : الحجة للقراء السبعة ٣٠٥/٢: ٣٠٨ ، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها للقيسي ٤٣١/١ .

(٣) ينظر : إتحاف فضلاء البشر للبنا ١١/٢ .

ولورش من طريق الأزرق إبدالها خالصة مع إشباع للساكنين .

والكسائي يحذفها وهي لغة فاشية .

والباقون يحققونها " قال أبو على : من قال أرأيتكم وأرأيتم فهمز وحقق الهمز ، فوجه قوله بيِّن ، لأنه فعلتُ من الرؤية فالهمزة عين الفعل ونافع يجعل الهمزة بين بين أي بين الهمزة والألف فهذا التخفيف على قياس التحقيق " (١).

وأما قطرب فيرى إبدال هذه الهمزة ألفاً إبدالاً محضاً وهو بهذا يكون قد خالف الرواية المشهورة عن نافع بالتسهيل بين بين ، ويكون قد وافق قراءة ورش من طريق الأزرق وعيسى في إبدالها .

" والأمثلة التي تتبادل فيها الهمزة وحروف العلة لها صور : منها ما يكون واجباً ، ومنها ما يكون جائزاً ، ومنها ما يعد شاذاً . والذي يبدو أن هذا الإبدال لا تسوغه علاقة صوتية " (٢).

أما عن المعاجم العربية حيال هذه الهمزة من (أرأيتكم) فقد جاء في العين للخليل حذف الهمزة فقط (٣).

وجاء في التهذيب عن اللحياني ، الحذف ، والتحقيق ، قال صاحب التهذيب : " قال اللحياني : اجتمعت العرب على همز ما كان من رأيْت واسترأيت وارتأيت ، وبعضهم يترك الهمز وهو قليل ، وكل ما جاء في كتاب الله مهموز ، وتميم تهمز في الأمر على الأصل فيقولون : ارأ ، وارأيا ولجماعة النسوة أرْأين قال . فإذا قالوا : أرأيت فلاناً ما كان من أمره ،

---

(١) الحجة للقراء السبعة ٣٠٨/٣ .

(٢) اللهجات العربية نشأة وتطوراً ، د. عبد الغفار حامد هلال صـ ٢٢٣ .

(٣) ينظر : العين للخليل بن أحمد ٣٠٨/٧ .

أرْيتكم فلاناً ، فإن أهل الحجاز يهمزونها وإن لم يكن من كلامهم الهمز ، فإذا عدوت أهل الحجاز ، فإن عامة العرب على ترك الهمز نحو : رأيت الذي يكذب ، أريتكم ، وبه قرأ الكسائي ، بترك الهمز فيه في جميع القرآن " [١].

وقد أشار صاحب الصحاح إلى أن (أرأيت) تأتي بلا همز [٢].

وجاء في اللسان : " وحكى قطرب : نشأ ينشو لغة في نشأ ينشأ " [٣].

وجاء في الصحاح : " قال يعقوب الذئب يستنشئ بالهمز وإنما هو من نشيت غير مهموز " [٤].

ونلاحظ أن التسهيل ورد عند قطرب وجاء التحقيق عن غيره ، ولكن جعل قطرب التسهيل في نشا ينتسو لغة ، وقد جاء من الشعر العربي الفصيح ما يؤيد هذا التخفيف بالتسهيل في قول صخر الغي :

تدلي عليه من بشامٍ وأيكة ... نشَاةَ فروع ، مُرئعِنّ الذوائب [٥].

يجوز أن يكون نشأة فَعْلة من نشأ ثم يخفف على حد ما حكاه صاحب الكتاب من قولهم الكماه والمراه .

ويجوز أن يكون نشاه فعله فتكون نشاة من أنشأت كطاعة من أطعت ، إلا أن الهمزة على هذا أبدلت ولم تخفف ، ويجوز أن يكون من نشا ينشو بمعنى نشأ ينشأ ، وقد حكاه قطرب ، ومن ذلك قول الراجز :

مكان من أنشا على الركائب [٦] ... أراد أنشا ، فلم يستقم له الشعر فابدل

---

(١) تهذيب اللغة للأزهري ٣١٨/١٥، ٣١٩ (راي) .
(٢) ينظر : الصحاح للجوهري ٢٣٤٨/٦ .
(٣) لسان العرب ٣٢٦/١٥ ، ٣٢٧ (نشا) ، ١٧٣/١ (نشا) .
(٤) الصحاح للجوهري ٢٥٠٩/٦ .
(٥) البيت من بحر الطويل .
(٦) من بحر الرجز .

ومما جاء بالهمز وعدمه : المستنشئة : الكاهنة يهمز ولا يهمز [1].

ونلاحظ أن لهجاتنا العامية تميل إلى التخلص من الهمز على لغة أهل الحجاز ، كما مالت اللهجات القديمة إلى التخلص منها إما بالحذف أو بالتسهيل ، وعلى ذلك فنحن نقول :

راس ، فاس ، بير ، دِيب ، تُوم ، ياكل ، يقْرا ، ريّس .... الخ .

على الترتيب ، في :

رأس ، فأس ، بئر ، ذئب ، شؤم ، يأكل ، يقرأ ، رئيس ....الخ .

(١) ينظر : لسان العرب ١٧١/١، ١٧٢ (نشأ) .

(٢) الفك والإدغام :

من الظواهر التي اشتركت فيها بعض القبائل العربية ظاهرة الفك والإدغام وهي قائمة على أثر علاقة الأصوات بعضها ببعض .

– والفك في اللغة : جاء في اللسان : " فككت الشيء : خلصته ، وكل مشتبكين فصلتهما فقد فككتهما ... وأصل الفك : الفصل بين الشيئين وتخليص بعضهما من بعض " [(١)].

والمراد به هنا أن يأتي الحرفان دون إدغام ، أي إخراج كل حرف على حدة من غير إدغام .

– والإدغام في اللغة : " إدخال حرف في حرف ... إدخال اللجام في أفواه الدواب ، وأدغم الفرس اللجام : أدخله في فمه ... قال الأزهري : وإدغام الحرف في الحرف مأخوذ من هذا ، قال بعضهم ومنه اشتقاق الإدغام في الحروف " [(٢)].

والإدغام : هو اللفظ بساكن فمتحرك بلا فصل من مخرج واحد . فقولهم : اللفظ بساكن فمتحرك : جنس يشمل المظهر ، والمدغم ، والمخفي ، وبلا فصل : أخرج المظهر ، ومن مخرج أخرج المخفي [(٣)].

وهو : اللفظ بحرفين حرفاً كالثاني مشدداً [(٤)]. وهذا التعريف قريب من التعريف السابق ؛ لأن قوله : بحرفين : يشمل الثلاث : المظهر ، والمدغم ، والمخفي ، وقوله : حرفاً : خرج به المظهر ، وقوله : كالثاني : خرج به المخفي [(٥)].

---

(١) لسان العرب ١٠/٤٧٥ ، ٤٧٦ (ف – ى – ى) .
(٢) نفسه ١٢ / ٢٠٣ (د – غ – م) .
(٣) الإتحاف ١ / ١٠٩ .
(٤) النشر ١ / ٢٧٤ .
(٥) الإتحاف ١ / ١٠٩ .

فنلاحظ من تعريف الإدغام أن أحد الحرفين يدخل في الآخر كأنها حرف واحد حال النطق .

الإدغام عند النحويين : الاتيان بحرفين ساكن فمتحرك من مخرج واحد بلا فصل ، أي رفع اللسان بالحرفين رفعاً واحداً ، ووضعه بهما كذلك . وذلك نحو شدّ ، ومدّ ونحوهما ، وقال ابن يعيش : الإدغام بالتشديد من ألفاظ البصريين ، والإدغام بالتخفيف من ألفاظ الكوفيين .

ويكون الإدغام في المتماثلين ، وفي المتقاربين ، وفي كلمة ، وفي كلمتين [1].

الهدف من الإدغام : التخفيف حيث يثقل التكرير ، فينطق الحرف بعد النطق به ويدخل في جميع الحروف ما عدا الألف اللينة [2].

وقد أشار سيبويه إلى فائدة الإدغام والهدف منه فقال : اعلم أن التضعيف (يريد الإدغام والتشديد للحرف) يثقل على ألسنتهم ، وأن اختلاف الحروف أخف عليهم من أن يكون في موضع واحد – ألا ترى أنهم لم يجيئوا بشيء من الثلاثة على مثال الخمسة نحو ضَرَبّبٍ ، ولم يجيئ فَعَلّلُ ، ولا فَعُلّلٌ إلا قليلاً ، ولم يبنوهن على فعالل ؛ كراهية التضعيف : وذلك لأنه يثقل عليهم أن يستعملوا ألسنتهم من موضع واحد ، ثم يعودوا له ، لما صار ذلك تعباً عليهم أن يداركوا في موضع واحد ، ولا تكون مهملةً ، كرهوه وأدغموا ؛ لتكون رفعة واحدة وكان أخف على ألسنتهم" [3].

---

(١) حاشية الصبان ٤ / ٣٤٥ .

(٢) اللهجات العربية في المصباح المنير . د . فتحي الدابولي ص ٧٩ .

(٣) الكتاب لسيبويه ٤ / ٤١٧ .

شروط الإدغام :

أن يلتقي الحرفان خطا سواء التقيا لفظاً أم لا [1] ، وهما متماثلان ، و متجانسان ، أو متقاربان .

سببه :

التماثــل : وهو أن يتحدا مخرجاً وصفه كالباء في الباء ، وغير ذلك .

التجانس : وهو أن يتفقا مخرجاً ، ويختلفا صفة ، كالدال في التاء ، والتاء في الطاء ، والثاء في الذال .

التقارب : وهو أن يتقاربا مخرجاً أو صفة أو مخرجاً وصفة .

أما المتقاربان مخرجاً وصفة مثل : الراء ، واللام .

أما المتقاربان مخرجاً مثل : الدال ، والسين ؛ حيث أنهما متباعدان مخرجاً .

أما المتقاربان مخرجاً المتحدان صفة كالحاء ، والهاء [2].

موانعه :

(١) ألا يكون الحرف الأول مشدداً مثل " مس سقر " ، " فتم ميقات " ،" الحق كمن " ، " أشد ذكر " إذ المشدد بحرفين ، ولا يجتمع إدغامان في مكان واحد .

(٢) ألا يكون الحرف الأول منوناً : مثل : ﴿ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ، ﴿ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴾ ، ﴿ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا ﴾ ؛ لأن التنوين حاجز قوي ، جرى مجرى الأصول فمنع من التقاء الحرفين .

(١) الإتحاف ١ / ١١١ ، وأصوات اللغة العربية . د . عبد الغفار هلال صـ ٣٠١ .
(٢) اللهجات العربية في المصباح المنير . د . فتحي الدابولي صـ ٧٩ .

(٣) ألا يكون تاء ضمير للمتكلم أو المخاطب مثل : ﴿ كُنتُ تُرَابًا ﴾ ، ﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ﴾ ، ﴿ كِدتَّ تَرْكَنُ ﴾ ، ﴿ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ .

(٤) ألا يكون حرف مد مثل : ﴿ قَالُواْ وَهُمْ ﴾ ، ﴿ فِي يَوْمٍ ﴾ فلابد من الإظهار ؛ لئلا يذهب المد بالإدغام [١].

أقسام الإدغام :

قسم العلماء الإدغام إلى قسمين هما :

(١) إدغام صغير : وهو الذي يتجاور فيه الصوتان دون فاصل بصوت لين ، فإذا تجاور صوتان متقاربان أو متجانسان نحو : انعت طالباً ، أدغم الصوت الأول وهو التاء ، في الثاني وهو الظاء ، فنطقت الكلمتان : انعطالبا [٢].

(٢) إدغام كبير : ويعرفه ابن الجزري بقوله : هو ما كان الأول من الحرفين فيه متحركاً . سواء أكان مثلين أم جنسين أم متقاربين ، وسمي كبيراً لكثرة وقوعه ، إذ الحركة أكثر من السكون ، وقيل : لتأثيره في إسكان المتحرك قبل إدغامه ، وقيل : لما فيه من الصعوبة ، وقيل : لشموله نوعى المثلين والجنسين ، والمتقاربين [٣].

والإدغام يعرف أيضاً بأنه : هو الذي يفصل بين الصوتين الساكنين بحركة (أي صوت لين قصير) .

وهذا النوع وراد في قراءة أبي عمرو بن العلاء نحو قوله تعالى :

---

(١) الإتحاف ١ / ١٢٢ وأصوات اللغة العربية . د . عبد الغفار هلال صـ ٣٠١ .

(٢) الكتاب لسيبويه ٤ / ٤٦٠ ، وفي اللهجات العربية . د . أنيس صـ ٧١ ، وملامح اللهجات العربية . د . عبد المنعم عبد الله صـ ١٠٤ .

(٣) النشر ١ / ٢٧٥ .

﴿ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا ﴾ ، حيث أدغمت الثاء في الشين مع وجود فاصل بينهما وهو الضمة في ﴿ حَيۡثُ ﴾ ، وقوله : ﴿ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ﴾ بإدغام السين في الزاي مع وجود فاصل بينهما هو ضمه ﴿ ٱلنُّفُوسُ ﴾ [(١)].

ظاهرة الإدغام عند المحدثين :

ويسمى المحدثون هذه الظاهرة ASSIMILATION وهي تعني المماثلة ؛ لأن شرط تأثير الأصوات المتجاورة بعضها ببعض أن تكون متشابهة في المخرج أو الصفة .

ويقسم المحدثون تأثير الأصوات إلى نوعين :

(١) رجعي : وفيه يتأثر الصوت الأول بالثاني .

(٢) تقدمي : وفيه يتأثر الصوت الثاني بالأول .

واللغة العربية قد اشتملت على هذين النوعين من التأثير ، وإن النوع الأول أكثر شيوعاً فيها .

ولم يعرض القراء في كتبهم إلا للتأثير الرجعي ، وهو الذي يتأثر فيه الصوت الأول بالثاني تأثيراً كاملاً ، يترتب عليه أن يغني الصوت الأول في الثاني ، بحيث ينطق بالصوتين صوتاً واحداً كالثاني ، وسموا هذا التأثير في كتبهم بالإدغام [(٢)].

---

(١) مجلة اللسان العربي المجلد السابع صـ ٥٥ ، عن ملامح اللهجات العربية . د . عبد المنعم عبد الله صـ ١٠٥ ، وفي اللهجات العربية د . أنيس صـ ٧١ .

(٢) في اللهجات العربية . د . أنيس صـ ٧٠ . وقد أطلق ابن جني على نوعي الإدغام : الصغير ، والكبير الإدغام الأكبر ، فبعد أن تحدث عنهما قال : فهذا حديث الإدّغام الأكبر . وأما الإدّغام الأصغر : فهو تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه منه من غير إدّغام يكون هناك . وهو ضروب فمن ذلك الإمالة ... ومن ذلك أن تقع فاء افتعل صاداً ، أو ضاداً ، أو طاءً ، أو ظاءً ... الخ الخصائص لا بن جني ٢ / ١٤٣ وما بعدها .

موقف اللهجات العربية والقراءات القرآنية من الإدغام :

ظاهرة الإدغام في اللهجات العربية مرتبطة بالبيئات التي تؤثر السرعة في النطق حيث تمزج الحروف ، ولا تعطيها حقها ، من تحقيق وإظهار ، فلا يعطي الحرف حقه الصوتي من تحقيق أو تجويد في النطق به .

ويظهر هذا الأمر بجلاء ووضوح في البيئات البدوية الرحل التي لا تكاد تستقر على حال .

فالبيئة العراقية قد هاجر إليها كثير من القبائل العربية بعد الإسلام وعليه يمكن أن نتصور أن الإدغام كان أكثر شيوعاً في لهجات القبائل النازحة إلى العراق .

أما البيئة الحجازية فقد غلب على أهلها الاستقرار والحضارة ، ولهذا مال أهلها إلى التأني في النطق ، وتحقيق الأصوات ، وعدم الخلط بينها .

وكانت النتيجة أن أصبحت لهجة العراق مشوبة بأمثلة كثيرة لظاهرة الإدغام ، وعلى العكس من ذلك فقد أصبحت هذه الظاهرة في البيئة الحجازية قليلة جداً ، وليست شائعة .

فالقبائل التي عرفت بالإدغام هي :

قريش ، وثقيف ، وكنانة ، والأنصار ، وهذيل .

فالقبائل العربية إذاً انقسمت قسمين قسم يؤثر الإدغام ، وقسم يؤثر الإظهار [١].

ومن ذلك : ما روي عن تميم أنها كانت تقول مَحُّمْ : يريدون مَعْهُم ومَحًّاؤلاَءِ ، يريدون : مَعَ هؤلاء [٢].

---

(١) في اللهجات العربية . د . أنيس صـ ٧١ : ٧٣ ، وملامح اللهجات . د . عبد المنعم عبد الله صـ ١٠٥ .

(٢) الكتاب لسيبويه ٤ / ٤٥٠ .

فنلاحظ في هذا المثال أن العين في (معهم) قلبت حاء ، ثم أدغمت الهاء في الحاء ، فصارت : مَحُّمْ . والعين مجهورة ، ونظيرها المهموس هو الحاء إدغاماً تقدمياً على غير العادة في الإدغام العربي ، ولكنه بلهجة لتميم .

كذلك روى عن تميم أنها كانت تقول : " فُزْدُ " بدلاً من " فزت " أي التاء المهموسة قلبت إلى نظيرها المجهور وهو الدال ، وذلك لمجاورتها لصوت مجهور وهو الزاي .

كذلك روي أن لهجة نجد تقول في كلمة " وتد " ، " ودّ " .

ويظهر ميل تميم إلى الإدغام حيث أنهم يدغمون المثلين في مثل " لم يحلّ " في حين أن الحجازيين كانوا يقولون " لم يحلل " .

وقد ورد في القرآن الكريم على لهجة تميم ﴿ مَن يَرْتَدَّ ﴾[١]. ونحو قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِّ ٱللَّهَ ﴾[٢].

ويقول جرير وهو من تميم :

فغض الطرف إنك من نمير ... فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وفي المقابل جاء القرآن الكريم بلهجة الحجازيين نحو قوله تعالى : ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ ﴾[٣] ، ﴿ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى ﴾[٤].

---

(١) سورة المائدة من الآية (٥٤) .
(٢) سورة الحشر من الآية (٤) .
(٣) سورة آل عمران من الآية (١٢٠) .
(٤) سورة طه من الآية (٨١) .

ونحو : ﴿ وَٱغۡضُضۡ من صَوۡتِكَ ﴾ [1] ونحو : ﴿ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ﴾ [2].

فالقرآن الكريم - غالباً وفي معظم الأحيان - جاء بالإظهار على لهجة الحجازيين ، وفي القليل جاء بلهجة التميميين كما سبق من بعض الأمثلة :

ويظهر أن الظاهرة كانت من الظواهر التي اعترفت اللغة بها في شقيها المذكورين ، ولم تعدْ بعد أن جاءت في القرآن الكريم من ظواهر اللهجات ؛ فهي في أصلها كانت من الظواهر التي تفرق بين قبائل وسط الجزيرة العربية ، وشرقيها ، وبين البيئة الحجازية ، لكنها صارت فيما بعد صفة من صفات اللغة الأديبة المشتركة بين جميع القبائل [3].

والقرآن الكريم فيه أمثلة كثيرة لهذه الظاهرة ، والحديث عن الإدغام كثير ، وكتب عنه الكثير من العلماء ، فاكتفى بما ذكرت خشية الإطالة وأكتفي بالإحالة [4].

---

(١) سورة لقمان من الآية (١٩) .

(٢) سورة المدثر من الآية (٦) .

(٣) ينظر : في اللهجات العربية . د . إبراهيم أنيس صـ ٧٣ وما بعدها ، وملامح اللهجات العربية . د . عبد المنعم عبد الله صـ ١٠٦ وما بعدها .

(٤) ومن أراد المزيد حول هذه الظاهرة ، فليرجع إلى : الكتاب لسيبويه ٤ / ٤٣٧ وما بعدها ، والنشر ٢ / ٢٧٤ وما بعدها ، والخصائص ٢ / ١٤١ وما بعدها ، واللهجات العربية . د . عبد الغفار هلال صـ ٣٥٤ وما بعدها وغيرها .

(٣) الإمالة : تعريفها :

قال ابن جني : " الإمالة أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة فتميل الألف التي بعدها نحو الياء لضرب من تجانس الصوت فكما أن الحركة ليست فتحة محضة ، فكذلك الألف التي بعدها ليست ألفاً محضة وهذا هو القياس ، لأن الألف تابعة للفتحة ، فكما أن الفتحة مشوبة ، فكذلك الألف اللاحقة لها " [(١)].

وقال ابن جني في الخصائص : " الإمالة إنما وقعت في الكلام لتقريب الصوت من الصوت وذلك نحو عالم ، وكاتب ، وسعى ، وقضى ، واستقضى ، ألا تراك قربت فتحة العين من عالم إلى كسرة اللام منه ، بأن نحوت بالفتحة نحو الكسرة فأملت الألف نحو الياء ، وكذلك سعى وقضى نحوت بالألف نحو الياء التي انقلبت عنها " [(٢)].

" وسبب الإمالة إما قصد مناسبة صوت نطقك بالفتحة لصوت نطقك بالكسرة التي قبلها كعماد ، أو بعدها كعالم ، أو نطقك بياء وقبلها ألف كسيال ، وشيبان أو فقد مناسبة فاصلة لفاصلة ممالة ، أو قصد مناسبة إمالة لإمالة قبل الفتحة . أو قصد مناسبة صوت نطقك بالألف بصوت نطقك بأصل تلك الألف ، وذلك إذا كانت منقلبة عن ياء أو واو مكسورة كباع وخاف. أو لصوت ما يصير إليه الألف في بعض المواضع كما في حُبْلي ومِعْزي ؛ لقولك حبليان ، ومعزيان " [(٣)].

---

(١) سر الصناعة لابن جني ٥٢/١ . وينظر : شرح الشافية ٤/٣ ، وحاشية الصبان ٢٢٠/٤ ، واللهجات العربية نشأة وتطوراً . د. عبد الغفار هلال صـ ١٩٤ .

(٢) الخصائص لابن جني ١٤٣/٢ ، ١٤٤ .

(٣) شرح شافية ابن الحاجب ٥/٣ .

" والغرض الأصلي منها هو التناسب وقد ترد للتنبيه على أصل أو غيره " (١).

أنواع الإمالة :

١- إمالة الفتح إلى الكسر مثل : عالِم فقد قربت فتحة العين من عالم إلى كسرة اللام منه بأن نحوت بالفتحة نحو الكسرة .

٢- إمالة الفتحة نحو الضمة مثل : الصلاة والزكاة ، وقام وصائح .

٣- الضمة المشوبة بالكسرة مثل : مررت بمذعور ، وهذا ابن بور بضمة العين والباء نحو كسرة الراء

٤- الكسرة المشوبة بالضمة مثل : قُيل ، وبُيع ، وغُيض ، وسُيق ، وقد قرأ بهذه اللهجة الكسائي وهشام .

وأشهر هذه الأنواع الأربعة " إمالة الفتح إلى الكسر " هذا النوع هو المراد بالإمالة حين تطلق في كتب القراءات واللغة " (٢).

أسباب الإمالة :

قال العلماء هي عشرة أو أكثر ترجع إلى شيئين الكسرة والياء :

١- كسرة متقدمة ولابد أن يحصل بين الكسرة المتقدمة والألف فاصل ، وأقله حرف واحد مفتوح ، نحو كتاب وحساب ، أما الفتحة الممالة فلا فاصل بينهما وبين الكسرة نحو إماما .

٢- ياء متقدمة نحو : الحياة ، شيْبان .

٣- كسرة متأخرة نحو : عابد ، من الناس ، في النار .

٤- ياء متأخرة نحو مبايع .

---

(١) حاشية الصبان ٢٢٠/٤، ٢٢١ .

(٢) ملامح اللهجات العربية د/ عبد المنعم عبد الله حسن ص ١٢٥ ، ١٢٦ .

٥- كسرة مقدرة في المحل الممال نحو : خاف أصله : (خوف) .

٦- ياء مقدرة في المحل الممال نحو : يخشى ، أتي .

٧- كسرة تعرض في بعض الأحوال للكلمة (طاب – جاء – زاد) ؛ لأن الفاء تكسر من ذلك إذا اتصل بها الضمير المرفوع من المتكلم والمخاطب ونون جماعة الإناث .

٨- إمالة لأجل الإمالة نحو : (رأيت عِمادا) فأمالوا الألف المبدلة من التنوين لأجل إمالة الألف الأولي الممالة لأجل الكسرة .

٩- إمالة لأجل الشبه نحو (الحُسْنى) قالوا إنهم أمالوا ألفها لشبهها بألف (الهُدَى) .

١٠- إمالة لأجل كثرة الاستعمال مثل : الحجاج ، والناس ، وحروف الهجاء في فواتح السور .

١١- رسم المصحف ، حيث وجدوا في المصحف الياءات في موضع الألفات ، فأتبعوا الخط وأمالوا ؛ ليقربوا من الياءات .

وهذه الأسباب السابقة تشتمل على نوعي التأثر بين الأصوات في الكلمة : الرجعي والتقدمي .

فالإمالة للكسرة والياء المتقدمتين تأثر تقدمي ، إذ يتأثر الصوت الثاني بالأول ، والإمالة للكسرة والياء المتأخرين تأثر رجعي إذ يتأثر الأول بالثاني [1].

وإذا قد عرفنا أن الإمالة يراد بها الانتحاء بالحركة نحو حركة أخرى سواء كانت الحركة طويلة أم قصيرة ، فإليك ما روي عن قطرب في هذه الظاهرة :

---

(١) ينظر : دراسات في اللهجات العربية والقراءات القرآنية د.فتحي أنور الدابولي ص ١٤٩ ، ١٥٠ .

جاء في سر الصناعة عن ابن جنى قال : " وروينا عن قطرب أن بعض أهل اليمن يقول : (الصلوْة) و (الزَّكَوْة) و (الحَيَوْة) بواو قبلها فتحة ، فهذه الواو بدل من ألف (صلاة) و (زكاة) و (حياة) وليست بلام الفعل من (صَلوتُ) و (زكوت) . ألا ترى أن لام الفعل من الحياة) ياء وقد قالوا (الحيوة) " [١].

وهذا النوع من الإمالة هو إمالة الفتحة نحو الضمة وهو الذي جاء في كلام قطرب ، وقد تحدث ابن جني عن ذلك فقال : " وأما الفتحة الممالة نحو الضمة : فالتي تكون قبل ألف التفخيم وذلك نحو : الصَّلاُة والزَّكُاة ، ودَعُا وغَزُا ، وقُام وصُاغ ، وكما أن الحركة أيضاً هنا قبل الألف ليست فتحة محضة ، بل هي مشوبة بشيء من الضمة ، فكذلك الألف التي بعدها ليست ألفاً محضة ؛ لأنها تابعة لحركة هذه صفتها ، فجري عليها حكمها " [٢].

" وإمالة الفتح إلى الضم لم يشتهر بين القدماء ولكن ابن جني أوضحه على الصورة السابقة وقال : إن لمح الإمالة فيه هو الذي تسبب في أنهم كتبوا الصلوة ، والزكوة ، والحيوة ، بالواو ؛ لأن الألف مالت نحو الواو ويقصد بذلك كتابتها في المصحف العثماني " [٣].

---

(١) سر صناعة الإعراب ٥٨١/٢ . وينظر : لسان العرب ٢١١/١٤ (حيا) ، واللهجات العربية في التراث د. أحمد علم الدين ٢٨٣/١ .

(٢) سر صناعة الإعراب ٥٢/١ .

(٣) اللهجات العربية نشأة وتطوراً ، د/ عبد الغفار هلال صـ ١٩٥.

وعلل الخليل بن أحمد كتابه الحيوة بالواو فقال : " ليعلم أن الواو بعد الياء ويقال ، بل كتبت على لغة من يفخم الألف التي مرجعها إلى الواو ونحو : الصلوة والزكوة " [١].

وإمالة الفتحة إلى الضمة كان موجوداً في الحجاز بدليل ما ذكره صاحب الشافية أن كتبهم لهذه الكلمات (الحيوة ، والصلوة ، والزكوة) بالواو على هذه اللغة [٢].

وقد وضح د/ صبحي الصالح نوعين من الإمالة بين كل منهما ، نوع من الاشتراك الصوتي فقال : " وفي الإمالة بنوعيها الجانح إلى الكسر والجانح إلى الضم ، ضرب من الاشتراك الصوتي لا يعطى به اللفظ الممال حقه من النغم الخاص به " [٣].

وجاء في شرح الشافية : " والحروف لا تمال ، فإن سُمي بها فكالأسماء . وأُميل بَلَىَ ، ويا ، ولا ، في إمَّا لا ؛ لتضمنها معنى الجملة .

وقد حكى قطرب إمالة (لا) من دون إما نحو : لا أفعل ، لإفادتها معنى الجملة في بعض الأحوال كبلي " [٤].

فنلاحظ أن قطرباً أمال " لا " وقد ذكر ابن جني السبب في ذلك فقال : لأنها " لما كانت جواباً قائمة بنفسها فقويت بذلك " [٥]. ويضاف إلى هذا السبب ما ذكره الرضى فقال : أن (لا) تفيد معنى الجملة في بعض

---

(١) العين للخليل ٣١٧/٣ (حيو) .

(٢) ينظر : اللهجات العربية في التراث ٢٨٣/١ .

(٣) دراسات في فقه اللغة د/ صبحي الصالح صـ ١٠١ .

(٤) شرح الشافية للرضي ٢٧/٣ .

(٥) ينظر : لسان العرب ٤٦٦/١٥ (لا) ، ٤٧١ (إمالا) ، وارتشاف الضرب ٢٤٦/١ ، وهمع الهوامع ٢٠٤/٢ . وحاشية الصبان ٢٣٢/٤ .

الأحوال ، مثلها مثل (بلى) في الإفادة . أي أنها تكفى في الجواب لفهم المراد . وقد أميل من الحروف (بلى) ، و (يا) في النداء ، و (لا) في قولهم (إما لا) ؛ لأن هذه الأحرف نابت عن الجمل ، فصار لها بذلك مزية على غيرها [١].

وقد ذكر أبو حيان : عن قطرب إمالة (لا) في الجواب من الغرة . أمال (لا) من العرب من لا ترتضى عربيته ، وحكى ذلك قوم من الكوفيين " [٢].

هذه هي الأمثلة التي وردت – فيما أعلم – عن قطرب في ظاهرة الإمالة ، والإمالة من الموضوعات الموجودة في عديد من الكتب ، بل قد أفرد لها بعض العلماء كتباً منفردة ومنها ، الإمالة في القراءات واللهجات العربية د/ عبد الفتاح شلبي .

---

(١) ينظر : حاشية الصبان ٢٣٢/٤ .

(٢) ينظر : ارتشاف الضرب ٢٤٦/١ .

(٤) مطل الحركة (إشباعها) وتسكينها .

الإشباع : هو تقوية النطق بالصوت [(١)].

بمعنى أن تمد الحركة فينتج عنها حرف من جنسها .

وقد ذكر ابن جني هذه الظاهرة في المحتسب فقال : " ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ [(٢)]. . . ومن قال بكسر الهاء والميم من غير باء فإنه اكتفى بالكسرة أيضاً عن الياء ؛ استخفافاً ، فأما قول الشاعر ، ورويناه عنه قطرب :

فهمو بطانتهم وهم وزراؤهم

وهمِ القضاة ومنهم الحكام [(٣)]

فيحتمل كسر الميم ، وروينا عنه أيضاً :

ألا إن أصحاب الكنيف وجدتهم

همِ الناس لما أخضبوا وتمولوا [(٤)]

... ورويناه عن قطرب أيضاً : عافاكم الله " [(٥)].

---

(١) ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها ، د.تمام حسان صـ٣٠٢ـ.

(٢) سورة الحمد : ٧ .

(٣) من بحر الكامل .

(٤) من بحر الطويل ، والبيت في المحتسب ٤٥/١ .

(٥) المحتسب ٤٣/١: ٤٦ ، وينظر : الخصائص ١٣٤/٣ ، وشرح المفصل ١٣١/٣ ، ٣٣٢ .

ومن الأمثلة التي ذكرها ابن جني أيضاً عن هذه الظاهرة " ما روي عن قطرب من قول الآخر :

وأشرب الماء ما بي نحو هو عطش
إلا لأن عيونه سَيْلُ واديها [١]

فقال : نحو هو بالواو ، وقال : عيونه بإسكان الهاء " [٢].

ومثله ما رواه عن قطرب أيضاً :

عَضضتُ بأيْر من أبيكَ وخالكا
وعضَّ بنو العمارِ بالسُّكُر الرطب [٣]

أشبع فتحة الكاف ، فحدّثت بعدها ألف .

وجاء في الخصائص قول ابن جني

" قم الليل ، وبعَ الثوب ، فإذا تذكرت (أي وقفت في الكلام متذكراً) قلت قما ، وبعا ، وفي سر : سرا ... وروينا عن قطرب أن منهم من يقول . شمُّ يا رجل ، فإذا تذكرت على هذه اللغة مطلت الضمة ،فوفيتها واواً فقلت : شمُّو " [٤] .

---

(١) من بحر البسيط . وقد روي هذا البيت بتسكين الهاء في عيونه ، ومن غير مطل ضمه الهاء في (نحوه) وأشر الماء ما بي نحو عطش إلا لأن عيونهْ سيل واديها
ينظر : سر الصناعة ٧٢٧/٢ ، وخزانة الأدب ٢٧٠/٥، ٢٧١ .

(٢) المحتسب ٢٤٤/١، والخصائص ١٢٨/١، ٣٧١ . وينظر : المحكم ٣٤٨/٤، ولسان العرب ٤٧٧/١٥، ٤٧٨ (ها) .

(٣) البيت من بحر الطويل ينظر : سر الصناعة ٧١٩/٢، ٧٢٠ .

(٤) الخصائص ١٣٣/٣، ١٣٤ .

وجاء في ارتشاف الضرب " وذكر قطرب إشباع ضمة الهمزة في الأولئك " [١].

إن ما ذكرته من الشواهد لظاهرة المطل عند قطرب لهو دليل على أن القدماء عرفوها وعبروا عنها ، وأصل المطل : المد ، يقال : مطل الحبلَ وغيره ، يمطله مَطْلا ، فامْطَلَّ أي مده ، والمطل أيضاً الطول [٢].

فنلاحظ في أمثلة قطرب الطول الذي جاء في الحركة فنتج عنه حرف من جنس الحركة .

ويقصد قطرب بقوله : فإذا تذكرتَ قلت : قما ، وبغا ، وفي سر : سرا و " أن هذه المَدّة قد تزاد بعد الكلمة أو الحرف إذا أريد اللفظ بعده ونسى المراد فيقف متذكراً ، ولا يقطع كلامه ؛ لأنه لم ينته كلامه إذ غايته ما يتوقعه بعده فيطول وقوفه ... فإذا كان مفتوحاً ، ألحقته ألفاً نحو قالا ، وإن كان مضموماً ألحقته واواً ، نحو يقولوو وفي المكسور ياء نحو من العامي " [٣].

وقد فطن ابن جني لهذه الظاهرة وعبر عنها بقوله : " اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين .... ويدلك على أن الحركات أبعاض لهذه الحروف ، أنك متى أشبعتَ واحدة منهن حدث بعدها الحرف الذي هي بعضه ، وذلك نحو فتح عين " عَمَر " فإنك إن أشبعتها حدثت بعدها ألف ، فقلت : عامَر . وكذلك كسرة عين " عِنَب " إن أشبعتها نشأت بعدها ياء ساكنة ، وذلك قولك : عِيْنَب .

---

(١) ارتشاف الضرب ١/٥٠٦ .

(٢) ينظر : لسان العرب ٦٢٤/١١، ٦٢٥ (مطل) .

(٣) ارتشاف الضرب ٥٠٦/١ ، وينظر : همع الهوامع ٧٥/١ .

وكذلك ضَمة عين " عُمَر " لو أشبعتها ، لأنشأت بعدها واواً ساكنة ، وذلك قولك ، " عُوْمَر " فلولا أن الحركات أبعاض لهذه الحروف ، وأوائل لها لما نشأت عنها ، ولا كانت تابعة لها " [١] .

وقد ذكر سيبويه بعض الأمثلة لهذه الظاهرة ومن ذلك قوله : " أن أهل الحجاز يقولون : مررت بِـهُو قبل ، ولد يْهو مالٌ ، ويقرءون : { فخسفنا بهُو وبدارِ هو الأرض } [٢] .

وقد ذكر ابن جنى أمثلة عليها فقال : حكى الفراء أنهم يقولون : أكلت لحما شاة ، يريدون لحم شاة ، فيمطلون الفتحة فينشئون عنها ألفاً ، كما يقولون في الوقف : قالا : يريدون : قال : ثم يمطلون الفتحة فتنشأ عنها الألف " [٣] .

وقد يستعمل الشاعر المطل أو الإشباع لإقامة الوزن – مثلاً – ويدل على ذلك قول ابن جني : " إذا احتاج الشاعر إلى إقامة الوزن ، مطل الحركة وأنشأ عنها حرفاً من جنسها وذلك قوله :

نفى الدراهيم تنقاد الصياريف " [٤] وأصله صيارف فمطل كسرة الراء على ذلك .

---

(١) سر الصناعة ١٧/١، ١٨ ، وينظر : الخصائص ٣١٧/٢ .

(٢) سورة القصص : ٨١ ، وينظر . الكتاب ١٩٥/٤ .

(٣) المحتسب ١٦٥/١ .

(٤) من بحر البسيط . وينظر الخصائص ٣١٧/٢ ، أوضح المسالك لابن هشام ٣٧٦/٤ . والبيت في الخصائص ٣١٧/٢، والمحتسب ٢٥٨/١ وصدر البيت " تنفي يداها الحصى في كل هاجرة " وهو في وصف ناقته ، يصفها بسرعة السير في الهاجرة ويسمع ليدها صليل كصليل الدراهم إذا انتقدها الصير في فنفي رديئها من جيدها . (ينظر : خزانة الأدب ٢٥٥/٢) .

وقول الآخر :

ينباع من ذفري غضوب جَسْرةٍ زيافة مثل الفُنَيْق المُكْدَم [١]

على أن أصله ينبع ، وتولدت الألف من إشباع فتحة الباء .

وأنشد غيره :

وأنت من الغوائل حيث تُرْمَى ومن ذم الرجال بمنتزاح [٢]

على أن الألف تولدت من إشباع فتحة قبلها [٣] .

وأشار إلى هذه الظاهرة ابن منظور [٤] .

ومما يؤيد ما جاء عن قطرب – أيضاً – مجيء بعض القراءات القرآنية بها ، ومن ذلك : " قراءة الحسن : ﴿ سَأُورِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [٥] . بإشباع ضمة الهمزة [٦] ، وقراءته أيضاً : ﴿ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ ﴾ [٧] بإشباع فتحة الكاف ، والمد قبل الهمز ، فأشبع الفتح فتولد منها ألف [٨]

---

(١) البيت من بحر الرجز ، وهو في اللسان لعنترة ٧٣/٨ (بوع) . وفي شرح ديوان عنترة ص ١٢– دار صادر . أراد ينبع فأشبع الفتح لإقامة الوزن فتولدت منه إشباعها ألف . الذفري : ما خلف الأذن . الجسرة : الناقة الموثقة الخلق . الزيف : التبختر ، والفعل زاف يزيف ، الفنيق : الفحل من الإبل . والمُكْدَم : الغليظ الشديد ، وأما المِكْدَم (في وصف رجل) فهو الشديد القتال ، ينظر : اللسان ٥١٠/١٢ (كدم) .

(٢) البيت من بحر الوافر ، وهو في اللسان ١٠٧/١٣ (حتن) .

(٣) ينظر : شرح شافية ابن الحاجب ٢٤/٤، ٢٥ .

(٤) اللسان ٤٧٦/١٥ ، ٤٧٧ (ها) .

(٥) سورة الأعراف : ١٤٥ .

(٦) ينظر : المحتسب ٢٥٨/١ .

(٧) سورة يوسف آية : ٣١ .

(٨) ينظر : المحتسب ٣٤٠/١، والإتحاف ٢٦٤ .

تعقيب :

نلاحظ من خلال الأمثلة المروية عن قطرب أن ظاهرة المطل غير قليلة عنده وهي شائعة في لغة أهل الحجاز واليمن " وبعض بنى سليم "[١] ، وقد عَرفَها ، وفطن إليها علماؤنا القدامى مثل : سيبويه ، وابن جني ، وابن منظور ، كذلك جاءت أمثلة عن قطرب في هذه الظاهرة قد أشرت إليها .

تسكين هاء الكناية :

ومن ذلك ما جاء في الخصائص في (باب الفصيح يجتمع في كلامه لغتان فصاعداً) .

قال الشاعر :

فظلت لدي البيت العتيق أخيلهُو
ومطواي مشتاقان لهْ أرقان [٢]

فقال اخيلهو بالمطل والإشباع ولهْ بالتسكين .

على أن أبا الحسن حكى أن سكون الهاء في هذا النحو لغة لأزد السَّراة ومثله ما رويناه عن قطرب من قول الشاعر :

وأشرب الماء ما بي نَحوهُ عطش
إلا لأن عيونهْ سيلُ واديها [٣] .

---

(١) شرح المفصل لابن يعيش ١٣٢/٣ .

(٢) من بحر الطويل ، والبيت منسوب ليعلى الأحول في المحتسب ٢٤٤/١ ، واللسان ٢٨٧/١٥ (مطا) .

(٣) ينظر : الخصائص ١٢٨/١ ، ٣٧١ ، وخزانة الأدب ٢٧٠/٥ ، ٢٧١ ، واللهجات العربية في التراث د. أحمد علم الدين الجندي ٥١٣/٢ .

وقد يكون إشباع الحركة وتسكينها من قبيل اختلاف اللهجات : فقد روي عن أبي الهيثم أنه قال : " مررت بِهْ ومررتَ بِهِ ومررت بِهِي ، قال : وإن شئت مررت بِهْ وبِهُ ، وبِهُو ، وكذلك ضربَهُ فيه هذه اللغات وكذلك يضربُهْ ويضرِبُهُ ، ويضرِبُهُو "[1] .

تعقيب :

إن الشواهد التي جاءت عند قطرب معظمها إطالة الصوت (الحركة) ، أو زيادة كمية الصوت ، وقد عبر عنها القدماء أحياناً بالمطل كابن جني [2] وأحياناً بالإشباع كما جاء في لسان العرب [3] .

- وظاهرة المطل أو الإشباع لم تكن مقصورة على طيئ وبعض أهل اليمن والحجاز ، بل كانت متفشية وشائعة في قبائل أخرى من العرب يلجئون إليها عند الحاجة ، ومما يؤكد ذلك أنه يوجد أشعار لشعراء من قبائل شتى غير طيئ وأهل اليمن والحجاز ، جاءت عندهم هذه الظاهرة [4] .

وكانت طيئ وأهل اليمن والحجاز كغيرهم من القبائل يشبعون الحركة عندما تقتضيهم الأحوال . ووجدت هذه الظاهرة في قليل من منثور الكلام ، ولكنها شاعت في الشعر كثيراً إلي حد جعل بعض اللغويين يجعلها ضرورة بالشعر ، خاصة به ، فقد قال ابن جني : " ولعمري إن هذا مما تختص به ضرورة الشعر وقلما تجئ في النثر "[5] .

---

(١) لسان العرب ٤٧٨/١٥ (ها) .

(٢) ينظر : سر صناعة الإعراب ٣٢/١ ، والمحتسب ١٦٥/١. والخصائص ١٢٣/٣ ، ١٢٦ .

(٣) ينظر : لسان العرب ٣٧٦/١٥ (ها) .

(٤) ينظر : الكتاب لسيبويه ١٧١/١ ، والمحتسب ١٦٦/١ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٣٤٠ ، والخصائص ٣١٨/٢ ، ٣/ ١٢٣ : ١٢٦ . وسر صناعة الإعراب ٧٢٧/٢ .

(٥) المحتسب ٣٤٠/١ .

وقول ابن جني هذا تعزره القراءات القرآنية ، ومنها التي قدمناها لأنه لا ضرورة في القرآن الكريم [١] .وإن القراءات القرآنية التي جاءت على الإشباع قليلة .

ونلاحظ أن حذف الصائت القصير وهو حركة الضمير ، سواء أكانت ضمة ،أم كسرة ، لغة أزد السراة ، وهي متفشية عندهم أكثر من غيرهم ، فقد عزا بعضهم هذه الظاهرة إلى عقيل وكلاب ، وهذا ما ذكره صاحب الحاشية على شرح الأشموني فقال :" وقد تسكن أو تختلس حركتها – (أي حركة الهاء) – بعد متحرك ، عند بني عقيل وبني كلاب واختياراً فيقولون لهْ بالإسكان والاختلاس " [٢] .

(١) ينظر : دراسات في لهجات العرب ، د. الموافي الرفاعي البيلي صـ ٩٢: ١٠٥ .
(٢) حاشية الصبان ١/ ١١٠ ، وينظر : البحر المحيط ٢/ ٤٩٩ .

(٥) المخالفة الصوتية :

إذا اشتملت الكلمة على صوتين متماثلين كل التماثل ، فإن بعض العرب يخالف بينهما ، فيبدل أحد الصوتين إلى صوت آخر ، فالمماثلة تقريب ، والمخالفة تفريق .

ومن أمثلتها ما رواه ابن جني عن قطرب فقال : " ومن ذلك قراءة عكرمة ﴿ إِيْلاً وَلَا ذِمَّةً ﴾ (١) بياء بعد الكسرة خفيفة اللام ... وروينا عن قطرب :

لا تفسدوا أبا لكم ... أيما لنا أيما لكم " (٢)

فأصل الكلام أمَا لنا أمَا لكم ، ولكن لما اشتملت الكلمة (إمَّا) على صوتين متماثلين من جنس واحد ، فرق الشاعر بينهما بالمخالفة ليتحقق الوضوح الصوتي . فقد خففت الميم الأولي من (أمّا) بقلبها ياء وحرف اللين يسهل النطق به .

وهذه الظاهرة جاءت على ألسنة العرب ونطقوا بها في كلامهم ، ومن ذلك ما جاء من قولهم : تقول : أما زيد فحسن ، ويقولون أيْما ، بمعنى أمّا . وأنشد المبرد في قول جميل :

على نبعة زوراء أيما خطامها ... فمتن ، وأيما عودها فعتيق (٣)

---

(١) سورة التوبة من الآية (١٠) ، والآية بتمامها ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلَا ذِمَّةً وَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴾.

(٢) البيت من بحر الرجز ، وينظر : المحتسب ١/٢٨٣ ، ٢٨٤، ٢/٣١٤ .

(٣) البيت من بحر الطويل .

قال : إنما يريد أمّا ، فاستثقل التضعيف ، فأبدل من إحدى الميمين ياء ، كما فعلوا بقيراط ، ودينار ، وديوان [١] .

والمخالفة بين المتماثلين لغة لبعض العرب . قال الفراء : " أمللت لغة أهل الحجاز وبنى أسد وأمليت لغة بنى تميم وقيس ، يقال : أملى عليه شيئاً يكتب ، وأملى عليه ، ونزل القرآن الكريم باللغتين معاً " [٢] .

وفي التنزيل ﴿ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ﴾ [٣] وهذا من أملّ .

وجاء فيه أيضاً ﴿ فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [٤] وهذا من أملى .

وهذا كله بلغة تميم وقيس ، وأما بلغة أهل الحجاز في حديث زيد أنه (ﷺ) أملّ عليه ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٥] .

وقد جاءت المخالفة في الشعر الفصيح كما جاءت في النثر والقراءات القرآنية . ومن ذلك قول الشاعر :

يا ليتما أمُّنا شالت نعامتُها ... أيْما إلى جنة أيْما إلى نار [٦]

فاختلاف الحرفين من أمّا إلى أيما ؛ للتخفيف [٧] ، وهذا التخفيف هو الهدف من المخالفة بين الصوتين .

---

(١) ينظر : لسان العرب ٤٣٧/١٣ (لهن) .
(٢) نفسه ٦٣١/١٣ (ملل) .
(٣) سورة البقرة من الآية (٢٨٢) .
(٤) سورة الفرقان من الآية (٥) .
(٥) سورة النساء من الآية (٩٥).
(٦) البيت من بحر البسيط .
(٧) ينظر : المحتسب ٤١/١، ولسان العرب ٤٧/١٤ (أمّا) والدر المصون ٢٠/٦، ٢١ .

ومن ذلك قول عمر بن أبي ربيعة :

رأت رجلاً أيْما إذا الشمس عارضت

فيَضْحَى وأيْما بالعشى فيخصرَ[1]

فنلاحظ أن رواية قطرب للبيت " بأيما " بقصد المخالفة الصوتية جاء على ما سمع من كلام العرب ، وشاع في لغة تميم وقيس ، والقراءة في الآية السابقة ﴿ إِيْلاً ولا ذِمَّةً ﴾ تؤيد ذلك أيضاً ، وبعض الأبيات المذكورة . وهذا كله الغرض منه ، الرغبة في المخالفة ؛ للوصول باللفظ إلى درجة كبيرة من الخفة ؛ ليسهل عليهم النطق [2] ويتحقق الانسجام .

---

(١) البيت من بحر الطويل وهو نعمر بن أبي ربيعة في ديوانه صـ ٦٤. وينظر : المحتسب ٢٨٤/١، والدر المصون ٢٠/٦ .

(٢) ينظر : دراسات في لهجات العرب ، د. الموافي الرفاعي صـ ١٨٧.

(٦) الوقف :

(أ) الوقف على تاء التأنيث بالتاء والهاء :

تاء التأنيث المختوم بها الاسم المؤنث المفرد مثل : فاطمة ، وقائمة جاءت اللغة الفصيحة فيه الوقف عليه بالهاء .

فقد قال السيوطي : " إذا كان آخر الاسم الموقوف عليه ، تاء تأنيث .... فالأفصح إبدالها في الوقف هاء إن تحرك ما قبلها لفظاً كفاطمة وقائمة ، وطلحة ، وغلمة ، أو تقديراً كالحياة والقناة ، بأن أصل هذه الألف حرف علة متحرك انقلبت عنه [1] .

والوقف عليها بالتاء لغة لبعض العرب قال سيبويه : " وزعم أبو الخطاب أن ناساً من العرب يقولون في الوقف طلحتْ " [2] .وقد حكى هذه اللغة الفراء فقال عنها : " والعرب تقف على كل هاء مؤنث بالهاء إلا طيئاً فإنهم يقفون عليها بالتاء فيقولون : هذه أمتْ ، وجاريتْ ، وطلحتْ " من أمة وجارية وطلحة [3] .

وروي ابن جني عن قطرب إنشاده لبعض الأبيات على لهجة طيئ فقال : " ومن العرب من يجري الوقف مجري الوصل فيقول في الوقف ، هذا طلحتْ ، وعليه السلام والرحمت . وأنشدنا أبو على :

بل جَوْزِ تيهاءَ كَظَهْرِ الحَجَفَتْ [4]

---

(١) همع الهوامع ٢٠٩/٢ .

(٢) الكتاب ١٦٦/٤ .

(٣) ينظر : ارتشاف الضرب ٤٠٤/١ ، ولسان العرب ٤٧٩/١٥ (ها) .

(٤) البيت من بحر البسيط . وهو لسؤر الذئب في اللسان ٣٩/٩ (حجف) . والبيت بتمامه :

قد تَبَلَتْ فُؤادَه وشَغَفتْ   بل جوز تيهاء كظهر الحجفتْ

والحجفة : هي من الجلود خاصة . ويقال للتُرْس إذا كان من جلود ليس فيه خشب ولا عَقَبٌ : حَجَفة .

وأخبرنا بعض أصحابنا يرفعه إلى قطرب قال :

اللهُ نجاكَ بكفى مَسْلَمتْ

من بعدما وبعد ما وبعد مَتْ

صارت نفوس القوم عند الغَلْصَمَتْ

وكادتْ الحرةِ أن تُدْعي أمتْ "(١)

يريد مسلمة (بإبدال تاء التأنيث هاء في الوقف) وبعد مه أصلها بعدما ، فأبدل الألف هاء ثم أبدل الهاء تاء تشبيهاً بتاء التأنيث .

قال أبو حيان : وعلى هذه اللغة كتبت في المصحف ألفاظ بالتاء ، نحو قوله تعالى : ﴿ إِنَّ شجرة ٱلزَّقُّومِ ﴾(٢) ، وقراءة نافع وابن عامر وحمزة (إن شجرت) بالتاء . ووقف عليها بالهاء ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ، ويعقوب(٣) .

" وذهب الفراء إلى أن التاء في (هيهات) دلّتْ على تأنيث الكلمة كقولهم : (همت ، ثمت ، جلت) وكقولهم : ربت رجل رأيت ، قد خلت التاء لتأنيث الكلمة .

وقد قال قطرب : هي بمنزلة (مرضاة) و (مرماة) فجعلها هاء تأنيث وإن لم يكن لها مذكر "(٤) .

---

(١) الخصائص ٣٠٤/١ ، والبيتان من بحر الرجز وهما في اللسان ٤٧٢/١٥ (ما) .

(٢) سورة الدخان من الآية : ٤٣ . وينظر : همع الهوامع ٢٠٩/٢ .

(٣) ينظر : الإتحاف ٤٦٣/٢، وأوضح المسالك ٣٤٨/٤ .

(٤) الكشف عن وجوه القراءات للقيسي ١٣٢/١ .

" والوقوف على تاء التأنيث يتخذ في اللهجات العربية أحد طريقين :

طريق من ينتظرون ، وهم أولئك الذين يحافظون على صوت التاء ، ويبقون عليها .

وطريق الذين لا ينتظرون ، فتسقط التاء في وقفهم مثلها في هذا مثل معظم الحروف الشديدة المهموسة حين تتطرف في الكلمة الموقوف عليها .

وما روي لنا من أن قوماً من العرب كانوا يقولون : (يا أهل سورة البقرت) فيرد الآخر : (ما أحفظ منها ولا آيتْ) ...... فهذه لهجة قد أبقت على التاء في حالة الوقف ، وتعد لذلك مثلاً واضحاً للهجة الذين ينتظرون " [١] .هذا عن تاء التأنيث التي تجئ في المفرد .

أما عن تاء الجميع ،فتبقي كما هي في الغالب المشهور ، بخلاف ما حكاه قطرب عن طيئ أنها كانت تبدل تاء جمع المؤنث السالم هاء في الوقف ، فيقولون : " كيف البنون والبناهْ ، وكيف الإخوةُ والأخواهْ " [٢] . والغالب والكثير " ألا تقلب هاء لأنها لم تتخلص للتأنيث ، بل فيها معنى الجميعة فلا تقلب هاء " [٣] . " وقد سمع إبدالها هاء في قول بعضهم : (دفن البناه من المكرماه) يريد : دفن البنات من المكرمات .... وسمع هيهاه وأولاه : ونقل بعضهم أنها لغة طيئ " [٤] .

---

(١) من أسرار اللغة ، د. أنيس صـ٢٣١ .

(٢) سر الصناعة ٥٦٣/٢ . وينظر : تسهيل الفوائد لابن مالك صـ ٣١٦ . وشرح الشافية للرضى ٢٨٨/٢ . والمفصل ٨٠/٩، ٨١، ٤٥/١٠، والمقرب لابن عصفور صـ ٣٧٧ . واللهجات العربية في التراث صـ ٥٠٩ . وملامح اللهجات د.عبد المنعم عبد الله حسن صـ ١٤١، ١٤٢ .

(٣) شرح الشافية للرضى ٢٨٨/٢ .

(٤) حاشية الصبان ٢١٤/٤ .

والوقف بالتاء على جمع التصحيح كالهندات والبنات والأخوات وأولات هو الأفصح ، ويجوز إبدالها فيما سمع من ، دفن البناه من المكرماه ، وكيف الأخوه ، والأخواه . وهذا ما حكاه قطرب من الوقف عليها بالهاء .

ولكن السيوطي نقل عن أبي حيان رأيه في مثل هذا الإبدال ، فقال أبو حيان : أن ذلك شاذ لا يقاس عليه ، أي قليل جداً ، وإن كان قد حكاه قطرب عن قبيلة عربية وهي طيئ ، إلا أن ذلك لا يطرد قياسه [1] .

تعقيب :

نلاحظ في الوقف على الاسم المختوم بتاء تأنيث أنها تبدل هاء بشرط تحرك ما قبلها لفظاً كفاطمة ، وهو رأي الجمهور . ولكن قبيلة طيئ تقف عليه بالهاء بغير إبدال في مثل طلحت ويا أهل سورة البقرت ، وقد حكى قطرب من الشعر ما يدعم ذلك .

وأما تاء جمع المؤنث ، فالجمهور على عدم الوقف عليها بالهاء خلافاً لما حكاه قطرب عن طئ بإبدال التاء هاء في الوقف .

(ب) الوقف على ذات بالهاء .

جاء في مشكل إعراب القرآن في " قوله تعالى : ﴿ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ [2] . أصل ذات عند البصريين ذوات ، فقلبت الواو ألفاً ، وحذفت ؛ لسكونها وسكون الألف بعدها فبقي ذات . ودل على ذلك قوله

---

(١) ينظر : همع الهوامع ٢٠٩/٢ ، ودراسات في لهجات العرب د. الموافي البيلي ص ١١٣ : ١١٧ .

(٢) سورة الأنفال من الآية (١) ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ .

تعالى في التثنية : ﴿ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴾ [1] فرجعت الواو إلى أصلها . وكل العلماء والقراء وقفوا على (ذات) بالتاء ، إلا أبا حاتم ، فإنه أجاز الوقف عليها بالهاء .

وقال قطرب : الوقف على ذات بالهاء حيث وقعت ؛ لأنها هاء تأنيث ذي مال " [2] .

فنلاحظ أن معظم القراء كانوا يقفون على ذات بالتاء ولكن أبا حاتم وقطرباً خالفا هذا الإجماع ، وأجازا الوقف على (ذات) بالهاء حيث وقعت في الكلام ، مستدلين بأنها المؤنثة المفردة ، ويقابلها (ذي) للمفرد المذكر .

(جـ) الوقف على الاسم المنون :

يقف بعض العلماء على الاسم المنون المنصوب بالسكون ، وذلك على أنه لغة .

قال ابن جني : " وحدثنا أبو علي ، على أن أبا عبيدة حكى عنهم : ضربت فرجْ ، وانشد للأعشى :

إلى المرء قيسٍ أطيل السُّرَى
وآخذ من كل حيٍّ عُصُمْ [3]

ولم يقل : عُصُمَا .

---

(١) سورة الرحمن آية (٤٨) .

(٢) مشكل إعراب القرآن للقيسي صـ٣٠٩ ، تحقيق د. حاتم الضامن .

(٣) من بحر المتقارب ، وهو في ديوان الأعشى صـ١٩٦. من قصيدة بعنوان (موتوا كراماً بأسيافكم) . عُصُمْ : عهود.

وأخبرنا بعض أصحابنا يرفعه إلى قطرب أنه ينشد :

شَنِّزٌ جنبي كأني مُهْدَأٌ .... جعل القين على الدُّفِّ إبَرْ[1]

ولم يقل : إبرا.

وقال الآخر :

أعددت للورد إذا الورد حَفَزْ غَرْباً جروراً وجلالاً خُزَ خُزْ[2]

ولم يقل : خز خزا .

وأخبرنا بعض أصحابنا عن قطرب أنه أنشد لعدى بن زيد :

اتعرف أمسِ من لميسَ طَلَلْ مثلَ الكتاب الدارس الأحْوَلْ

قد كنتَ بحراً كالفرات تمـ ـرُ الناس منه درمكا وحُلَلْ[3]

ولم يقل : طللا ، ولا حُلَلاَ .

هل ترى من ظُعُن باكرة يتطلّعنَ من النَّجْد أُسُرْ[4] .

ولم يقل : أُسُرا . هكذا رويناه عنه .

قال : وسمعنا بعض أصحابنا الفصحاء من بني حنظلة ينشد :

لما رأت في ظهريَ انحناءْ والمَشْيَ بعد قَعَسٍ إحناءْ

أجْلَتْ وكان حبُّها إجلاءْ وجَعلت نصفَ غَبُوقي ماءْ

ثم تقول من بَعيدٍ هاءْ دحرجةً إن شئتَ أو إلقاءْ[5] .

قال : فوقف على هذا كله بغير ألف "[6] .

---

(١) من بحر المديد . شنز : قلق . مهدأ : من هدأ الصبي إذا علله لينام . الدف : الجنب .

(٢) من بحر البسيط ، والبيت في اللسان ٣٤٦/٥ (خزز) . خُزَ خُزْ : قوي شديد .

(٣) البيتان من بحر الطويل .

(٤) البيت من بحر الخفيف .

(٥) الأبيات من بحر الرجز .

(٦) سر الصناعة ٤٧٧/٢، ٤٧٨. وينظر : الخصائص ٩٩/٢ .

وهذه اللغة قد حكاها طائفة من العلماء فقال ابن جني : " ولم يحك سيبويه هذه اللغة ، لكن حكاها الجماعة : أبو الحسن ، وأبو عبيدة ، وقطرب ، وأكثر الكوفيين ... ألا ترى أن صاحب هذه اللغة إنما يقف على حرف الإعراب ساكناً فيقول ، رأيت زيدْ ، كالمرفوع ، والمجرور ، هذا هو الظاهر من الأمر " [١] .

جاء في حاشية الصبان : " واعلم أن في الوقف على المنون ثلاث لغات :

الأولى : وهي الفصحى – أن يوقف عليه بإبدال تنوينه ألفاً إن كان بعد فتحة ، وبحذفه إن كان بعد ضمة أو كسرة بلا بدل ، تقول : رأيت زيداً ، وهذا زيد ، ومررت بزيد .

والثانية : أن يوقف عليه بحذف التنوين وسكون الآخر مطلقاً ، ونسبها المصنف إلى ربيعة .

والثالثة : أن يوقف عليه بإبدال التنوين ألفاً بعد الفتحة ،وواواً بعد الضمة ، وياء بعد الكسرة ، ونسبها المصنف إلى الأزد " [٢] .

فنلاحظ أن الاسم المنون : إما أن يكون مرفوعاً أو مجروراً أو منصوباً ، وقبائل العرب مختلفة في طريقة الوقف على هذا الاسم المنون : فربيعة تقف عليه بالسكون مع حذف التنوين ، في حالاته الثلاث .

والأزد يبدلون التنوين حرف لين يتناسب مع الحركة ، قال سيبويه : " وزعم

---

(١) الخصائص ٩٩/٢، ١٠٠ . وينظر : ارتشاف الضرب ٣٩٢/١ .

(٢) حاشية الصبان ٢٠٤/٤ .

أبو الخطاب أن أزد السراة يقولون : هذا زيدُ وهذا عمرو ، ومررت بزيدي وبعمرى ، جعلوه قياساً واحداً فأثبتوا الياء والواو كما أثبتوا الألف " [١] .

وقطرب قد حكى هذه اللغة مع الجماعة (أبو الحسن ، وأبو عبيدة ، وغيرهما) وقد علق الدكتور أنيس على هذه اللهجة فقال : " وهذا النوع من الوقف يشبه إلى حد كبير ما نألفه في الوقف الشعري على الروي المرفوع أو المجرور في القافية المطلقة ، ويكفى النظر إلى بيتي شوقي :

ريم على القاع بين البان والعلم
أحل سفك دم في الأشهر الحرم
طارنا حدثتني النفس قائلة
ياويح جنبك بالسهم المصيب رمي [٢]

لتدرك ما نعنى . وانظر أيضاً إلى قول أبي العتاهية :

الموت بين الخلق مشترك
لا سوقة يبقي ولا ملك [٣]

وقارن بالقافية في هذا المطلع ، بقوله من نفس القصيدة :

لم يختلف في الموت مسلكهم ... لا بل سبيلاً واحداً سلكوا " [٤]

وأما قريش فقد وقفت على المرفوع والمجرور بالسكون ، وعلى المنصوب بالألف . فتقول : هذا محمدْ ، ومررت بمحمدْ ، ورأيت محمداً ، ووافقهم معظم العرب ، وجاءت فواصل القرآن الكريم مؤكدة هذا المسلك .

---

(١) الكتاب ١٦٧/٤ . وينظر : همع الهوامع ٢٠٥/٢ .
(٢) البيتان من بحر البسيط . وهما من قصيدة (نهج البردة) لأحمد شوقي . ينظر : الشوقيات ١٩٠/١ .
(٣) البيت من بحر الكامل . وهو في ديوانه صـ ٣١٠ـ .
(٤) من بحر الكامل ، وينظر : من أسرار اللغة صـ ٢٢٤ .

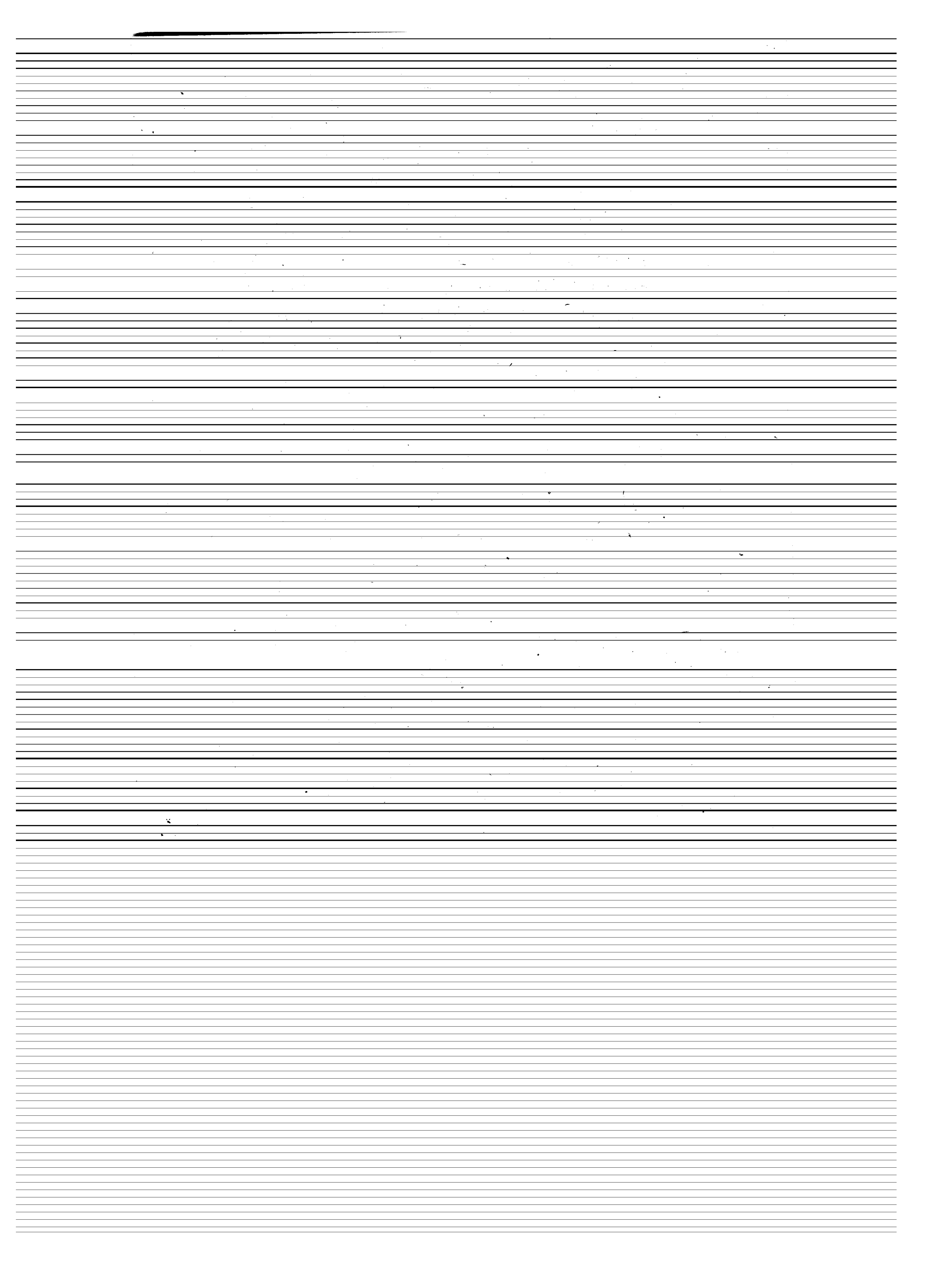
انظر في سورة الإسراء .... تجد فواصل السورة كلها ماعدا فاصلة الآية الأولى فقط كلها باسم منون منصوب موقوف عليه بالألف .... والأمثلة على ذلك كثيرة ومتعددة عبر سور القرآن الكريم "[(١)].

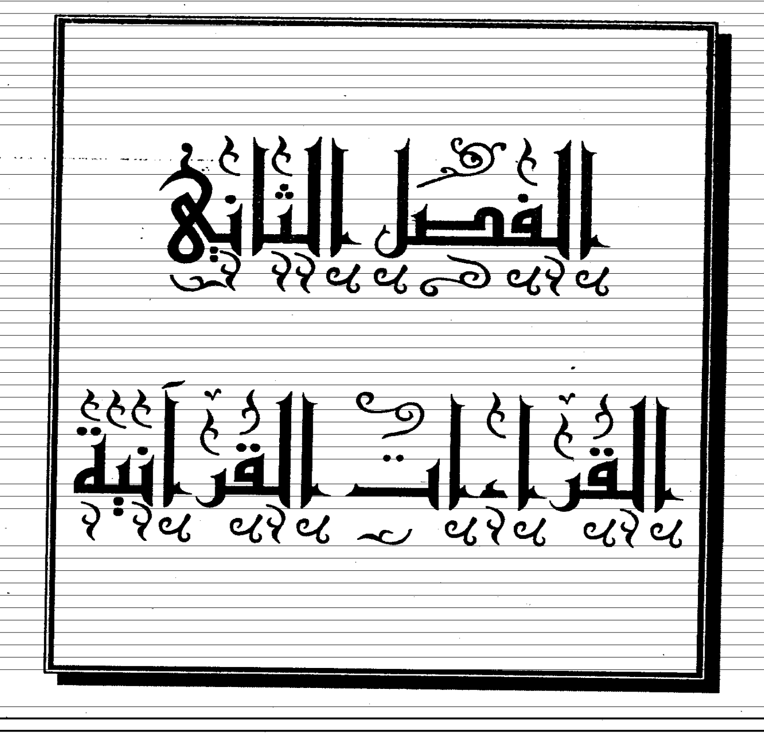
وجاء عن ابن هشام قوله : " إذا وقفت على منون فأرجح اللغات وأكثرها أن يحذف تنوينه بعد الضمة والكسرة ، كـ (هذا زيدْ) و (مررت بزيدْ) وأن يُبْدَل ألفاً بعد الفتحة : إعرابية كانت كـ (رأيت زيْداً) وبنائية كـ (إيهاً) و (وَيْهَا) وشبهوا (إذَنْ) بالمنون المنصوب ؛ فأبدلوا نونها في الوقف ألفاً ، هذا قول الجمهور "[(٢)].

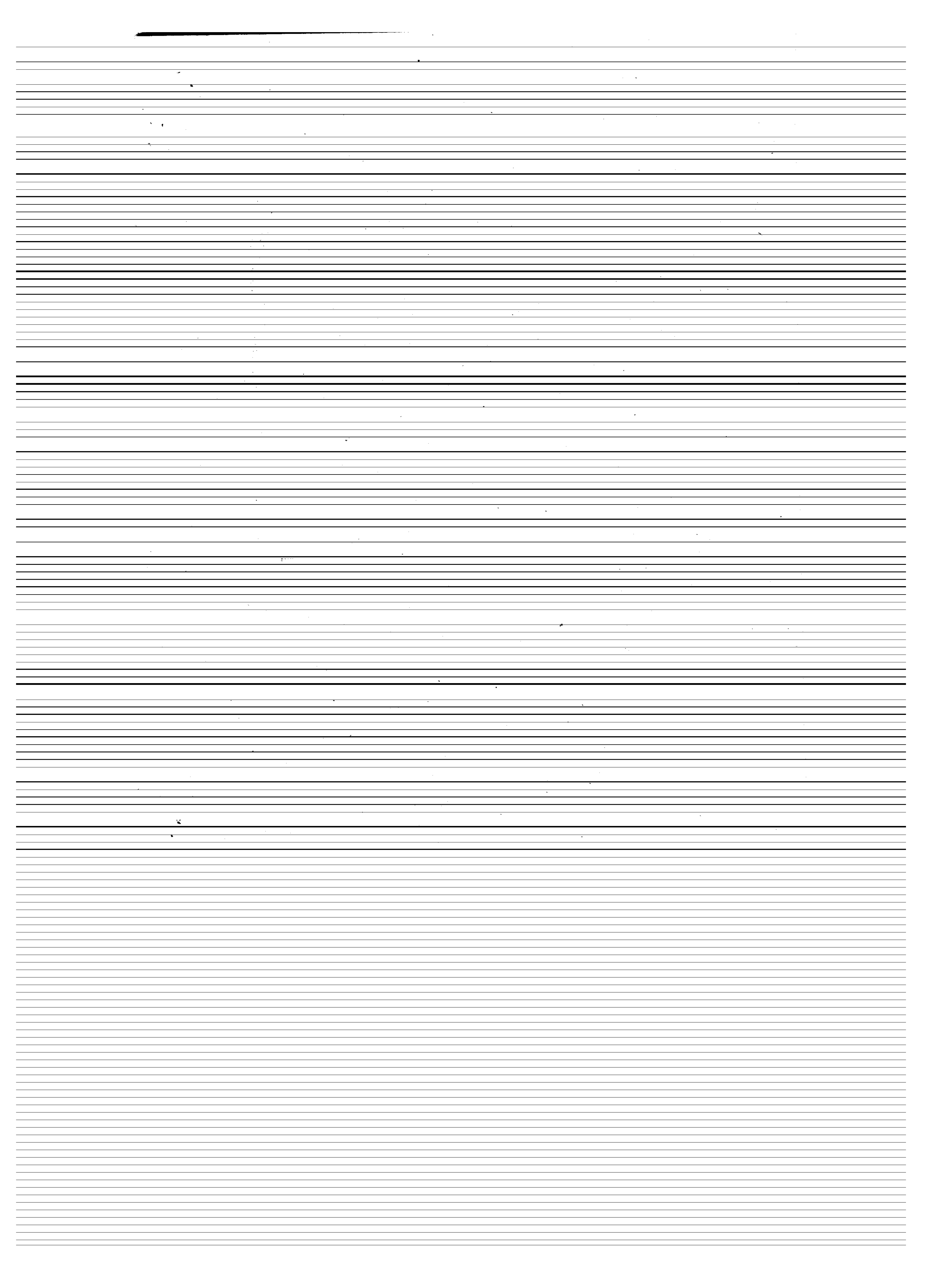
---

(١) ملامح اللهجات العربية ، د. عبد المنعم عبد الله حسن صـ ١٤٣ : ١٤٥، وينظر : دراسات في لهجات العرب د. الموافي البلي صـ ١٦١ .

(٢) أوضح المسالك ٣٤٢/٤ .




الفصل الثاني
القراءات القرآنية



المبحث الأول : مدخل إلى علم القراءات

المعنى اللغوي لكلمة (القرآن) .

القرآن : التنزيل العزيز ويسمّى كلام الله تعالى الذي أنزله على نبيه (ﷺ) كتاباً ، وقرآناً ، وفرقاناً ، ومعنى القرآن : معنى الجمع ، وسمي قرآناً ؛ لأنه يجمع السور ، فيضمها ،وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ (١) أي : جمعه وقرآءته ، ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ (٢) أي : قراءته .

" قال ابن عباس (رضي الله عنه) : فإذابيَّنّاه لك بالقراءة ، فاعْمَلْ بما بَيَّنّاه لك... وقَرَأْتُ الشيءَ قُرْآناً: جَمَعْتُه وضَمَمْتُ بعضَه إلى بعض . ومنه قولهم : ما قَرَأَتْ هذه الناقةُ سَلىً قَطُّ ، وما قَرَأَتْ جَنِيناً قطُّ ، أي لم يَضْطَمَّ رَحِمُها على ولد، وأنشد:

هِجانُ اللَّوْنِ لم تَقْرَأْ جَنِينا

وقال : قال أكثر الناس : معناه لم تَجْمع جَنيناً أي لم يَضطَمّ رَحِمُها على الجنين. قال، وفيه قول آخر : لم تقرأ جنيناً أي لم تُلْقه، ومعنى قَرَأْتُ القُرآن : لَفَظْت به مَجْمُوعاً أي ألقيته.

والأصل في هذه اللفظة : الجمع ، وكلُّ شيءٍ جَمَعْتَه ، فقد قَرَأْتَه ، وسمي القرآنَ ؛ لأنه جَمَعَ القِصَصَ ، والأمرَ ، والنهيَ ، والوَعْدَ ، والوَعِيدَ ، والآياتِ ، والسورَ بعضَها إلى بعضٍ ، وهو مصدر كالغُفْرانِ والكُفْرانِ... وقد تُحذف الهمزة منه تخفيفاً، فيقال: قُرانٌ " (٣)

---

(١) سورة القيامة من الآية (١٧) .

(٢) سورة القيامة من الآية (١٨) .

(٣) لسان العرب لابن منظوراً ١ / ١٢٨ ، ١٢٩ (ق – ر – ١) .

من خلال المعنى اللغوي لمادة (قرأ) نجد أنها في أصلها تعني الضم والجمع ، كالجمع للحروف فتصير كلمة ، والكلمات تصير جمل ، وعبارات وكالضم بأن الناقة لم تضم في رحمها جنيناً ، والقرآن في معناه أيضاً يعني الضم والجمع ، كأن القرآن الكريم عند جمع بعضه إلى بعض وسوره إلى بعض ، واشتمل على أوامر ، ونواهي ، وقصص ، وغير ذلك فكأنه جمع كل ذلك وضمه ، ومن هنا جاءت علة تسميته القرآن الكريم بهذا الاسم سواء أكان مقروءاً أم مجموعاً .

أما عن الحكمة في تسميته قرآناً فقد ذكر العلماء عللاً وأسباباً اجتهدوا فيها منها :

قال الجاحظ : " سمي الله كتابه اسماً مخالفاً لما سمي العرب كلامهم على الجُمَل التفصيل . وسمَّي جملته قرآناً ، كما سموْا ديواناً ، وبعضه سورة ، كقصيدة ، وبعضها آية كالبيت ، وآخرها فاصلة كقافية " [١].

وقال أبو عبيدة : وسمي (القرآن الكريم كتاباً) بذلك ؛ لأنه جمع السور بعضها إلى بعض .

وقال الراغب : ... وإنما سمي قرآناً ؛ لكونه جمع ثمرات الكتب السالفة المنزلة . وقيل : لأنه جمع أنواع العلوم كلها .

وحكى قطرب قولاً : إنما سمي قرآناً ؛ لأن القارئ يظهره ويبينه من فيه ، أخذاً من قول العرب : ما قرأت الناقة سلاً قطَ ، أي : ما رمت بولد ، أي ما أسقطت ولداً ؛ أي ما حملت قط ، والقرآن يلفظه القارئ من فيه ، ويلقيه فسمي قرآناً " [٢].

---

(١) الإتقان للسيوطي ١ / ١٤٣ .

(٢) نفسه ١ / ١٤٧ .

أما الهمز والتسهيل للفظ (القرآن) واشتقاقه فاختلف العلماء في ذلك . فقالت جماعة منهم : هو اسم علم غير مشتق ، خاص بكلام الله ، فهو غير مهموز ، وبه قرأ ابن كثير ، وهو مروي عن الشافعي ، أخرج البيهقي ، والخطيب وغيرهما عنه ، أنه كان يهمز قرأت ، ولا يهمز القرآن ، ويقول : القرآن : اسم وليس بمهموز ، ولم يؤخذ من قرأت ، ولكنه اسم لكتاب الله مثل : التوراة ، والإنجيل .

وقال قوم ، ومنهم الأشعري : هو مشتق من قرنت الشيء بالشيء ، إذا ضممت أحدهما إلى الآخر .

وقال الفراء : هو مشتق من القرائن ، لأن الآيات منه يصدق بعضها بعضاً ، ويشابه بعضها بعضاً ، وهي قرائن . وعلى القولين هو بلا همز أيضاً ، ونونه أصلية .

أما القائلون بهمز وتحقيق لفظ (القرآن) فقال قوم منهم اللحياني : هو مصدر لقرأت ، كالرجحان ، والغفران ، سمي به الكتاب المقروء ، من باب تسمية المفعول بالمصدر .

وقال آخرون منهم الزجاج : هو وصف على فعلان ؛ مشتق من القَرْء بمعنى الجمع ، ومنه قرأت الماء في الحوض ، أي جمعته .

وقد اختار السيوطي من هذه الآراء ما نص عليه الإمام الشافعي [١] على ذلك فلفظ القرآن جامد ، وليس بمشتق [٢] والإمام القرطبي في تفسيره بعد عرض الآراء قال : والصحيح الاشتقاق في الجميع [٣].

---

(١) الإتقان ١ / ١٤٦ ، ١٤٧ .

(٢) دراسات في اللهجات العربية صـ ٨٦ .

(٣) تفسير القرطبي ٢ / ٢٠٠ .

والحديث عن القرآن الكريم ومعرفة أسمائه طويل ، فقد عقد الإمام السيوطي نوعاً منفرداً وسماه " في معرفة أسمائه وأسماء سوره " .

وقد ذكر خمسة وخمسين اسماً للقرآن الكريم مع تعليل كل اسم ، وذكر الآية التي ورد ، ومن ذلك قوله : اعلم أن الله سمي القرآن بخمسة وخمسين اسماً . سماه كتاباً ومبيناً في قوله : ﴿ حمٓ ۝ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝ ﴾[(1)].

أما تسميته كتاباً ؛ فلجمعه أنواع العلوم والقصص والأخبار على أبلغ وجه ، والمبين ؛ لأنه أبان ، أي أظهر الحق من الباطل ، وسماه كذلك كلاماً : ﴿ ... حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ... ﴾[(2)] ؛ لأنه يؤثر في ذهن السامع فائدة لم تكن عنده ، ونوراً : ﴿ ... وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴾ [(3)] ؛ لأنه يدرك به غوامض الحلال والحرام ، وفرقاناً : ﴿ ... نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ ... ﴾ [(4)] ؛ لأنه فرق بين الحق والباطل ، وشفاء : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ ... ﴾ [(5)] ؛ لأنه يشفي من الأمراض القلبية ، كالكفر ، والجهل ، والغل ، والبدنية أيضاً .

---

(١) سورة الدخان من الآيتان (١ ، ٢) .
(٢) سورة التوبة من الآية (٦) .
(٣) سورة النساء من الآية (١٧٤) .
(٤) سورة الفرقان من الآية (١) .
(٥) سورة الإسراء من الآية (٨٢) .

واستطرد السيوطي إلى آخر الباب في ذكر الأسم وسبب تسميته به [1].

والقرآن بأي اسم سميته - هو الكلام المعجز المنزل على النبي (ﷺ) - المكتوب في المصاحف ، المنقول عنه بالتواتر ، المتعبد بتلاوته . وتعريف القرآن الكريم على هذا الوجه متفق عليه بين الأصوليين ، والفقهاء ، وعلماء العربية [2].

تعريف علم القراءات :

هو علم يعرف منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالىٰ ، واختلافهم في الحذف ، والإثبات ، والتحريك ، والتسكين ، والفصل والوصل ، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال ، وغيره من حيث السماع .

أو يقال : علم بكيفية آداء كلمات القرآن واختلافها ، معزواً لناقله .

أو يقال علم القراءات : اختلاف ألفاظ الوحي المذكور (القرآن) في الحروف ، أو كيفيتها من تخفيف وتشديد ، وغيرهما [3].

موضوعه :

كلمات القرآن الكريم ، يبحث في هذه الألفاظ والكلمات من حيث أحوالها كالمد والقصر ، والتخفيف ، والتشديد وغير ذلك .

غايته :

معرفة ما يقرأ به كل من أئمة القراء .

والمقرئ : هو من علم بالقراءات آداء ، ورواها مشافهة ، فلو حفظ كتاباً امتنع عليه إقراؤه بما فيه ، إن لم يشافهه من شوفه به مسلسلاً ؛ لأن في

---

(١) الإتقان ١ / ١٤٣ : ١٤٨ النوع السابع عشر .

(٢) مباحث في علوم القرآن د . صبحي الصالح صـ ٢١

(٣) الإتحاف ١ / ٦٧ : ٦٩ .

القراءات أشياء ، لا تحكم إلا بالسماع والمشافهة ، بل لم يكتفوا بالسماع من لفظ الشيخ فقط في التحمل ، وإن اكتفوا به في الحديث ؛ قالوا لأن المقصود هنا كيفية الآداء ، وليس كل من سمع من لفظ الشيخ يقدر على الآداء ؛ أي : فلا بد من قراءة الطالب على الشيخ ، بخلاف الحديث ، فإن المقصود منه المعنى أو اللفظ ، لا بالهيآت المعتبرة في آداء القرآن ، وأما الصحابة فكانت طباعهم السليمة ، وفصاحتهم تقتضي قدرتهم على الآداء ، كما سمعوه منه ؛ لأنه نزل بلغتهم [١].

الفرق بين القراءة ، والرواية ، والطريق :

القراءة : هي طريقة من طرائق الآداء للقرآن الكريم ، تعتمد على التلقي والعرض ، نسبت إلى إمام من الأئمة ، اشتهر بالثقة ، والأمانة والضبط ، وملازمة القراءة .

والرواية : هي طريقة من طرائق الآداء للقرآن الكريم ، نقلها الراوي عن الإمام ، ونسبت للراوي عن الإمام .

والطريق : كل خلاف نسب للأخذ عن الراوي وإن سفل .

ومن خلال التعريف السابق لـ (القراءة ، والرواية) يتضح أنه لا بد في القراءة من شرط المعاصرة ، والتلقي ، والعرض ؛ لأنها تتعلق بكيفية الآداء ، وليس كل من سمع من لفظ الشيخ ، يقدر على الآداء ، فلابد من قراءة الطالب على الشيخ ، بخلاف الرواية ، فلا يشترط فيها العرض على الشيخ ، بل لا تشترط فيها المعاصرة [٢].

---

(١) الإتحاف ١ / ٦٧ ، ٦٨ .

(٢) اللهجات العربية والقراءات القرآنية صـ ١ . د . إبراهيم أبو سكين .

وقد أوضح ذلك صاحب الإتحاف فقال :

" واعلم أن الخلاف إما أن يكون للشيخ كنافع ، أو للراوي عنه كقالون ، أو للراوي عن الراوي وإن سفل ، كأبي نشيط عن قالون ، والقزاز عن أبي نشيط ، أو لم يكن كذلك .

فإن كان للشيخ بكماله ، أي مما اجتمعت عليه الروايات ، والطرق عنه ، فقراءة ، وإن كان للراوي عن الشيخ فرواية .

وإن كان لمن بعد الرواة وإن سفل ، فطريق ، وما كان على غير هذه الصفة ، مما هو راجع إلى تخيير القارئ فيه ، فهو وجه .

مثاله :

إثبات البسملة بين السورتين ، قراءة ابن كثير ومن معه ، ورواية قالون عن نافع ، وطريق الأصبهاني عن ورش ، وطريق صاحب الهادي عن أبي عمرو ، وطريق صاحب العنوان عن ابن عامر [1].

الصلة بين القراءات واللهجات :

القراءات القرآنية زاخرة بالسمات اللغوية الصوتية والصرفية ، والنحوية ، والدلالية ، والتي تقوم عليها دراسة اللهجات العربية من مصادرها ، وأصولها ، حيث تعتمد القراءات على المشافهة والتلقي ، وحسن الضبط ، وكان قد سمح بقراءة القرآن ببعض الصفات اللهجية ، وذلك ؛ رغبة التيسير على عامة العرب ؛ وتأليفاً لقلوبهم حيث يقول الرسول (ﷺ) : " أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها كاف شاف " .

---

(1) الإتحاف ١ / ١٠٢ .

كما أن دراسة اللهجات العربية القديمة ، تمدنا بمصادر القراءات القرآنية غير المنسوبة إلى لهجة معينة ، كما نلتمس منها بعض أسرار رسم المصحف الشريف [١].

فاللهجات واقع لغوي ، والقراءات مسموع مروي ، فهما حقيقتان لا ينكران ، وجانبان في اللغة كبيران فاللهجات فطرية ، والقراءات تعبدية ، وليس بين الفطرة والعبودية . تنافر أو تضاد [٢].

والقراءات القرآنية تعتبر المرآة الصادقة لما كانت عليه ألسنة العرب قبل الإسلام ، وعلى ذلك لا يستطيع باحث أن يتعرض للهجات العربية ، دون أن يقوم بدراسة للقراءات ، وذلك للارتباط والعلاقة القومية الموجودة بين القراءات واللهجات .

وإذا كانت القراءات القرآنية كذلك ، فهي تعد أوثق المصادر اللغوية لدراسة اللهجات ؛ لأن منهج القراءات أصح مناهج النقل اللغوي ؛ لاعتمادها على التلقي والعرض ، وهما يكفلان صحة النقل ودقته [٣].

وإذا كنا نتحدث عن القراءات وصلتها باللهجات ، فأجد أنه من تتمة القول أن نبين المراد أيضاً من اللغات في القرآن الكريم ، وهل لها صلة بالقراءات ، أو هل هي نمط لغوي مستقل ؟

" فاللغات في القرآن يقصد بها ، اللغات التي وردت بلفظها ومعناها في القرآن الكريم ، فليس المراد أن كل كلمة تقرأ على وجوه كثيرة ، وكل قبيلة تنطقها بلهجتها ، ويتغير المعنى تبعاً للهجتها في النطق ، فهذا ما توفر

---

(١) اللهجات العربية والقراءات القرآنية . د . إبراهيم أبو سكين ص ١ .
(٢) ماذا بين القراءات واللهجات . د . محمد إبراهيم مصطفى (ب) من المقدمة
(٣) القراءات القرآنية . د . عبده الراجحي ص ٢٠٤ .

على دراسته " علم القراءات " بل إن المقصود بها هو أن اللغات التي كان يتحدث بها قبيل الإسلام وبدايته موجودة في القرآن مفرقة فيه ، فبعضه بلغة قريش ، وبعضه بلغة هذيل ، وبعضه بلغة أهل اليمن وغيرها من اللغات الأخرى ، وقد تكون بعض اللغات أوفر نصيباً من بعضها الآخر ، وأسعد حظاً ، وهو ما حدث للغة القرشية " [1].

ومن خلال ما سبق يمكن القول بأن اللغات في القرآن الكريم هي لهجات جاء القرآن الكريم بها . لبعض القبائل العربية ، وعليه ، فاللهجات واللغات تعتبر كالشيء الواحد ، مع اختلاف اللهجة لو كانت في كلمة غير القرآن الكريم .

مصادر القراءات :

لكل علم مصدر أو مصادر رئيسة ينبع منها ، ومصادر القراءات التي لولاها ما عرفت القراءات ، ولا اعترف بها ، ولا وثق من صحتها وهي خمسة مصادر هي :

(١) حديث : " أنزل القرآن على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه "

(٢) الاختلافات التي حدثت بين الصحابة في القراءة في عهد الرسول ، وكان صلوات الله حكماً فيها .

(٣) الاختلافات التي حدثت بين الصحابة ، في عهد سيدنا عثمان (ﷺ) وكانت حاملاً له في جمع المصحف [2] الإمام .

---

(١) من لغات القرآن الكريم دراسة لغوية . د . محمد عبد الحفيظ العريان ص ٢٩ .

(٢) والمصحف سمي مصحفاً ؛ لأنه أصحف أي : جعل جامعاً للصحف المكتوبة بين الدفتين لسان العرب ٩ / ١٨٦ (ص – ح – ف) وكان أبو بكر (ﷺ) أول من جمع كتاب الله ، وسماه مصحفاً . الإتقان ١ / ١٢٩ .

(٤) الاختلافات التي رويت بين المصاحف العثمانية ، التي أرسلها إلى الآفاق ، وهذا الاختلاف إنما هو أثر من آثار القراءات .

(٥) الروايات التي رويت عن الصحابة والتابعين ، ومن بعدهم ، ونقلها ثقات الأئمة ، وتلتقتها الأمة بالقبول [١].

فنلاحظ أن القراءات القرآنية تستمد من السنة والإجماع ، أي : من النقول الصحيحة المتواترة عن علماء القراءات الموصولة السند إلى رسول الله (ﷺ)[٢].

توجيه اختلاف في القراءات :

وجد اختلاف في القراءات القرآنية الصحيحة المتواترة ، وهذا الاختلاف لا يضاد المعنى ، ولا السياق المراد من الآيات ومرد اختلاف القراءات يمكن توجيهه إلى ما يلي :

أولاً : اختلاف لهجات العرب وتعددها :

ذلك أن جزيرة العرب كانت مترامية الأطراف ، وقبائلها متعددة ، ولكل قبيلة لهجتها الخاصة ، التي قد يصعب عليها النطق بغيرها ، والقرآن الكريم جاء للناس أجمعين ، وكان من العسير أن يلزم بطرقة واحدة في النطق ، ومن هنا جاءت القراءات القرآنية كثيرة على وفق بعض اللهجات العربية [٣].

---

(١) القراءات واللهجات . د . عبد الوهاب حمودة صـ ٥ .

(٢) الإتحاف ١ / ٦٧ .

(٣) دراسات في اللهجات العربية . د . فتحي الدابولي صـ ٨٧ .

والرسول (ﷺ) قال لجبريل (ﷺ): " إني بعثت إلى أمة أميين ، فيهم الشيخ الفاني ، والعجوز الكبيرة ، والغلام ، قال : فمرهم فليقرؤا القرآن على سبعة أحرف ".

وقد جاء الحديث بلفظ آخر " فقلت : يا جبريل إني أرسلت إلى أمة أمية ، الرجل والمرأة ، والغلام ، والجارية ، والشيخ الفاني الذي لم يقرأ كتابه قط . قال : إن القرآن أنزل على سبعة أحرف " (١).

وسبب وروده على سبعة أحرف ؛ للتخفيف على هذه الأمة ، وإرادة اليسر بها والتهوين عليها ؛ شرفا لها ، وتوسعة ، ورحمة ، وخصوصية لفضلها ، وإجابة لقصد نبيها ، أفضل الخلق ، وحبيب الحق ، حيث أتاه جبريل فقال له : " إن الله يأمركم أن تقرأ أمتك القرآن على حرف ، قال (ﷺ) أسأل الله معافاته ومعونته . إن أمتي لا تطيق ذلك ، ولم يزل يردد المسألة ، حتى بلغ سبعة أحرف ... "

والنبي (ﷺ) بعث إلى جميع الخلق ، أحمرهم ، وأسودهم ، عربيها ، وعجميها ؛ وكانت العرب الذين نزل القرآن بلغتهم ، لغاتهم مختلفة ، وألسنتهم شتى ويعسر على أحدهم الانتقال من لغة إلى غيرها ، أو من حرف إلى آخر ، بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك ولا بالتعليم والعلاج ، لاسيما الشيخ والمرأة ، ومن لم يقرأ كتاباً – كما أشار إليه (ﷺ) –

فلو كلفوا العدول عن لغتهم والانتقال عن ألسنتهم ، لكان من التكليف بما لا يستطاع ، وما عسى أن يتكلف المتكلف وتأبى الطباع .

وقال ابن قتيبة ، فكان من تيسير الله تعالى أن أمر نبيه (ﷺ) بأن يقرئ كل أمة بلغتهم ، وما جرت عليه عادتهم .

---

(١) النشر في القراءات العشر لابن الجزري ١ / ٢٠ .

فالهذلي يقرأ (عتى حين) والأسدي : (تِعلمون) و (نِعلم) و (تِسود وجوه) و (ألم إعهد إليكم) والتميمي يهمز ، والقرشي لا يهمز ، والآخر يقرأ (قيل لهم ، وغيض الماء) بإشمام الضم مع الكسر ، و (بضاعتنا ردت) بإشمام الكسر مع الضم ، و (مالك لا تأمنا بإشمام الضم مع الإدغام ... إلى غير ذلك قال ابن قتيبة : ولو أراد كل فريق من هؤلاء أن يزول عن لغته ، وما جرى عليه اعتياده طفلاً وناشئاً وكهلاً ، لاشتد ذلك عليه ، وعظمت المحنة منه ، ولم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة ، وتذليل اللسان ، وقطع للعادة ، فأراد الله برحمته ، ولطفه ، أن يجعل لهم متسعاً في اللغات ، ومتصرفاً في الحركات ، كتيسيره عليهم في الدين [(١)].

وعلى الرغم من أنه يوجد قراءات كثيرة ترجع إلى تعدد اللهجات واللغات ، إلا أنه في المقابل نجد وجود قراءات قرآنية لا ترد إلى اختلاف اللهجات ، أو تعدد اللغات ، ومن الأمثلة الدالة على ذلك ما يأتي :

جاء في الإتحاف : واختلف في : ﴿ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ﴾ [(٢)].

فأبو بكر ، وحمزة ، والكسائي ، وخلف ، (عملت) غير هاء ، موافقة لمصاحفهم ، وافقهم المطوعي ، والباقون بالهاء موافقة لمصاحفهم ، إلا حفصاً فخالف مصحفه [(٣)].

---

(١) النشر ١ / ٢٢ ، ٢٣ .

(٢) سورة يس من الآية (٣٥) .

(٣) وما موصولة ، أو موصوفة ، أو نافية ، فإن كانت موصولة فالعائد محذوف في القراءة الأولى ، وكذا إن كانت موصوفة ، أي ومن الذي عملته ، أو شيء عملته ، فالهاء لـ (ما) ، وإن كانت نافية ، فعلى الأولى لا ضمير ، وعلى الثانية الضمير يعود على ثمره . الإتحاف ٢ / ٤٠٠ .

واختلف في إثبات (هو) في : ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ (١).

فنافع ، وابن عامر ، وأبو جعفر ، بحذفها ، على جعل (الغني) خبر (إن) ، والباقون بإثباتها فصلاً بين الاسم والخبر ، كما هو الأكثر (٢).

واختلف في : ﴿ تَجْرِى تَحْتَهَا ﴾ (٣) فابن كثير (بمن) الجارة وحفص " تحتها " بها ، كسائر المواضع ، وافقه ابن محيص ، والباقون بحذف (من) وفتح (تحتها) على المفعولية فيه (٤) ، والقراءة في المصحف المكي بزيادة (من) وفي غيرها بحذفها (٥). وغير ذلك من الأمثلة .

ثانياً : الخط الذي كتب به المصحف أولاً دون شكل أو نقط،يؤكد لنا توجيه بعض القراءات ، كما في قوله تعالى: ﴿ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ (٦).

(فتثبتوا) بثاء مثلثة ، وحمزة والكسائي وخلف ، والباقون بموحدة ، من البيان (٧) فنلاحظ أن النقط وعدمه هو الفارق بين الكلمتين " صحيح أن هناك بعض الاختلافات في مصاحف الأمصار التي نسخت من المصحف الإمام ، لكنه اختلاف تواترت به الأخبار ، وصحيح أيضاً أن الخط الذي كتبت به المصاحف لم يكن منقوطاً ، ولا مشكولاً ، ولكن ذلك لم يكن سبباً في وجود القراءات القرآنية على ما ذهب إليه (جولد تسهير) من أن الخط

---

(١) سورة الحديد من الآية (٢٤) .
(٢) الإتحاف ٢ / ٥٢٣ .
(٣) سورة التوبة من الآية (١٠٠) .
(٤) الإتحاف ٢ / ٩٧ .
(٥) النشر ١ / ١١ ، واللهجات القراءات . د / عبد الوهاب حمودة صـ ١٣٧ .
(٦) سورة الحجرات من الآية (٦) .
(٧) الإتحاف ٢ / ٤٨٦ .

العربي من خصائصه أن الرسم الواحد للكلمة الواحدة قد يقرأ بأشكال مختلفة ، تبعاً للنقط فوق الحروف ، أو تحتها ، كما أن عدم وجود الحركات النحوية ، وفقدان الشكل في الخط العربي يمكن أن يجعل للكلمة حالات مختلفة من ناحية موقعها من الإعراب ، فهذه التكميلات للرسم الكتابي ، ثم هذه الاختلافات في الحركة والشكل ، كل ذلك كان السبب الأول لظهور حركة القراءات فيما أهمل نقطة ، و شكله من القرآن " [1].

فقد رد الدكتور / عبده الراجحي على ذلك فقال : " إن الرسم لم يكن سبباً في اختلاف القراءات ، ولكنه كان سبباً في حفظ الاختلاف الموجود أصالة " [2] واستدل على ذلك بقول ابن الجزري : " وأئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة ، والأقيس في العربية ، بل على الأثبت في الأثر ، والأصح في النقل والرواية إذا ثبت عنهم لم يردها قياس عربية ، ولا فشو لغة ؛ لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها ، والمصير إليها " [3].

ثالثاً : طريقة حفظ القرآن الكريم في الصدور أولاً ، ثم كتابته في الرقاع ، والعسب ، وقراءة الرسول (ﷺ) لأصحابه ، وقراءة أصحاب الرسول بعضهم بعضاً ، كل ذلك كان توجيها لاختلاف بعض القراءات [4].

وقد بين ذلك د / عبده الراجحي فقال : " لكن السبب الرئيس عندنا في اختلاف القراءات ، هو ما نفهمه من طبيعة القراءات ذاتها ، ومن

---

(١) اللهجات العربية . د. عبده الراجحي صـ ٧٠ ، ٧١ .
(٢) نفسه صـ ٧١ .
(٣) النشر ١ / ١٠ ، ١١ .
(٤) دراسات في اللهجات العربية . د . فتحي الدابولي صـ٩٠ .

طبيعة المجتمع الإسلامي الأول ، فالقرآن أخذ بالمشافهة أولاً ، بين الرسول (ﷺ) وجبريل (عليه السلام) من ناحية ، ثم بين الرسول وصحابته ، ومع كتابته في الرقاع ، والعسب ، واللخاف ، والأكتاف ، وجد الاختلاف على ما رأينا من قبل ، وعاش الصحابة مع الرسول يقرءون فيختلفون ، واشتهر من بينهم نفر كثير ، ذكر منهم أبو عبيد القاسم بن سلام ، في أول كتابه في القراءات ، من نقل عنهم شيء من وجوه القراءة من الصحابة ومنهم الخلفاء الأربعة ، وطلحة ، وسعدا ، وابن مسعود ، وحذيفة ، وسالماً ، وأبا هريرة ، وعبد الله بن السائب وابن عمر ، وابن عباس ، وعائشة ، وحفصة ، وأم سلمة ، وهؤلاء كلهم من المهاجرين ، وذكر من الأنصار بن كعب ، وعبادة ابن الصامت ، ومعاذ بن جبل ، وأبا الدرداء ، وزيد بن ثابت ، ومجمع بن جارية ، وأنس بن مالك (رضي الله عنه)

ثم جاءت الفتوحات الإسلامية ، وخرج الصحابة معها إلى الأمصار الإسلامية الجديدة يستقرون هناك ، ونشط الخلفاء في إيفاد القراء من الصحابة إلى الأمصار ؛ ليعلموا الناس القرآن[1].

(١) النشر ١ / ٦ . وقارن باللهجات العربية . د . عبده الراجحي ص ٧١ .

العناية بعلم القراءات :

اعتنى العلماء عناية فائقة بعلم القراءات بداية من نشأته ، وتدوينه وألفوا فيه كتباً كثيرة ، كانت مرجعاً لكل من أراد أن يتعرف على هذا العلم.

نشأته :

اهتم الرسول (ﷺ) بالحفاظ على القرآن الكريم وحفظ نصوصه اهتماماً كبيراً ، وسار على ذلك بعده الصحابة ومن جاء بعدهم .

فكان رسول الله (ﷺ) حريصاً على تثبيته في نفوس أصحابه ، وفي ألسن قرائه ، وكان الصحابة يتلقون قراءة القرآن عن الرسول (ﷺ) مباشرة ، وكانت عناية الرسول (ﷺ) نفسه ومتابعته لما ينزل من الوحي تتخذ مجالات عدة أهمها تدوين الوحي .

وقد اتخذ رسولنا الكريم محمد (ﷺ) كتاباً يكتبون له الوحي ، ومن هؤلاء علي بن أبي طالب ، وعثمان بن عفان ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وقد اتخذ أيضاً رسول الله (ﷺ) كتاباً يكتبون له أموراً أخرى [1].

وكان الرسول (ﷺ) يطلب من الصحابة أن لا يكتبوا غير الوحي ؛ لكي لا يختلط به ، ومن مظاهر عنايته أيضاً متابعته لكتاب الوحي كي لا يقع السهو أو التغيير ، ثم طلبه إلى جماعته من الصحابة أن يقرؤا القرآن عليه .

ومن ذلك قول عبد الله بن مسعود قال : قال لي رسول الله (ﷺ) إقرأ عليّ قلت : آقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال : إني أحب أن أسمعه من غيري ، فقرأت عليه سورة النساء ، حتى بلغت ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ

(١) الوزراء والكتاب لابن عبدوس الجهشياري صـ ١٢ .

أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ﴾ [١].قال : أمسك ، فإذا عيناه تذرفان [٢].

وكان (ﷺ) يعرض القرآن ويقرأه على أصحابه في شهر رمضان من كل سنه ، فالنص القرآني اتخذ من البداية – بقراءة الرسول (ﷺ) سمعته نحو الوثائق ، فالرسول (ﷺ) كان يعود إلى جبريل يدارسه القرآن ، ويعرض عليه كل عام مرة حتى وفاته ، فعرضه عليه مرتين .

قال ابن عباس (رضي الله عنه) : كان رسول الله (ﷺ) أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل في كل ليلة من رمضان ، فيدارسه القرآن ، فكان رسول الله (ﷺ) أجود بالخير من الريح المرسلة .

وفي خبر فاطمة " أسر إليّ النبي (ﷺ) أن جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة ، وأنه عارضني العام مرتين ولا أراه : إلا حضور أجلي [٣].

كل ذلك يؤكد أن القرآن الكريم في عهد النبي (ﷺ) كان في دائرة من العناية للحفاظ على نصوصه ، سليمة من الزيادة ، أو النقصان ، أو التحريف .

فكان القرآن مكتوباً على رسائل الكتابة المعروفة آنذاك ، بالإضافة إلا أنه كان محفوظاً في صدور الصحابة ، حملة القرآن يؤدونه كما سمعوه ، وأخذوه عن الرسول .

هناك قضية قراءات القرآن ، التي كان الرسول (ﷺ) قد أجازها في حياته ؛ تيسيراً للداخلين في الإسلام من القبائل ذات اللهجات المختلفة .

---

(١) سورة النساء آية ٤١ .

(٢) تفسير القرطبي ١ / ١٣ ، ٥ / ١٢٩ .

(٣) تفسير القرطبي ١ / ٤٢ ، واللهجات والقراءات . د . عبد الراجحي ص ٦٧ .

هذه القضية ظهرت بعد هجرة الرسول إلى المدينة حين تكاثر المسلمون ولم تظهر في مكة ؛ لأن المسلمين في مكة كانوا محدودي العدد ، ثم هم من بيئة لغوية موحدة هي التي نزل بها القرآن الكريم ، وحين دخل في الإسلام قبائل العرب المختلفة في بيئاتها ولهجاتها ، صعب عليهم أن يغيروا لهجاتهم ويقرأوا القرآن كما تقرأه قريش بكل ظواهر لهجتها اللغوية ، فكان التيسير لهم بإجازة الرسول (ﷺ) قراءة كل منهم وفق قدرته وما يستطيعه لسانه من آداء وقد روي في ذلك الحديث الشريف : " أنزل القرآن على سبعة أحرف .. " [١] . لكن هذه الإجازة محدودة بأداء نص القرآن صحيحاً دون تغيير ولا تحريف في معناه ، وقد روت كتب القراءات أمثلة من هذه الخلافات في عهد الرسول (ﷺ) واحتكم إليه فيها ، فأجازها واستصوبها " ما لم تجعل رحمة عذاباً ، أو عذاباً رحمة " [٢] .

وكان المسلمون بعد الرسول شديدي الحرص على النص القرآني والحفاظ عليه .

والخطوة الأولى التي اتخذت لذلك هي جمع القرآن في عهد الخليفة أبي بكر ثم توحيده في عهد الخليفة عثمان ، والمصاحف التي أرسلت إلى الأمصار الإسلامية مكة والبصرة والكوفة والشام هي المصاحف العثمانية التي احتفظ عثمان منها بنسخة لديه ، وكانت قد كتبت على اللفظ الذي استقر عليه في العرضة الأخيرة عن رسول الله (ﷺ)[٣] هذه المصاحف هي التي طلب إلى معلمي القرآن ومقرئيه في الأمصار أن يقرئوا الناس

(١) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص٢٦، تفسير الطبري ١/٤٦. النشر ١/٨ .
(٢) تفسير الطبري ١/١٠ .
(٣) النشر ١/٨ .

عليها . وكانت مجردة من أي نوع من أنواع الرموز في الإعراب أو الإعجام فكان رسمها يستوعب اختلاف مجموعة من القراءات وظلت قراءات أخرى لم يحتملها هذا الرسم إلا أن رواة القراءات ، من الصحابة والتابعين ظلوا يروونها جميعاً كما سمعوها من الرسول (ﷺ) أو رووها عمن سمعها منه مع وجود المصحف العثماني .

وفي النصف الثاني من القرن الأول للهجرة اتسعت رواية القراءات واختلافاتها ، ثم اتخذت هذه الروايات طرقاً ومذاهباً على أيدي التابعين اتضحت هذه المذاهب في القرن الثاني ، فأصبحت مذاهب في الآداء ومثّل كل مذهب عالم موثق في أهل عصره له طرقه الموثقة في الرواية تصل إلى الرسول (ﷺ) وكانت قراءته يرويها تلامذته عنه وقد شاع في كتب القراءات مصطلحات وعبارات ينبغي الالتفات إليها منها : " أخذ القراءة عرضاً " و " أخذ القراءة عرضاً وتلقيناً " و " روي القراءة عن " و" قرأ عليه " " وروي القراءة عنه " و " قرأ الحروف على " ..

وكان هؤلاء التلامذة يرمزون لقراءة شيخهم بالرموز التي كانت قد عرفت في النصف الثاني من القرن الأول للهجرة ، وهي نقط أبي الأسود الدؤلي (ت ٦٩هـ) للإعراب الذي استبدل بالحركات في عهد الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) ثم نقط تلميذه نصر بن عاصم (ت ٨٩هـ) للإعجام .

إن هذا يعد أول تدوين لقراءات هؤلاء الشيوخ في النصف الثاني من القرن الأول ، فبعد أن كانت القراءات تعتمد على الرواية الشفوية ، ورسم القرآن خال من أي نوع من أنواع الرموز أصبحت تستعين برموز الإعراب والإعجام ؛ لتحديدها وضبطها ، بالإضافة إلى الرواية الشفوية وظل

ذلك متبعاً في القرن الثاني أيضاً ، هكذا نقلت قراءة عبد الله بن عامر (ت ١١٨هـ) وقراءة عبد الله بن كثير (ت ١٢٠هـ) وقراءة عاصم (ت ١٢٧هـ) وقراءة أبي عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ) وقراءة حمزة ابن حبيب الزيات (ت ١٥٦هـ) ونافع (ت ١٦٩هـ) والكسائي (ت ١٨٩هـ) كما نقلت قراءات غيرهم كالحسن البصري (ت ١١٠هـ) وابن محيصن (ت ١٢٣هـ) وكذا ما روي لهم من كتب في القراءات أو في اختلاف المصاحف [١] .

نذكر هنا مثالاً مما روي في نقل قراءة الشيخ ، قال خلف بن هشام : " كان الكسائي إذا كان شعبان وُضِعَ له منبر فقرأ هو على الناس في كل يوم نصف سُبْع يختم ختمتين في شعبان وكنت أسفل المنبر فقرأ يوماً في سورة الكهف (أنا أكثر) فنصب (أكثر فعلمت أنه قد وقع فيه ، فلما فرغ أقبل الناس يسألونه عن العلة في (أكثر) لم نصبه ؟ فثرت في وجوههم إنه أراد في فتحه (أقل) (إن ترن أنا أقل مالاً) فقال الكسائي (أكثر) فمحوه من كتبهم .. " [٢] هكذا كان التلامذة يضبطون عن شيوخهم وهذه طريقة معلمي القرآن حين عرفت رموز ضبط اللغة في الإعراب والإعجام .

وبعد توحيد القرآن الكريم في عهد عثمان (ﷺ) واطمئنان المسلمين إلى هذا النص الموحد المدون ، تشعب التفكير في فهم هذا النص ودراسته ، فأصحاب الآداء وهم القراء بذلوا جهوداً عظيمة في تثبيت قراءاته والحفاظ عليها من الضياع ، ومنهم من عني بالتفكير في ظواهره اللغوية ، وأسباب اختلاف هذه الظواهر ، وأثر ذلك في القراءات وتعليلها ،

---

(١) انظر : الفهرست ٤٨– ٥١ ، سزكين ١٤٩/١، .. ، ١٦٨، ٢٧١ .

(٢) إنباه الرواة للقفطي ٢٦٣/٢، النشر ١٧٣/١ .

وهو التيار الذي تطور عنه النحو العربي ، ومنهم من عني ببيان معانيه وما يتصل بذلك من اللغة ، فظهرت كتب معاني القرآن ومجازاته ثم كتب تفسيره ، ومنهم من عني بناسخه ومنسوخة ومتشابهة ، وظواهره اللغوية في مجال القراءات من همز ومد وقصر ووقف أو ابتداء ، وغير ذلك من الأحكام فظهرت مؤلفات عالجت ذلك ووضحته منذ عهد مبكر [١] . وأكبر الظن أن البدء في تدوين هذه الأنظار وتلك الملاحظات والآراء في الموضوعات المختلفة كان خلال النصف الثاني من القرن الأول للهجرة ، مع استمرار الرواية الشفوية في هذه العلوم [٢].

تدوين القراءات القرآنية ومراحل التأليف فيها :

القرآن الكريم هو المعجزة الباقية ، والقانون الرباني الحكيم الذي نزل به النبي الأمين بلسان عربي مبين قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [٣].

ولم يكتمل نزوله ، ورتبت من الله آياته وسوره ، حتى كان محفوظاً في الصدور ، مكتوباً في الصحف ، ومروياً عن الرسول (ﷺ) بوجوه الأحرف والقراءات .

---

(١) ينظر : الفهرست لابن النديم صـ ٥٦... ،وتاريخ التراث العربي لسزكين ١٤٧/١، ١٤٨ .

(٢) ينظر : العنوان في القراءات السبع لأبي طاهر الأندلسي صـ ١٦ وما بعدها ، واللهجات العربية . د . عبده الراجحي صـ ٧٠ وما بعدها .

(٣) سورة الشعراء الآيات (١٩٢ : ١٩٥) .

وكان من الصحابة من رواه بحرف ، ومنهم من رواه بحرفين ، ومنهم من زاد ، ثم تفرقوا في الأمصار ، وتلقى عنهم التابعين ، وعن التابعين أخذ من بعدهم ، إلى أن انتهت الرواية إلى فريق من القراء في القرن الثاني الهجري ، فانقطعوا للقراءات ، واختصوا بها ، وأخلَوْ ادرعهم لها ، وجعلوا همهم الأكبر ، وشغلهم الشاغل ، العناية بحصرها ، وضبطها ، وتحرْي الأسانيد الصحيحة في روايتها ، حتى صاروا القدوة في هذا الشأن ، إليهم تشد الرجال ، ويقصدون للتلقي عنهم من شتّى الجهات ، وكان منهم : نافع بن أبي نعيم بالمدينة ، وعبد الله بن كثير بمكة ، وعاصم بن أبي النجود بالكوفة ، وأبو عمرو بن العلاء بالبصرة ، وعبد الله بن عامر بالشام ، وغيرهم ممن ذكرهم أصحاب كتب القراءات المشهورة [(١)].

" ثم إن القراء بعد هؤلاء المذكورين كثروا وتفرقوا في البلاد وانتشروا ، وخلفهم أمم بعد أمم ، عرفت طبقاتهم ، واختلفت صفاتهم ، فكان منهم من هذه الأوصاف ، وكثر بينهم لذلك الاختلاف ، وقل الضبط ، واتسع الخرق وكاد الباطل يلتبس بالحق ، فقام جهابذة علماء الأمة ، وصناديد الأئمة ، فبالغوا في الاجتهاد ، وبينوا الحق المراد ، وجمعوا الحروف والقراءات ، وعزوا الوجوه والروايات ، وميزوا بين المشهود والشاذ ، والصحيح والفاذ ، بأصول أصلوها ، وأركان فصلوها [(٢)].

وقد انقسمت أمام هؤلاء العلماء مجالات البحث ، وتنوعت المقاصد والأغراض ، وأثير عنهم من الكتب والآراء ما لا يدخل تحت

---

(١) المحتسب لابن جني ص ٣ من المقدمة .
(٢) النشر ١ / ٩ ، والإتقان ١ / ٢٠٦ .

حصر ، وما زالت عناية المسلمين قائمة بهذا الفن إلى اليوم : تصنيفاً وتدريساً ، ورواية ، في حلقات الدروس ، ومختلف المعاهد [1].

ولقد عني العلماء بتدوين علم القراءات والتأليف فيها ، وأصبح علم القراءات تخطي مرحلة التلقي والعرض إلى مرحلة التصنيف والتأليف .

إن التأليف في القراءات القرآنية قد مر بمراحل والدائرة التي تضم هذه المراحل جميعاً هي الرواية الموثقة عن الشيوخ ، فالحفاظ عليها كان تقليداً علمياً إسلامياً ، ظل قائماً إلى ما بعد القرن الرابع الهجري .

فالمرحلة الأولى : التي مرت فيها القراءات القرآنية هي مرحلة الرواية الشفوية إذا كان النص القرآني محفوظاً في الصدور وكان أيضاً مكتوباً في الوسائل المعروفة آنذاك ، وهذه المرحلة تشمل عهد الرسول (ﷺ) والخلفاء الراشدين (رضي) واستمرت حتى ظهور نقط الإعراب على يد أبي الأسود الدؤلي (ت ٦٩هـ) ثم نقط الإعجام على يد تلميذه نصر بن عاصم (ت ٨٩هـ) .

إن الرواية والآداء أساسان مهمان قام عليهما منهج القراء ، آداء القراءة يعتمد على روايتها وضبطها عمن أخذت عنه حتى يتصل السند إلى الرسول (ﷺ) .

المرحلة الثانية : وتبدأ باستخدام رموز الإعراب والإعجام في الرسم القرآني في النصف الثاني من القرن الأول للهجرة فكانت القراءات تضبط بهذه الرموز وتروي وفقها عن الشيوخ حتى أصبح للنقط علم قائم بذاته سمي بعلم النقط [2] وقد ألفت فيه الكتب [3] .

---

(١) المحتسب صـ ٣ من المقدمة .

(٢) المصاحف للسجستاني ١٢٨ ..

(٣) منها:كتاب الخليل في النقط. محمد بن عيسى، واليزيدي ، وغيرهم ، ينظر : الفهرست صـ ٥٩ .

فالمصاحف في الأمصار الإسلامية كانت تنقط وفق قراءة معلمي القرآن من العلماء ، فبالرغم من أنَّ المصحف العثماني هو الذي ارتضاه المسلمون واتفقوا عليه إلاَّ أن رسم المصحف كان يحتمل قراءات عدة مختلفة في الإعراب أو الإعجام وكلها صحيحة تنطبق عليها ضوابط القراءة الصحيحة المتفق عليها ، وفي هذه المرحلة أيضاً وفي ظل النص القرآني وقراءاته كان تطور الأنظار اللغوية بعامة والنحوية بخاصة .

وقد ظهرت في هذه الفترة أوائل محاولات التصنيف في مجال القراءات ، ومن أقدم ما روي من ذلك ، كتاب القراءة ليحيى بن يعمر (ت قبل سنة ٩٠هـ) [١] وهو أحد تلامذة أبي الأسود الدؤلي .. ويضم الاختلافات التي لوحظت في نسخ القرآن المشهورة [٢] وقد روي أنه كان لابن سيرين (ت ١١٠هـ) مصحف منقوط . نقطه يحيى بن يعمر [٣] . ومن ذلك أيضاً كتاب " اختلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق " لعبد الله ابن عامر (ت ١١٨ هـ) كما يدخل في هذا المجال ما ذكرناه من رواية قراءات القراء السبعة وغيرهم [٤] .

المرحلة الثالثة : هي التأليف في القراءات القرآنية وتدوين اختلافاتها دون تمييز بينها ، وإنما ذكرت الروايات الموثوقة عن حملة القرآن من الصحابة والتابعين ومن روي عنهم عن الرسول ، دون تقسيم القراءات إلى طبقات ، ودون تخصيص لعدد من القراء بأنهم يمثلون

---

(١) غاية النهاية ٣٨١/٢، سزكين ١٤٧/١ وذكرت سنة وفاته في مصادر أخرى سنة ١٢٩هـ وهي بعيدة عن التاريخ المذكور في طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ٢٣ نزهة الألباء ٢٦، إنباه الرواة ٢١/٤ .

(٢) سزكين ١٤٧/١ .

(٣) طبقات الزبيدي ٢٣ .

(٤) الفهرست ٤٨ .

مذاهب معينة في القراءة . كان ذلك في أوائل المصنفات التي ظهرت في نهاية القرن الثاني وبداية الثالث للهجرة مثل : كتاب " القراءات " لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) وقد جمع فيه قراءة خمسة وعشرين قارئاً مع هؤلاء السبعة [١] الذين خصوا بالتأليف بعد هذه المرحلة . وكذا كتاب القاضي إسماعيل بن إسحاق الأزدي البغدادي (ت ٢٨٢هـ) في القراءات ، وقد جمع فيه قراءة عشرين إماماً منهم هؤلاء السبعة [٢] ومنها أيضاً كتاب الجامع في القراءات لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) جمع فيه نيفاً وعشرين قراءة [٣] .

المرحلة الرابعة : وفيها ظهرت المصنفات التي بينت مذاهب القراء وصنفت القراءات إلى صحيحة وشاذة ، ثم حصرت ذلك في مجموعة من العلماء يمثلونها في الآداء . وكان ذلك في بداية القرن الرابع للهجرة في أول كتاب ظهر هو " كتاب السبعة في القراءات " لأبي بكر بن مجاهد (ت ٣٢٤هـ) . وقد قصره على قراءات سبعة قراء فقط ذكر فيه طرقهم في روايتها ورجال سندهم المتصل إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم – . وقد توالت بعده المصنفات في هذا العدد من القراءات السبع كابن خالويه (ت ٣٧٠هـ) في كتابه " الحجة في القراءات السبع " وأبي علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ) في كتابه " الحجة في علل القراءات السبع " . ومن الأندلس مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ) في كتابه " الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها " وهو من أوائل من ظهر في الأندلس ممن عنوا

---

(١) النشر ٣٣/١ .
(٢) نفسه ٣٤/١ .
(٣) الإبانة ٧، النشر ٣٤/١ .

بالقراءات والتصنيف فيها [1] . وبعده أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤هـ) في كتابه " التيسير في القراءات السبع " وهو كتاب في القراءات دون علل أو حجج ، ثم صاحبنا أبو طاهر إسماعيل بن خلف الأنصار الأندلس الأصل ، ثم المصري النحوي المقرئ في كتابه " العنوان في القراءات السبع " وهو كتاب آثر فيه الاختصار مع مراعاة ما ينبغي ذكره في قراءات السبعة .

وبعد ظهور كتاب ابن مجاهد " السبعة في القراءات " ذهب الظن بكثير ممن لم يعن بالقراءات عناية متخصصة أن قراءات هؤلاء السبعة هي الأحرف السبعة الواردة في نص الحديث الشريف " أنزل القرآن على سبة أحرف " فكل قراءة من قراءاتهم هي حرف من تلك الأحرف ، وقد نفي علماء القراءات هذا الظن ، فمنهم من نفاه في تأليفه في القراءات الثماني أو القراءات العشر أو الإحدى عشرة أو الأربع عشرة . فالمقرئ إبراهيم بن عبد الرزاق الأنطاكي (ت ٣٣٨هـ ألف كتاباً في القراءات الثماني وكذا ألف أبو معشر عبد الكريم بن عبد الصمد الطبري بمكة كتاب التلخيص في القراءات الثماني وألف أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران (ت ٣٨١هـ) في قراءات العشر [2] .

ومن العلماء من نفي هذا الظن في حديثه في ذلك صراحة ، وإثباته خطأ هذا الظن ، وقدم الأدلة والحجج منها المصنفات السابقة لعصر ابن

---

(١) النشر ٣٤/١ قال ابن الجزري : " لم يكن بالأندلس شيء من هذه القراءات إلى أواخر المئة الرابعة فرحل منهم من روي القراءات بمصر ودخل بها وكان أبو عمر أحمد بن عبد الله الطلمنكي مؤلف الروضة أو من أدخل القراءات إلى الأندلس وتوفي ٤٢٩هـ ثم تبعه أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي .. "

(٢) انظر النشر ٣٤/١، ٣٥ ،، جهود بن غلبون في علم القراءات للجنابي ٤٤٩ .

مجاهد التي ذكرناها [1] وهي لم تختص السبعة وقراءاتهم فقط ، ثم إن هناك علماء تركوا جماعة من السبعة في كتبهم في القراءات فأبو حاتم السجستاني (ت ٢٥٥هـ) في كتابه القراءات ترك ذكر حمزة والكسائي وابن عامر ثم إن الكسائي قد ألحق بالسبعة في أيام المأمون وكان السابع يعقوب الحضرمي فوضع ابن مجاهد الكسائي موضعه [2] .

وقد ذكر ابن الجزري مجموعة من المصنفات اتسعت لغير هؤلاء السبعة من القراء وطرق روايتهم ثم قال : " ولا زال الناس يؤلفون في كثير القراءات وقليلها ، ويروون شاذها وصحيحها بحسب ما وصل إليهم أو صح لديهم ، ولا ينكر أحد عليهم بل هم في ذلك متبعون سبيل السلف ، حيث قالوا : القراءة سنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول وما علمنا أحداً أنكر شيئاً قرأ به الآخر إلاَّ ما قدمنا عن ابن شنّبوذ [3] لكنه خرج عن المصحف العثماني وللناس في ذلك خلاف .. وكذا ما أنكر على ابن مقسم [4] من كونه أجاز القراءة بما وافق المصحف من غير أثر " [5] . [6].

---

(١) من المحاولات التي كانت قبل ابن مجاهد في حصر القراءات محاولة المقرئ أحمد بن جبير الكوفي نزيل أنطاكية (ت ٢٥٨هـ) في مصنفه " كتاب الخمسة " ضمنه قراءات خمسة قراء ، قارئ من كل مصر من الأمصار التي وجهت إليها المصاحف العثمانية وهي مكة والمدينة والكوفة والبصرة والشام . (المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز لأبي شامة ١٥٩، جهود ابن غلبون في علم القراءات ٤٤٨) .

(٢) انظر الإبانة ٥-٩ النشر ٣٤/١ ، ٣٥ .

(٣) هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن شنبوذ من أئمة القراءات ٣٢٨هـ كان يرى جواز القراءة بما خالف الرسم ما دامت الرواية صحيحة النقل ، (غاية النهاية ٥٢/٢) .

(٤) أبو بكر البغدادي محمد بن الحسن المعروف بابن مقسم (ت ٣٥٤هـ) كان يرى جواز القراءة بما وافق الرسم ، وكان لم يتواتر نقلها . (غاية النهاية لابن الجزري ١٢٣/٢) .

(٥) النشر ٣٥/١ .

(٦) العنوان في القراءات السبع لأبي طاهر الأندلسي ص ١٨ وما بعدها ، والاتقان ١ / ٢٠٦ .

وتتميماً للفائدة من المؤلفات في القراءات القرآنية وإن كان قد ذكر بعضها فيما سبق إلا أنها لم تكن مجملة أو مرتبة أو ذكرت كلها أود أن أذكر بعض الكتب والمراجع التي ألفت في القراءات مرتبة حسبما تيسر تاريخياً على النحو التالي [1]:

١- يحيى بن يعمر (ت ٩٠ هـ) : ذكر ابن عطية أن أول من ألف في علم القراءات هو يحيى بن يعمر حيث قال : وأما شكل المصحف ونقطه فروي أن مروان بن مروان أمر به عماله ، فتجرد لذلك الحجاج بواسط وَجدَّ فيه وزاد تحزيبه ، وأمر وهو والي العراق - الحسن ، ويحيى ابن يعمر بذلك وألف - يعني يحيى بن يعمر - إثر ذلك بواسط كتابا في القراءات جمع فيه ما روي من اختلاف الناس فيما وافق الخط ومشى الناس على ذلك زمانا طويلاً ، إلى أن ألف مجاهد كتابه في القراءات .

٢- أبان بن تغلب الكوفي (ت ١٤١ هـ) . قال ابن النديم : أبان بن تغلب وله من الكتب كتاب معاني القرآن وكتاب القراءات [2].

٣- مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠ هـ) : له في ذلك : كتاب (القراءات) .

٤- أبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ) : وهو أحد الأئمة السبعة الذين أجمعت الأمة على تلقي القراءات عنهم بالقبول وكان إمام البصرة ومقرئها ، روي أن له كتاب القراءات .

---

(١) ينظر في هذه الكتب : النشر ١ / ٣٤ وما بعدها ، وشرح الهداية للمهدوي ٢٨/١ : ٣٨ ، وذكر المهدوي أكثر من سبعين مؤلفا في القراءات ، والإتحاف ١ / ٣٤ وما بعدها . وقارن بالقراءات القرآنية . د . محمود الطاهر صـ ١٥ وما بعدها .

(٢) الفهرست صـ٣٨ .

٥- حمزة بن حبيب الزياد ت ١٥٦ هـ : وهو أحد الأئمة السبعة ، وكان إمام أهل الكوفة بعد عاصم وأدرك كثيرا من الصحابة ، فهو من التابعين وقراءته يتصل سندها يعلى بن أبي طالب .

٦- على بن أبي طالب (ﷺ) وروي أن له كتاباً في القراءات [١] .

٧- عبد الحميد بن عبد المجيد الأخفش الأكبر (ت ١٧٧هـ) ، وله تصانيف كثيرة في القراءات والعربية .

٨- هيثم بن بشير السلمي (ت ١٨٣هـ) ، له كتاب السنن ، وله كتاب التفسير ، كتاب القراءات.

٩- يعقوب بن إسحاق الحضرمي (ت ٢٠٥هـ) ، له كتاب الجامع جمع فيه اختلاف وجوه القراءات ونسب كل حرف إلى من قربه .

١٠- عبد الرحمن بن واقد الواقدي (ت ٢٠٩هـ) : من مؤلفاته : كتاب القراءات .

١١- أبو القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ).

١٢- أبو حاتم : سهل بن محمد السجستاني (ت ٢٥٥هـ) ذهب ابن الجزري في كتابه (غاية النهاية) إلى أنه أول من ألف في علم القراءات حيث قال : " وأحسبه أول من صنف في القراءات [٢] .

١٣- احمد بن جبير الكوفي (ت ٢٥٨هـ) .

١٤- إسماعيل بن إسحاق المالكي (ت ٣١٠هـ) : ألف كتاباً في القراءات سماء الجامع ، جمع فيه عددا من القراءات .

---

(١) القراءات القرآنية تاريخ وتعريف . د . عبد الهادي الفضلي .

(٢) غاية النهاية لابن الجزري ١ / ٣٢٠ .

١٥- الداجوني : هو الإمام محمد بن أحمد الداجوني ، (ت ٣٣٤هـ) .
ألف كتابا سماه (القراءات الثمانية) جمع فيه قراءات الأئمة السبعة وأضاف إليهم قراءة أبي جعفر .

أما المؤلفات فهي كثيرة ومتنوعة بين مطولة ومختصرة ومنثورة ومنظومة ،وإليك بياناً بهذه الكتب :

أ- الكتب المطبوعة :

١- الإبانة عن معاني القراء ، تأليف مكي بن أبي طالب القيسي (ت سنة ٤٣٧هـ) .

٢- إبراز المعاني من حرز الأماني ، شرح على الشاطبية تأليف عبد الرحمن بن إسماعيل الشهير بأبي الشامية (ت ٦٦٥هـ) .

٣- إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر ، تأليف أحمد بن محمد الدمياطي (١١١٧هـ) .

٤- الإرشادات الجلية في القراءات السبع من طريق الشاطبية محمد سالم محيسن ط/ مكتبة الكليات الأزهرية .

٥- إرشاد المريد في شرح القصيد ، شرح على الشاطبية ، محمد علي الضباع ، شيخ المقارئ المصرية سابقاً .

٦- البدور الزاهرة في القراءة العشر المتواترة ، عبد الفتاح القاضي الحلبي – القاهرة .

٧- تحبير التيسير في القراءات العشر من طريق الشاطبية والدرة ، محمد بن محمد الجزري ٣٨٢هـ ، ط – القاهرة .

٨- التذكرة في القراءات الثلاث وتوجيهها من طريق الدرة ، محمد سالم محيسن ، ط الكليات الأزهرية – القاهرة .

٩- تقريب النشر في القراءات العشر ، ابن الجزري – القاهرة .
١٠- التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ) : استانبول ١٩٣٠م .
١١- الحجة في القراءات السبع لابن خالويه (ت ٣٧٠هـ) دمشق .
١٢- الحجة في علل القراءات السبع لأبي علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ) القاهرة .
١٣- حرز الأماني ووجوه التهاني في القراءات السبع للشاطبي ، (ت ٥٤٨ هـ) ط / القاهرة .
١٤- الدرة المضيئة في نظم القراءات الثلاث المتممة للعشرة – ابن الجزري – ط / القاهرة .
١٥- سراج القارئ المبتدئ وتذكار القارئ المنتهي شرح على الشاطبية ، ابن القاصح (٨٠١هـ) ط / القاهرة .
١٦- سيبويه والقراءات / أحمد مكي الأنصاري ، ط/ القاهرة .
١٧- شرح السمنودي على الدرة ، محمد بن حسن السمنودي .
١٨- طيبة النشر في القراءات العشر ، نظم القراءات العشر ابن الجزري ط/ القاهرة .
١٩- غيث النفع في القراءات السبع على النوري الصفاقسي ط / القاهرة بهامش سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي .
٢٠- القراءات أحكامها ومصادرها ، شعبان محمد إسماعيل – ط/ رابطة العالم الإسلامي – مكة المكرمة .
٢١- القراءات العشر ، محمود خليل الحصري – القاهرة .
٢٢- القراءات الشاذة – عبد الفتاح القاضي – القاهرة .

٢٣- القراءات واللهجات – عبد الوهاب حمودة – القاهرة .
٢٤- القراءات القرآنية ، د/ عبد الصبور شاهين – القاهرة .
٢٥- القراءات القرآنية – تاريخ وتعريف – عبد الهادي الفضلى ، دار العلم – بيروت .
٢٦- القراءات في نظر المستشرقين والملحدين – عبد الفتاح القاضي – القاهرة .
٢٧- القراءات القرآنية في بلاد الشام ، د/ حسنين علوان ، ط / دار الجيل – بيروت .
٢٨- كتاب السبعة لابن مجاهد (٣٢٣هـ) – القاهرة .
٢٩- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها – مكي بن أبي طالب القيسي (٤٣٧هـ) ط / دمشق .
٣٠- كنز المعاني في شرح حرز الأماني – الإمام محمد بن أحمد ، الشهير بـ (شعبة) (ت ٦٥٦هـ) ط/ القاهرة .
٣١- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات – ابن جني(ت خ ٣٩٢هـ) . ط/ القاهرة .
٣٢- مختصر في شواذ القراءات لابن خالويه ، ط / القاهرة .
٣٣- المستنير في تخريج القراءات المتواترة من حيث اللغة والإعراب والتفسير – محمد سالم محيسن ، ط/ القاهرة .
٣٤- المكرر فيما تواتر من القراءات السبع وتحرر – أبو حفص عمر بن القاسم النشار ط/ القاهرة .
٣٥- المهذب في القراءات العشر ، محمد سالم محيسن ، القاهرة .
٣٦- النشر في القراءات العشر ، ابن الجزري ، ط / القاهرة .

٣٧- الوافي في شرح الشاطبية - عبد الفتاح القاضي ، ط/ القاهرة .

ب- الكتب المؤلفة في القراءات عند ابن النديم :

- كتاب القراءات لخلف بن هشام البراز ، - كتاب القراءات لابن سعدان ، - كتاب القراءات لأبي عبيد القاسم بن سلام ، كتاب القراءات لأبي حاتم السجستاني ، - القراءات لثعلب

- غريب القراءات الكبير لابن مجاهد ، - كتاب القراءات الصغير لابن مجاهد ، - كتاب القراءات لهشام بن بشير .

- كتاب القراءات لأبي الطيب بن أشناس .

- كتاب القراءات لعلي بن عمر الدارقطني .

- كتاب القراءات ليحيى بن آدم .

- كتاب القراءات لابن كامل لم يتمه .

- كتاب القراءات للفضل بن شاذان .

- كتاب القراءات لأبي طاهر . - كتاب القراءات لأبي عمرو بن العلاء .

- كتاب القراءات لهارون بن حاتم الكوفي .

- كتاب القراءات للعباس بن الفضل الأنصاري .

- كتاب الاحتجاج للقراء لابن درستويه [1] .

(١) الفهرست صـ ٣٨ .

أسماء الذين اشتهروا بإقراء القرآن الكريم :

أولاً : المشهورون من الصحابة .

اشتهر من الصحابة عدد كثير بإقراء القرآن الكريم ، بجميع قراءاته ، ورواياته ، من هؤلاء الصحابة :

(١) عثمان بن عفان

وتتلمذ على يديه الكثير منهم :

المغيره بن أبي شهاب المخزومي (ت ٩١هـ)

(٢) علي بن أبي طالب

وتتلمذ على يديه كل من :

أبي الأسود الدؤلي (ت ٦٩هـ)

أبي عبد الرحمن السلمي (ت ٧٣هـ)

عبد الرحمن أبي ليلي (ت ٨٣ هـ) .

(٣) أبي بن كعب

أخذ عنه الكثير منهم :

عبد الله بن عباس .

أبو هريرة .

أبو عبد الرحمن السلمي .

(٤) زيد بن ثابت الأنصاري .

أخذ عنه الكثير منهم :

عبد الله بن عباس .

أبو هريرة .

عبد الله بن عمر

أنس بن مالك .

(٥) عبد الله بن مسعود :

تتلمذ عليه الكثير منهم :

علقه بن قيس .

الأسود بن يزيد النخفي .

مسروق بن الأجدع .

أبو عبد الرحمن السلمي .

(٦) أبو موسى الأشعري :

وأخذ عنه الكثير منهم :

سعيد بن المسيب

حطان الرقاش .

أبو رجاء العطاردي [١] .

ثانياً : المشهورون من التابعين :

لتواصل حفظ كتاب الله – سبحانه وتعالى – كفل الله له في كل زمن ما ينبغ فيه ويعرف قراءاته وأحكامه ، وفقهه ، ففي عصر التابعين اشتهر عدد كثير منهم في إقراء القرآن الكريم في معظم البلدان مثل المدينة ، ومكة ، والبصرة والكوفة ، والشام .

– وممن اشتهر بالمدينة :

سعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير ، وعمر بن عبد العزيز ، وسليمان بن يسار ، وزيد بن أسلم ، وابن شهاب الزهري ، وعبد الرحمن بن هرمز ، ومعاذ بن الحارث وغيرهم .

---

(١) ينظر : النشر ٦/١ والإتقان ٢٠٤/١ والإتحاف ١٣/١ وما بعدها .

- ومن اشتهر في مكة :

مجاهد ، وطاوس ، وعكرمة ، وابن أبي مليكه ، وعبيد بن عمير ، وغيرهم

- ومن اشتهر في البصرة :

عامر بن عبد القيس ، وأبو العالية ، ونصر بن عاصم ، ويحيى بن يعمر ، وجابر بن الحسن ، وابن سيرين ، وغيرهم .

- ومن اشتهر في الكوفة

علقمه بن قيس النخعي ، وأبو عبد الرحمن السلمي ، والأسود بن زيد النخعي ، وسعيد بن جبير ، وعمر بن شرحبيل ، وعمرو بن ميمون ، والحارث بن قيس ، وغيرهم .

- وممن اشتهر في الشام :

المغيرة بن أبي شهاب المخزومي ، وأبو الدرداء ، وخليد ابن سعيد ، وغيرهم [1] .

ثالثاً : أسماء الأئمة القراء الأربعة عشر ورواتهم :

وقد جعل الله من وسائل حفظ كتابه هؤلاء الأئمة في القراءات ، الذين أصبحت لهم شهرة عظيمة ، وهم :

(١) نافع المدني :

من روايتي : قالون ، وورش عنه .

(٢) وابن كثير الملكي :

من روايتي البزي ، وقالون عن أصحابهما عنه .

---

(١) ينظر : النشر ٨/١ ، والإتقان ٢٠٤/١، ٢٠٥ ، والإتحاف ١٧/١، ١٨ .

(٣) أبو عمرو البصري :

من روايتي : الدوري ، والسوسي ، عن يحيى اليزيدي عنه .

(٤) وابن عامر الشامي :

من روايتي : هشام ، وابن ذكوان عن أصحابهما عنه .

(٥) وعاصم الأسدي :

من روايتي : أبي بكر شعبة بن عياش ، وحفص بن سليمان عنه .

(٦) وحمزة التميمي :

من روايتي : خلف ، وخلاد ، عن سليم عنه .

(٧) والكسائي النحوي :

من روايتي : أبي الحارث ، والدوري ، عنه .

(٨) وأبو جعفر : يزيد بن القعقاع :

من روايتي : عيسى بن وردان ، وسليمان بن جماز ، عنه .

(٩) ويعقوب بن إسحاق الحضرمي :

من روايتي : رويس ، وروح ، عنه .

وخلف بن هشام البزار :

من روايتي : إسحاق الوراق ، وإدريس الحداد ، عنه .

(١١) وابن محيض : محمد بن عبد الرحمن المكي :

من روايتي : البزي ، وأبي الحسن بن شمبوذ .

(١٢) واليزيدي : يحيى بن المبارك :

من روايتي : سليمان بن الحكم ، وأحمد بن فرح بالهاء المهملة .

(١٣) والحسن البصري :

من روايتي شجاع بن أبي نصر البلخي ، والدوري .

(١٤) والأعمش : سليمان بن مهران :

من روايتي : الحسن بن سعيد المطوعي ، وأبي الفرج – الشنبوذي الشطوي [١] .

أنواع القراءات من حيث السند :

تتنوع القراءات من حيث السند إلى ما يلي :

(١) المتواتر :

وهو ماروإه جمع عن جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم . مثاله : ما اتفقت الطرق على نقله عن السبعة . وهذا هو الغالب في القراءات . والجمهور على أن القراءات السبع متواترة .

(٢) المشهور :

هو ما صح سنده بأن رواه العدل الضابط عن مثله وهكذا . ووافق العربية ووافق أحد المصاحف العثمانية ، سواء أكان عن الأئمة السبعة ، أم عن العشرة ، أم غيرهم من الأئمة المقبولين ، واشتهر عند القراء فلم يعدوه من الغلط ، ولا من الشذوذ ، إلا أنه لم يبلغ درجة التواتر .

مثاله : ما اختلفت الطرق في نقله عن السبعة ، فرواه بعض الرواة عنهم دون بعض ، ومن أشهر ما ألف في هذين النوعين :

التيسير للداني ، والشاطبية ، وطيبة النشر في القراءات العشر .

وهذان النوعان هما اللذان يقرأ بهما مع وجوب اعتقاد هما ولا يجوز إنكار شيء منهما .

---

(١) ينظر : النشر ٥٤/١، والهنوان في القراءات السبع لأبي طاهر الأندلس ص ٤٠، ص ٢١٧، ٢١٨، وإتحاف فضلاء البشر ٧٥/١، ٧٦ .

(٣) الآحاد : وهو ما صح سنده ، وخالف الرسم ، أو العربية ، أو لم يشتهر الاشتهار المذكور ، ولا يقرأ به ، وقد عقد الترمذي في جامعه ، والحاكم في مستدركه لذلك بابا أخرجا فيه شيئاً كثيراً صحيح الإسناد .

من ذلك ما أخرجه الحاكم من طريق عاصم الجُحدري عن أبي بكرة أن النبي (ﷺ) قرأ : " متكئين على رفارف خضر وعَبَا قِرِي حسان " [1] .

وأخرج من حديث أبي هريرة أنه (ﷺ) قرأ : " فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قُرّاتِ أعين " [2] .

وأخرج عن ابن عباس أنه (ﷺ) قرأ " لقد جاءكم رسول (ﷺ) أنفَسِكم " [3] بفتح الفاء "

---

(١) سورة الرحمن آية ٧٦ ، قال أبو حاتم : ويشبه أن يكون عباقر بكسر القاف ، على ما يتكلم به العرب ، قال : ولو قالوا : عَبَا قِرِيَ فكسروا القاف ، وصرفوا ، لكان أشبه بكلام العرب ، كالنسب إلى مدائن ، مدائني ، قال : وقال سعيد بن جبير : رفارف " رياض الجنة . قال : وعبقر : موضع . (المحتسب ٣٠٦/٢ .

(٢) سورة السجدة من الآية ١٧ – قال أبو الفتح : القُرّة : المصدر ، وكان قياسه ألا يجمع ؛ لأن المصدر اسم جنس ، والأجناس أبعد شيء عن الجمعية لاستحالة المعنى في ذلك . لكن جعلت القُرّة هنا نوعاً ، فجاز جمعها . كما نقول : نحن في أشغال وبيننا حروب – وهناك أحزان وأمراض ، وحسّن لفظ الجمع هنا أيضاً ، إضافة " القُرّات " إلى لفظ الجماعة أعني " الأعين " فقولنا إذاً : أشغال القوم أشبه لفظا من أشغال زيد – المحتسب ١٧٤/٢ .

(٣) سورة التوبة من الآية ١٢٨ – قال أبو الفتح : معناه من خياركم ، ومنه قولهم : هذا أنفس المتاع ، أي أجوده وأخيره ، واشتقه من النفس ، وهي أشرف ما في الإنسان – المحتسب ٣٠٦/١ .

وأخرج عن عائشة أنه (ﷺ) قرأ " فرُوح وريحان "[1] يعني الضم الراء .

(٤) الشاذ – وهو ما لم يصح سنده ،ومن ذلك قراءة "مَلَك يومَ الدين "[2] بصيغة الماضي ، ونصب " يوم " وإياكَ يُعْبَد [3] " ببنائه للمفعول .

ومن ذلك قراءة أُبَيّ بن كعب ، ومحمد بن السَّمَيْفَع ، ويزيد البربري : " فاليوم نُنَحِّيك [4] بالحاء .

(٥) الموضوع : وهو ما ينسب إلى قائله من غير أصل (المختلق) .

مثال ذلك : القراءات التي جمعها محمد بن جعفر الخزاعي (مؤلف المنتهي [5]) المتوفى سنة (٤٠٨هـ) ونسبها إلى أبي حنيفة كقراءة : " إنما يخشى اللهُ من عباده العلماءَ "[6] برفع اسم الجلالة ، ونصب العلماء .

---

(١) سورة الواقعة من الآية ٨٩ قال أبو الفتح : هو راجع إلى معنى الرُّوح . فكأنه قال فَمُمسِك رُوحٍ ، وممسكها هو الرُّوح . كما تقول : هذا الهواء هو الحياة وهذا السماع هو العيش ، وهو الروح . (المحتسب ٣١٠/٢) .

وقوله تعالى : " فُروح وريحان ، على قراءة من ضمة الراء ، تفسيرُه : فحياة دائمة لا موت معها . أما قوله تعالى : " فرَوح وريحان " بالفتح فمعناه أي رحمة ورزق ، وجائز أن يكون ريحان تحية لأهل الجنة ، أو " فرَوح " أي فاستراحة . (لسان العرب ٤٥٨/٢، ٤٥٩ ر– و– ح) .

(٢) سورة الحمد – الآيتان ٣، ٤ ، وينظر : الإتقان ٢٢٩/١ .

(٣) سورة الحمد – الآيتان ٣، ٤ ، وينظر : الإتقان ٢٢٩/١ .

(٤) سورة يونس من الآية ٩٢ قال أبو الفتح : هذه نُفَنّلك من الناحية ، أي نجعلك في ناحية كذا ، يقال : نحوت الشيء أخوه : إذا قصدته ، ونحيت الشيء فتنحي : أي باعدته فتباعد ، فصارفي ناحية . (المحتسب ٣١٦/١، ٣١٧) .

(٥) ينظر : النشر ٩٣/١ .

(٦) سورة فاطر من الآية ٢٨. جاء في تفسير القرطبي حكاية عن الزمخشري : فإن قلت : فما وجه قراءة من قرأ برفع لفظ الجلالة " الله " ونصب " العلماء " وتحكى هذه عن أبي حنيفة ، قلت : الخشية في هذه القراءة استعاره ، والمعنى : إنما يحليهم ويعظمهم كما يُجَلّ المهيب المخشيُّ من الرجال بين الناس من بين جميع عباده . " إن الله غفور رحيم " تعليل لوجوب الخشبية ؛ لدلالته على عقوبة العصاة وقهرهم ، وإثابة أهل الطاعة والعفو عنهم . والمعاقِب والمثيب حقه أن يخشى . (تفسير القرطبي ٢٢٠/١٤) .

(٦) ما يشبه المدْرَج من أنواع الحديث . وهو ما زيد في القراءات على وجه التفسير ، كقراءة سعد بن أبي وقاص " وله أخ أو أخت من أم "[١] أخرجها سعيد بن منصور . بزيادة " من أم "

وكقراءة ابن عباس : ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم في مواسم الحج "[٢] أخرجها البخاري بزيادة (في مواسم الحج) .

وكقراءة ابن الزبير : ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويستعينون بالله على ما أصابهم "[٣]

قال عمر : فما أدري : أكانت قراءته أم فسَّر . أخرجه سعيد ابن منصور ، وأخرجه الأنباري ، وجزم بأنه تفسير .

وكقراءة الحسن أنه كان يقرأ " وإن منكم إلا واردها "[٤] ، " الورود الدخول " قال ابن الأنباري : قوله : " الورود الدخول " تفسير من الحسن لمعنى الورود . وغلط فيه بعض الرواة فألحق بالقرآن .

قال ابن الجزري في آخر كلامة : وربما كانوا يدخلون التفسير في القراءة إيضاحاً وبياناً ؛ لأنهم محققون لما تلقّوه عن النبي (ﷺ) قرآنا ، فهم آمنون من الالتباس ، وربما كان بعضهم يكتبه معه .

وأما من يقول : إن بعض الصحابة كان يجيز القراءة بالمعنى ، فقد كذب[٥] .

---

(١) سورة النساء من الآية ١٢ .

(٢) سورة البقرة من الآية ١٩٨ .

(٣) سورة آل عمران من الآية ١٠٤ .

(٤) سورة مريم ٧١ .

(٥) ينظر : الإتقان ٢١٥/١، ٢١٦، والقراءات القرآنية . د . إبراهيم أبو سكين ص ٩، ١٠ .

قواعد القراءة الصحيحة :

اتفق العلماء على أن القراءة المقبولة لا تكون كذلك إلا إذا توفر لها ضوابط وشروط وقد حد والعلماء هذه الضوابط فيما يلي :

(١) موافقة القراءة لرسم أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً .

(٢) موافقة العربية ولو بوجه .

(٣) ثبوت القراءة بطريق التواتر .

فكل قراءة اجتمعت فيها هذه الضوابط ، وتلك الشروط ، فهي القراءة المقبولة ولا يحل جحدها وإنكارها ، وهي من جملة الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم .

ومتى لم تتحقق هذه الأركان كلها أو بعضها في قراءة ، فهي قراءة شاذة [١] مردودة .

وينبغي أن يعلم أن أهم هذه الأركان هو ثبوت القراءة بطريق التواتر ، أي الركن الثالث .

أما الشرطان الأول والثاني فهما لازمان له ، إذ أنه متى تحقق تواتر القراءة ، لزم أن تكون موافقه للغة العرب ، ولأحد المصاحف العثمانية ، فالعمدة في الأركان هو التواتر .

ولذا وجب على الناس حينئذ قبولها ، سواء كانت عن الأئمة السبعة ، أم عن العشرة ، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين [٢] .

---

(١) ومن المصنفات في القراءات الشاذة : كتاب مختصر في شواذ القراءات لابن خلوية ، والمحتسب في تبيين شواذ القراءات لابن جني ، وكثير من هذه القراءات قد أشار إليها العلماء في بيان معاني القرآن وتفسيره ، كالأخفش الأوسط ، والفراء ، والزجاج ، والنحاس ، وفي تفسير القرطبي ، والبحر المحيط ، والدر المصون وغيرها ، ينظر : العنوان في القراءات السبع صـ ٢٣ .

(٢) ينظر : النشر ٩/١ ، والإتقان ٢١٠/١، والقراءات الشاذة للشيخ / عبد الفتاح القاضي صـ ٥ والقراءات القرآنية د/ إبراهيم أبو سكين صـ ١١ .

شرح أركان القراءة المقبولة :

معنى قولهم : موافقة القراءة لرسم أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً ، أن تكون ثابته ولو في بعضها ، أو على احتمال وتقدير أنها ثابتة .

مثال ذلك : قراءة : " اهدنا الصراط المستقيم (1) " بالسين فكلمة " الصراط " وإن خالفت الرسم من وجه فقد أتت على الأصل اللغوي المعروف أي على التحقيق ، وتكون قراءة الإشمام محتملة أيضاً ، والسبب في تحول السين هو التواؤم الصوتي ، وهو تأثر صوت بصوت مجاور له ، فيكتسب بعض صفاته دون أن يفقد كل خصائصه .

فقراءة الجمهور " الصراط " بالصاد ؛ لتوائم السينُ الطاءَ في الإطباق ؛ نتيجة لتأثرها بالطاء ، فتكتسب السينُ صفة الإطباق ، وينطق بها صاداً ، وقراءة حمزة " اهدنا الصراط " بإشمام الصاد الزاي ؛ للتواؤم الصوتي تأثرا بصوت الراء المجهورة بعدها .

وقراءة ابن كثير في رواية " السراط " بالسين على الأصل .

ومثال ذلك – أيضاً – قراءة " مالك يوم الدين (2) " بحذف الألف موافقة ، تحقيقاً لسائر المصاحف ؛ لأن الألف محذوفة في جميعها .

أما قراءة إثبات الألف ، فهي موافقة للرسم تقديراً واحتمالاً على احتمال أنها ثابتة ، وحذفت في الرسم اختصاراً ، قياساً على قوله تعالى : " مالك الملك (3) " فإنها قرئت بإثبات الألف للجميع مع حذفها اختصاراً في سائر المصاحف .

---

(1) سورة الحمد آية ٦ .

(2) نفسها آية ٣ .

(3) سورة آل عمران من الآية ٢٦ .

ومعظم القراءات موافقة للرسم صراحة وتحقيقاً ؛ لأن المصاحف كتبت مجردة من النقط والشكل ، فكانت محتملة لما ورد من القراءات نحو " يعملون [١] " بالغيبة ، والخطاب ، " وننشزها [٢] " بالزاي والسراء و " هيت لك [٣] " بالهمزة والإبدال والفتح والضم وهكذا [٤] .

وكقراءة : ابن كثير : " جنات تجري من تحتها الأنهار [٥] " بزيادة " من " فإن ذلك ثابت في المصحف المكي . وكقراءة ، " وسارعوا إلى مغفرة من ربكم [٦] " بحذف الواو ، إلى غير ذلك من مواضع كثيرة في القرآن اختلفت المصاحف فيها ، فوردت القراءة عن أئمة تلك الأمصار على موافقة مصحفهم ، فلو لم يكن ذلك كذلك في شيء من المصاحف العثمانية ، لكانت القراءة بذلك شاذة ؛ لمخالفتها الرسم المجمع عليه .

ومعنى : ولو احتمالاً أي ما يوافق الرسم ولو تقديرا ، فإنه قد خولف صريح الرسم في مواضع إجماعاً نحو " السموات ، والصلحت ، والليل ، والصلوة ، والزكوة ، والربوا " وغير ذلك .

ومعنى : موافقة العربية ولو بوجه ، أن تكون موافقة لوجه من وجوه النحو سواء أكان أفصح ، أم فصيحاً . فلا يشترط أن تكون على أفصح الأوجه . بل يمكن أن يكون وجهاً مختلفاً فيه ، اختلافاً لا يضر مثله ،

---

(١) سورة البقرة من الآيات ٩٦، ١٣٤، ١٤١ .

(٢) سورة البقرة من الآية ٢٥٩ .

(٣) سورة يوسف من الآية ٢٣ .

(٤) القراءات الشاذة الشيخ عبد الفتاح القاضي ص ٥، ٦ ، والقراءات القرآنية د. إبراهيم أبو سكين ص ١١، ١٢ .

(٥) سورة التوبة من الآية ١٠٠ .

(٦) سورة آل عمران من الآية ١٣٣ .

إذا كانت القراءة مما شاع وذاع ، وتلقاة الأئمة بالإسناد الصحيح ؛ إذ هو الأصل الأعظم ، والركن الأقوم . وكم من قراءة أنكرها بعض أهل النحو ، أو كثير منهم ، ولم يعتبر إنكارهم ، بل أجمع الأئمة المقتدي بهم من السلف على قبولها .

ومثال ذلك : قراءة الإسكان في " بارئكم [١] " و " يأمركم [٢] " وخفض " الأرحام [٣] " ، ونصب " وليُجْزَى قوما " [٤] بالبناء للمجهول ، وغير ذلك .

والقاعدة العامة والهامة أن النحو يرجع إلى القراءات ؛ لأن القراءات ثابتة بالنقل والرواية ولذ قال الداني : " وأئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفش في اللغة ، والأقيس في العربية ، بل على الأثبت في الأثر ، والأصح في النقل ، والرواية ، إذا ثبت عنهم لم يردها قياس عربية ، ولا فشو لغة ؛ لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها [٥] .

ومعنى : ثبوت التواتر في القراءة أي يثبت لها صحة السند ، أو مسندها ، أي يروي تلك القراءة العدلُ الضابط عن مثله ، وهكذا حتى ينتهي ؛ وتكون مع ذلك مشهورة عند أئمة القراءات ، ليست عندهم من الغلط ، أو مما شذ بها بعضهم [٦] .

---

(١) سورة البقرة من الآية ٥٤ .

(٢) سورة البقرة من الآية ٦٧ .

(٣) سورة النساء من الآية ١ .

(٤) سورة الغاشية من الآية ١٤ . قال الكسائي : معناه ليجزي الجزاء قوما .

(٥) النشر ١/١٠، ١١ ، والإتقان ١/٢٣٠، ٢١١ .

(٦) الإتقان ١/٢١٣ .

والتواتر هو : نقل جماعة يمتنع تواطؤهم على الكذب عن جماعة كذلك من أول السند إلى منتهاه إلى رسول الله (ﷺ) .

والمحصلة أنه لابد من حصول التواتر قال بذلك الأئمة والقراء في أول الزمان وآخره ، ومن ذلك ما صرح به الإمام الجعبري في شرح الشاطبية حيث يقول : ضابط كل قراءة تواتر نقلها ، ووافقت العربية مطلقاً ، ورسم المصحف ولو تقديراً ، فهي من الأحرف السبعة ، وما لم يجتمع فيه ذلك فشاذ .

وعلى ذلك فالذي توافرت فيه الشروط الثلاثة والأركان المذكورة إنما هي القراءات العشر فحسب ، وهذا إجماع من القراء وغيرهم ، إلا من لا يعتد بخلافه .

ويؤخذ مما سبق : أن كل قراءة وراء العشر لا يحكم بقرآنيتها بل هي شاذه لا تجوز القراءة بها لا في الصلاة ولا في خارجها ، إلا أنه يجوز تعلمها ، وتعليمها [1] .

القراءة الشاذة : هي التي لم تتحقق أركان القراءة المقبولة كلها أو بضعها فيها [2] أو هي كل قراءة وراء القراءات العشر أي بعدها [3] . أي الأربعة الباقية بعد العشرة [4] .

---

(١) القراءات الشاذة الشيخ عبد الفتاح القاضي صـ ٧، ٨ بتصرف يسير . واللهجات العربية د/ عبده الراجحي صـ ١٥ .

(٢) القراءات الشاذة الشيخ عبد الفتاح القاضي ص٥ . واللهجات العربية د/ عبده الراجحي صـ ٨١ .

(٣) نفسه صـ ٧.

(٤) الإتحاف ١/ ٨٠ .

وعليه فالقراءة الشاذة هي التي فقدت شرطا من الشروط الثلاثة التي يجب توافرها في القراءة الصحيحة نبه عليها ابن الجزري حيث قال : كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ، ولو احتمالاً ، وصح سندها (التواتر) فهي القراءة الصحيحة [١] ، إذاً القراءة الشاذة عكس القراءة الصحيحة .

أصحاب القراءات الشاذة :

عبد الله بن مسعود ، وأبي بن كعب ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن الزبير وغيرهم ، وهؤلاء من أبرز قراء الصحابة [٢] .

وأما أصحاب القراءات غير العشرة فهم :

(١) الحسن البصري (ت ١١٠هـ) من روايتي : شجاع بن أبي نصر البلخي . والدوري .

(٢) ابن محيص : محمد بن عبد الرحمن المكي (ت ١٢٣هـ) من روايتي : البزي ، وابن شنبوذ .

(٣) الأعمش : سليمان بن مهران (ت ١٤٨ هـ) من روايتي : الحسن بن سعيد المطوعي ، والشنبوذي الشطوي .

(٤) اليزيدي : يحيى بن المبارك (ت ٢٠٢هـ) من روايتي : سليمان بن الحكم وأحمد بن فرح ، بالحاء المهملة [٣] .

---

(١) النشر ٩/١ .

(٢) الإتقان ٢٠٤/١ .

(٣) الإتحاف ٧٥/١،٧٦ .

حكمها :

لا تجوز القراءة ، بالقراءة الشاذة مطلقاً ، ويجوز تعلمها وتعلميها ، وتدوينها في الكتب ، وبيان وجهها من حيث اللغة والإعراب والمعنى ، واستنباط الأحكام الشرعية منها على القول بصحة الاحتجاج بها ، والاستدلال بها على وجه من وجوه العربية ، وفتاوي العلماء قديماً وحديثاً مطبقة على ذلك [1] .

وابن جني جوز الاحتجاج بالشاذ ، وهو عنده ما كان خارجاً عن قراء السبعة فقال : إلا أنه (أي الشاذ) مع خروجه عنها نازع بالثقة إلى قرائه ، محفوف بالروايات من أمامه وورائه ، ولعله ، أو كثيرا منه مساوٍ في الفصاحة للمجتمع عليه ، نعم وربما كان فيه ما تلطف صنعته ، وتعنف [2] بغيره فصاحته ، وتمطوه [3] قوي أسبابه ، وترسو به قَدَمُ إعرابه ... وأنه ضارب في صحة الرواية بِجِرانه ، آخذ من سمت العربية مهلة ميدانه لئلاً يُرَى مُرِيّ [4] أن العدول عنه إنما هو غَضٌ منه ، أو تهمةٌ له ، ومعاذ الله ، وكيف يكون هذا ، والرواية تنميه إلى رسول الله (ﷺ) والله تعالى يقول : " وما آتاكم الرسول فخذوه " [5] وهذا حكم عام في المعاني والألفاظ ، وأخذه : هو الأخذ به ، فكيف يسوغ مع ذلك أن ترفضه وتجتنبه ، فإن قَصُر شيء منه عن بلوغه إلى رسول الله (ﷺ) فلن يقصُر عن وجه من الإعراب داع إلى الفسحة والإسهاب ..." [6] .

---

(١) القراءات الشاذة الشيخ عبد الفتاح القاضي ص ٨ والقراءات القرآنية د/ إبراهيم أبو سكين ص ٢٤ .
(٢) يريد أن فصاحته متفوقة ، تلوم غيره على تخلفه في مضمار الفصاحة .
(٣) أي تمده .
(٤) أي لئلا يظن ظان .
(٥) سورة الحشر من الآية ٧ .
(٦) المحتسب ٣٢/١، ٣٣ .

ولهذا يؤخذ بالشاذ من باب التعليم والتعلم والاحتجاج به في اللغة ، أما القراءة بالشاذ فلا تجوز القراءة به ، نقل ابن عبد البر الإجماع على ذلك لا في الصلاة [١] ولا في خارجها ، وإن كان قد ذكر موهوب الجزري جوازها في غير الصلاة ، قياساً على رواية الحديث بالمعنى [٢] ، ولكن ذلك ضعيف .

ويؤكد أنه لا يجوز القراءة بالشاذ قول ابن جني : " إلا أننا وإن لم نقرأ في التلاوة به (يريد الشاذ) ، مخافة الانتشار فيه ، ونتابع من يتبع في القراءة كل جائز رواية ودراية ، فإنا نعتقد قوة هذا المسمى شاذا ، وأنه مما أمر الله تعالى بتقبله ، وأراد منا العمل بموجبه ، وأنه حبيب إليه ، ومرضيّ من القول ... [٣] لديه .

أما عن حكم العمل بالقراءة الشاذة ، فاختلف العلماء في ذلك بين الجواز وعدمه ولكل علته على ذلك[٤] .

والقراءة الشاذة اجتهد العلماء في توجيهها ، وإيجاد وجه لها في العربية ، وهذه بعض نماذج لهذا النوع من القراءة ؛ حتى يتسنى لنا فهمها فهما " أكثر ، وكما يقولون : بالمثال يتضح المقال ، وإليك بعض الأمثلة على ذلك :

---

(١) وهذا أيضاً رأي ابن عطية ؛ لأن القراءة الشاذة لم يجمع الناس عليها . ، ينظر تفصيل ذلك في تفسير القرطبي ٣٥/١ .

(٢) الإتقان ٣٠٧/١ .

(٣) المحتسب ٣٣/١ .

(٤) الإتقان ٢٢٨/١ .

[سورة الفاتحة]

قرأ الحسن " الحمد لله " بكسر الدال حيث وقع في القرآن الكريم إتباعاً لكسرة اللام بعدها ، وهي لغة تميم وبعض غطفان . جعلوا الحرف الأول تابعاً للثاني في حركته ؛ ليكون بينهما تجانس في الحركة ، وإنما جاز الإتباع هنا في كلمتين مع أنه إنما يكون في كلمة واحدة لتنزيل الكلمتين هنا منزلة الكلمة الواحدة نظراً لكثرة استعمالها مقترنين .

وقرأ المطوعي عن الأعمش "مالك يوم الدين " بإثبات الألف ونصب الكاف على أنه نعت مقطوع فهو معمول لفعل محذوف تقديره أمدح أو نحوه أو على أنه منادي حذف منه حرف النداء ويكون ذلك تمهيداً لقوله : وإياك نعبد " .

وقرأ الحسن " إياك نعبد " بياء مضمومة وباء مفتوحة مع البناء للمفعول على إقامة ضمير النصب مقام ضمير الرفع مع الالتفات والأصل أنت تعبد .

وقرأ المطوعي " نستعين " بكسر نون المضارعة ، وكذا يقرأ كل فعل مضارع بكسر حرف المضارع إذا كان مبدوءاً بنون أو تاء مفتوحتين ، وكان مفتوح العين ، وكان ماضيه ثلاثياً مكسور العين أو زائداً على ثلاثة أحرف ومبدوءاً بهمزة الوصل [1] نحو تعلمون ، نطمع ، نشترى ، نعلم ، نتبع ، نستحوذ نستبق ، نشهد ، نبتغي ، يسخر ، تزداد ، تفقد ، تشهدون ، يعتدون، تعبثوا ، ترتابوا ، تستكبورن ، تثقفهم ، تختصمون ، تستأنسوا ، لتركبوا ، تقشعر ، ترهقهم ، تستفتحوا ، تستفتيان وهكذا ، واختلف عنه في " كي تقر

---

(١) ومعلوم أن الماضي المبدوء بهمزة الوصل لا يكون مضارعة إلا مكسور العين . فشرط فتح العين إنما هو في مضارع الثلاثي .

عينها " و " لا تضحي " كلاهما بسورة طه . و " ألا تطغوا " في سورة الرحمن ، وكسر حرف المضارعة بالشروط السابقة لغة تميم وهذيل وأسد وربيعة .

وقرأ الحسن ، ، اهدنا صراطاً مستقيما ، هكذا بالتنكير فيهما هنا خاصة .

وقرأ ابن محيصن من المبهج " غير المغضوب عليهم " بنصب غير ، وذلك على الحال من الضمير في عليهم ، أو على أنه معمول لمحذوف تقديره أعني أو نحوه ... [1] .

(١) ينظر : القراءات الشاذة الشيخ / عبد الفتاح القاضي صـ ١٨ وما بعدها . ومن أراد المزيد من الشرح والتوجية فليرجع إلى المحتسب " ابن جني صـ ٣٧/١ وما بعدها . وشرح الهداية للهدوى ١/صـ ١٦ وما بعدها ومن الكتب التي وجهت القراءات واعتنت بشرحها للسبعة الحجة لأبي على الفارس ، والكشف لمكي . (ينظر : الإتقان ٢٢٨/١) .

(سورة الأحزاب)

قرأ الحسن " تظاهرون " بضم التاء وفتح الظاء مخففة من غير ألف وكسر الهاء مشددة من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد .

وقرأ كذلك " عورة " معاً بكسر الواو [1] صفة مشبهة من عور المكان يعور عوراً إذا كان فيه خلل .

وقرأ أيضاً " ثم سولوا " بواو ساكنة بعد السين مكان الهمزة المكسورة وهي من سال يسال مثل خاف يخاف لغة في سأل مهموز العين وجوز أن تكون من سأل المهموز ولكن خففت الهمزة بإبدالها واواً ؛ لضم ما قبلها وسكنت تخفيفاً .

وقرأ ابن محيصن من المفردة " نضاعف لها العذاب " بنون مضمومة وضاد مفتوحة وبعدها ألف وعين مكسورة ونصب العذاب . والوجه ظاهر .

وقرأ ابن محيصن " فيطمع " بكسر الميم هكذا نقل عنه علماء القراءات وبعض المفسرين وجميع كتب اللغة التي بين أيدينا – ومنها لسان العرب وشرح القاموس – تنص على أن طمع من باب فرح ليس غير ولذلك طعن في هذه القراءة بمخالفتها للغة العرب ، وذهب بعض الأئمة إلى أن قراءة ابن محيصن إنما هي بكسر العين لا بكسر الميم كما رواها عنه ابن خالوية وخرجت على أن الفعل مجزوم عطفاً على تخضعن فيكون نهياً لمريض القلب عن الطمع عقب نهى النساء عن الخضوع بالقول كأنه قيل فلا تخضعن بالقول فلا يطمع الذي في قلبه مرض . وعلى هذا يكون كسر العين للتخلص من التقاء الساكنين .

---

(١) وتصحيح الواو شاذ والقياس يقتضي قلبها ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها .

وقرأ الحسن " إن وهبت " بفتح الهمزة على حذف لام التعليل أي لأن وهبت ، وجوز أن تكون أن وما بعدها في تأويل مصدر هو بدل اشتمال من امرأة .

وقرأ ابن محيصن من المهج " أن تقر أعينهن " بضم التاء وكسر القاف ونصب أعينهن . على أن الفعل من أقر وأسند إلى ضمير المخاطب ونصب أعينهن على المفعولية .

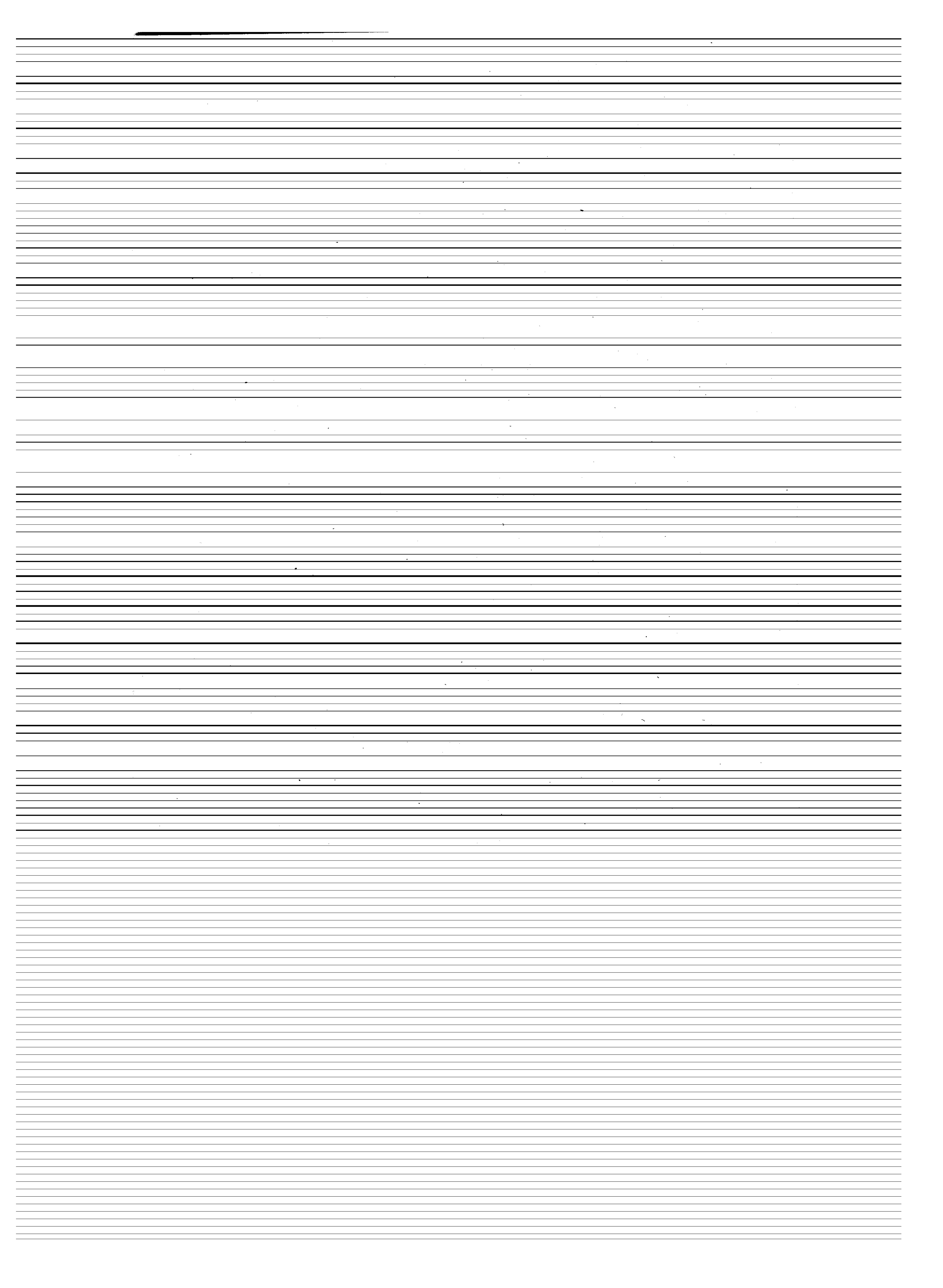
وقرأ الحسن " تقلب " بفتح التاء على أن الأصل بتاءين وحذفت إحداهما تخفيفاً .

وقرأ المطوعي " وكان عبد الله وجيهاً " من العبودية وعليه يكون عبداً خبراً لكان ووجيهاً صفته .

وقرأ كذلك " ويتوب " بالرفع على الاستئناف ، وعليه ينبغي الوقوف على " والمشركات " [1] .

---

(١) القراءات الشاذة الشيخ عبد الفتاح القاضي ص ٦٠ والمحتسب لابن جني ١٧٦/٢ وما بعدها .



المبحث الثاني : نزول القرآن على سبعة أحرف

حديث نزول القرآن على سبعة أحرف :

هو من الأحاديث التي تحدث عنها العلماء ، وفصلوا القول فيها ، ولكني أورده بإيجاز - أظنه - غير مخل ؛ لأنه من الموضوعات التي يجب أن يعلمها دارسي القراءات القرآنية ؛ حتى يقف على بعض الوجوه في الحديث ، ووجه كل رأي ، وورد حديث الأحرف السبعة من روايات متعددة صحيحة منها :

(١) أخرج البخاري ، ومسلم ، عن عمر بن الخطاب (ﷺ) قال : سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان ، في حياة رسول الله (ﷺ) : فاستمعت لقراءته ، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة ، لم يقرئنيها رسول الله (ﷺ) فكدت أساوره [١] في الصلاة ، فتربصت [٢] حتى سلم ، فلببته بردائه [٣] ، فقلت : من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرؤها ؟ قال : أقرأنيها رسول اللهِ (ﷺ) فقلت : كذبتَ ، فإن رسول الله قد أقرأنيها على غير ما قرأتَ ، فانطلقتُ به ، أقوده إلى رسول الله (ﷺ) فقلت : يا رسول الله ، إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها ، فقال رسول الله (ﷺ) : " أرسله ، اقرأ يا هشام " فقرأ عليه القراءة التي كنت سمعته يقرأ ، فقال رسول الله (ﷺ) : " هكذا أنزلت " ثم قال رسول الله (ﷺ) " اقرأ يا عمر " فقرأت القراءة التي أقرأني ، فقال رسول الله (ﷺ) : وهكذا أنزلت ، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه " [٤] .

---

(١) أواثبه وآخذ برأسه ، ومعناه : أغالبه .

(٢) وفي رواية " فتصبرت حتى سلم " .

(٣) جمعت الرداء ، أي في عنقه ، وأمكنته وجذبته به .

(٤) فتح الباري بشرح صبح البخاري حديث ٤٩٩٢ وصحيح مسلم بشرح النووي ٦/٩٨، ٩٩ .

وفي رواية للنسائي أن رسول الله (ﷺ) قال : " يا أبي ، أنزل (أي القرآن) على سبعة أحرف كلها شاف كاف "

(٢) وروي البخاري عن ابن عباس أن رسول الله (ﷺ) قال : أقرأني جبريل على حرف ، فراجعته ، فلم أزل أستزيده ، ويزيدني ، حتى انتهى إلى سبعة أحرف "[١] .

(٣) وروي مسلم عن أبي بن كعب – رضي الله عنه – أن النبي (ﷺ) كان عند أضاةِ بني غفار ، فقال : فأتاه جبريل – عليه السلام – فقال : " إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف فقال : " أسأل الله معافاته ومغفرته ، وإن أمتي لا تطيق ذلك ، ثم أتاه الثانية فقال : " إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين ، فقال أسأل الله معافاته ومغفرته ، وإن أمتي لا تطيق ذلك ثم أتاه الثالثة فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف ، فقال : أسأل الله معافاته ومغفرته ، وإن أمتي لا تطيق ذلك ، ثم أتاه الرابعة : فقال : " إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف ، فأيما حرف قرأوا عليه فقد أصابوا "[٢] .

(٤) وفي رواية رواها الطبري عن أبي بن كعب قال ، : " لقي رسول الله جبريل فقال : " يا جبريل ، بعثت إلى أمة أميين[٣] ، فيهم العجوز ، والشيخ الكبير ، والغلام والجارية ، والرجل الذي لم يقرأ كتابا قط ، فقال : يا محمد : إن القرآن أنزل على سبعة أحرف "[٤] .

---

(١) فتح الباري حديث ٤٩٩١، وصحيح مسلم بشرح النووي١٠١/٦ .

(٢) صحيح مسلم ١٠٠/٦، وما بعدها .

(٣) الأميون : جمع أميّ ، وهو الذي لا يكتب ، منسوب إلى ما عليه أمة العرب وكانوا لا يكتبون ، وقيل : الأمي : الذي على أصل ولادة أمة ، لم يتعلم الكتابة ، فهو علي جبلته التي ولد عليها .

(٤) جامع البيان ١٢/١ .

وقال البغوي في قوله (ﷺ) كلها شاف كاف ، يريد – والله أعلم – أن كل حرف من هذه الأحرف السبعة شاف لصدور المؤمنين ، لاتفاقهما في المعنى ، وكونهما من عند الله ، وتنزيله ووحيه ، كما قال الله سبحانه وتعالى : " قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء " [1] وهو كاف في الحجة على صدق رسول الله (ﷺ) لإعجاز نظمه ، وعجز الخلق عن الإتيان بمثله ، والله تعالى أعلم [2] .

وأكتفي بذلك من ذكر روايات هذا الحديث ، وقد رواه جمع كثير من الصحابة منهم : أبي بن كعب ، وأنس ، وحذيفة بن اليمان وزيد بن أرقم ، وسمرة بن جندب ، وسليمان بن صرد ، وابن عباس ، وابن مسعود ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن عفان ، وعمر بن الخطاب ، وعمرو بن أبي سلمة ، وعمرو بن العاص ، ومعاذ بن جبل ، وهشام بن الحكيم ، وأبو بكرة ، وأبو جهم ، وأبو سعيد الخدري ، وأبو طلحة الأنصاري ، وأم أيوب ، فهؤلاء واحد وعشرون صحابياً ، وقد نص أبو عبيد (ت ٢٢٤هـ) على تواتره .

وأخرج أبو يعلى في مسنده الكبير أن عثمان بن عفان – رضي الله عنه – قال يوما وهو على المنبر " أذكّر الله رجلاً سمع النبي (ﷺ) قال : " إن القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف " لمّا قام ؛ فقاموا حتى لم يُحْصَوْا ، فشهدوا بذلك ، فقال ، وأنا أشهد معهم [3] .

---

(١) سورة فصلت من الآية ٤٤ .

(٢) شرح السنة للبغوي ٥١٢/٤ .

(٣) النشر ٢١/١، والإتقان ١٣١/١ .

وهذه الرواية تدل على شهادة الجمع الكثير الذي لا يحصى بهذا الحديث ، وأن هذا الجمع لم يكن من الصحابة وحدهم ، بل كان من الصحابة والتابعين ، وإذ يترجح أن يكون الحاضرون من الصحابة والتابعين معاً ، وهذا يعني أن رواية العدد الكثير الذي يؤمن تواطؤهم على الكذب لحديث " نزول القرآن على سبعة أحرف " ليست قاصرة على طبقة الصحابة [١] .

وقد عني كثير من العلماء بأحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف ، وتناولوها بالدراسة منذ زمن قديم ، ومنهم : أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت ٢٢٤هـ) في كتابه (غريب الحديث) ، وأبو محمد عبد الله ابن مسلم بن قتيبه (ت ٢٧٦هـ) في كتابه (تأويل مشكل القرآن) وأبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) في مقدمة تفسيره : ومكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ) في (الإبانة عن معاني القراءة) وشهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة المقدسي (ت ٦٦٥هـ) في كتابه (المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز) [٢] .

وكذلك تحدث عنه الإمام القرطبي في مقدمة تفسيره (الجامع لأحكام القرآن) [٣] والإمام السيوطي في كتابه (الإتقان في علوم القرآن) [٤] .

وتحدث عنه كثير من المحدثين - تناولوه بالدراسة والشرح والتحليل والتخريج وغير ذلك مما يتعلق به [٥] .

---

(١) نزول القرآن على سبعة أحرف لمناع القطان صـ ٢١ .
(٢) نزول القرآن على سبعة أحرف لمناع القطان صـ ٢٨.
(٣) تفسير القرطبي ٣١/١ وما بعدها .
(٤) الإتقان ١٣١/١ وما بعدها .
(٥) من هؤلاء المحدثين د. عبد الوهاب حمودة في كتابه القراءات واللهجات صـ ٦ وما بعدها وعقد له فصلاً مستقلاً . و د. محمد حسن جبل وأفرده بمؤلف سماه (حديث نزول القرآن على سبعة أحرف دراسة تحليلية) ومناع القطاع في كتابه (نزول القرآن على سبعة أحرف) وغيرها .

آراء العلماء في المراد بالأحرف السبعة :[١].

اختلفت الآراء بصدد هذا الحديث إلى خمسة وثلاثين[٢] قولا كما قال أبو حيان وذهب الإمام السيوطي إلى أن هذا الاختلاف أسفر عن أربعين قولا[٣] وذكر الإمام الزركشي بعض هذه الآراء .

الرأي الأول :

إن هذا الحديث مُشْكِل لا يُدري معناه ، لأن العرب تسمي الكلمة المنطوقة (حرفا) وتسمي القصيدة بأسرها كلمة ، والحرف يقع على المقطوع من الحروف المعجمة ، والحرف أيضاً المعنى والجهة قال تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ)[٤] أي يعبده في السراء لا في الضراء،وعلى الطريقة والوجه ، قاله أبو جعفر محمد بن سعدان النحوي[٥] .

ويمكن الرد على هذا الرأي بأن كثيرا من الصحابة كابن مسعود وأنس وابن عباس وردت عنهم آراء فيه ولو كانوا يرون أنه مشكل ما تكلموا فيه ، ونحن مطالبون بالاجتهاد بقدر ما تطيق عقولنا[٦] .

---

(١) اختصرت هذه الآراء خشية الإطالة ومن أراد المزيد فليرجع إلى كتاب : القراءات واللهجات د. عبد الوهاب حموده صـ ٦ وما بعدها وحديث نزول القرآن على سبعة أحرف د. محمد حسن جبل ، وتفسير القرطبي ٣١/١ وما بعدها والإتقان ١٣١/١ وما بعدها ، وتفسير الطبري ، ونزل القرآن على سبعة أحرف لمناع القطان صـ ٣٢ وما بعدها ، وماذا بين القراءات واللهجات د. محمد مصطفى صـ ١ وما بعدها ، والدراسات اللغوية في القراءات القرآنية د. علي عامر صـ ١٠ وما بعدها وغيرها .

(٢) البرهان ٢١٢/١ .

(٣) الإتقان ١٣١/١ .

(٤) سورة الحج من الآية (١١) .

(٥) البرهان ٢١٣/١ .

(٦) حديث أنزل القرآن على سبعة أحرف د. محمد حسن حسن جبل صـ ٢٤ .

الرأي الثاني :

إن المرادي على سبع قراءات ، وحكى عن الخليل وغيره [١]: وأصحاب هذا الرأي توهموا أن الأحرف هي القراءات ولفظ السبعة مشترك بينهما ، والحقيقة : أن لفظ (السبعة) مجرد مصادفة لأنه وقت نزول الحديث ما كانت القراءات السبعة معروفة لأن الذي سبع السبعة هو ابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ) أي في أول القرن الرابع الهجري .

يضاف إلى ذلك أنه لا يوجد في القرآن كلمة تقرأ على سبعة أوجه إلا القليل مثل : ﴿عَبَدَ الطَّاغُوت﴾[٢]، ﴿فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾[٣] كما أنه توجد كلمات تقرأ على أكثر من سبعة أوجه [٤] .

الرأي الثالث :

سبعة أنواع : كل نوع منها جزء من أجزاء القرآن بخلاف غيره من أنحائه ، فبعضها أمر ونهي ووعد ووعيد ، وقصص وحلال وحرام ، ومحكم ومتشابه وغيره [٥] ولعل أصحاب هذا الرأي قد استندوا إلى الحديث الذي رواه ابن مسعود مرفوعاً [٦] .

قال : كان الكتاب الأول نزل من باب واحد على وجه واحد ، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف زاجر وآمر ، وحلال وحرام ، ومحكم ومتشابه وأمثال ، فأحلوا حلاله ، وحرموا حرامه ، واعتبروا بأمثاله

---

(١) البرهان ٢١٣/١ .
(٢) سورة المائدة من الآية (٦٠).
(٣) سورة الإسراء من الآية (٢٣).
(٤) ينظر النشر صـ ٢٤ ودراسات في اللهجات العربية والقراءات القرآنية د. فتحي أنور صـ ١٠٠ .
(٥) البرهان ٣٢٧/١ .
(٦) حديث الأحرف السبعة دراسة تحليلية د.علي سعد عبد الحميد الخولي صـ ٩.

وآمنوا بمتشابهة ، وقولوا : ﴿ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾[1] وقال ابن عبد البر في هذا الحديث : هو حديث عند أهل العلم لا يثبت ، وهو مجمع على ضعفه [2] .

وقد رد هذا الرأي بثلاثة أوجه :

أحدهما : أن هذه السبعة غير السبعة الأحرف التي ذكرها النبي (ﷺ) في تلك الأحاديث وذلك من حيث فسرها في هذا الحديث فقال حلال وحرام إلى آخره وأمر بإحلال حلاله وتحريم حرامه إلى آخره ثم ذلك بالأمر يقول : (آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا) فدل على أن هذه غير تلك القراءات .

الثاني : أن السبعة الأحرف في هذا الحديث هي هذه المذكورة في الأحاديث الأخرى التي هي الأوجه والقراءات ويكون قوله حلال وحرام إلى آخره تفسيرا للسبعة الأبواب .

الثالث : أن يكون قوله حلال وحرام إلى آخره لا تعلق له بالسبعة الأحرف ولا بالسبعة الأبواب بل إخبار عن القرآن : أي هو كذا وكذا واتفق كونه بصفات سبع كذلك [3] .

الرابع : أن المراد سبع لغات لسبع قبائل من العرب وهو قول أبي عبيد القاسم بن سلام ، وأحمد بن يحيى ثعلب وحكاه ابن دريد عن أبي حاتم السجستاني ، وحكاه بعضهم عن القاضي أبي بكر وقال الأزهري في التهذيب إنه المختار واحتج بقول عثمان حين أمرهم بكتب المصاحف :

---

(١) سورة آل عمران من الآية (٧) .

(٢) البرهان ٢١٦/١ .

(٣) النشر ٢٥/١ .

وما اختلفتم أنتم وزيد فاكتبوه بلغة قريش ، فإنه ما نزل بلسانهم وكذلك هو رأي البيهقي،وابن قتيبة على اختلاف بين هذه الآراء في تحديد السبع [(١)] .

وقد رد على هذا الرأي :

بأن لغات العرب أكثر من سبعة وأجيب عن ذلك بأن المراد أفصحها ، وقد روي عن ابن عباس أنه قال : نزل القرآن على سبعة لغات منها " مس " بلغة العجز من هوازن ، قال : العجز سعد بن بكر وجشم بن بكر ، ونصر بن معاوية ، وثقيف يقال لهم : عليا هوازن ، ولهذا قال أبو عمرو بن العلاء : أفصح العرب عليا هوازن ، وسفلي تميم ، يعني بني درام وقال أبو حاتم السجستاني : نزل بلغة قريش وهذيل وتميم والأزد وربيعة وهوازن ، وسعد بن بكر ، وقال أبو عبيد : ليس المراد أن كل كلمة تقرأ على سبع لغات ، بل اللغات السبع مفرقة فيه ، فبعضه بلغة قريش ، وبعضه بلغة هذيل ، وبعضه بلغة هوازن ، وبعضه بلغة اليمن وغيرهم .

ونقل أبو شامة عن بعض الشيوخ أنه قال : أنزل القرآن أولا بلسان قريش ومن جاورهم من العرب الفصحاء ، ثم أبيح للعرب أن يقرءوه بلغاتهم التي جرت عاداته باستعمالها عن اختلافهم في الألفاظ والإعراب ولم يكلف أحداً منهم الانتقال عن لغته ، إلى لغة أخرى للمشقة .

واستشكل على هذا الرأي أنه يلزم عليه أن جبريل كان يلفظ باللفظ الواحد سبع مرات ، وأجيب عن ذلك بأنه إنما يلزم هذا لو اجتمعت الأحرف السبعة في لفظ واحد وأن جبريل كان يأتي في كل عرضه بحرف إلى أن تمت سبعة .

---

(١) ينظر البرهان ٢١٨/١ ، وفتح الباري ٦٤١/٨ وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة صـ ٣٤ . وحديث الأحرف السبعة صـ ١٢ .

وأخيرا فقد رد هذا القول بأن عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم كلاهما قرشي من لغة واحدة ، وقبيلة واحدة وقد اختلفت قراءتهما ومحال أن ينكر عليه عمر لغته فدل هذا على أن المراد بالأحرف السبعة غير اللغات [١] .

الخامس : أن المراد سبعة أوجه من المعاني المتفقة بالألفاظ المختلفة نحو أقبل ، وهلم ، وتعال ، وعجل ، وأسرع ، وأنظر ، وأخر ، وأمهل ، ونحوه ، وكاللغات في أف ونحو ذلك .

قال ابن عبد البر : (وعلى هذا أكثر أهل العلم ، وأنكروا على من قال : إنها لغة ، لأن العرب لا تركب لغة بعضها بعضا ، ومحال أن يقرئ النبي (ﷺ) أحدا بغير لغته ، وأسند عن أبي كعب أنه كان يقرأ : (كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ) [٢] (سعوا فيه) فقال : فهذا معنى السبعة الأحرف المذكورة في الأحاديث عند جمهور أهل الفقه والحديث ... وروي ذلك عن ابن مسعود وأبي بن كعب أنه كان يقرأ (لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُوا) [٣] (أمهلونا) ، (أرقبونا) (أخرونا) ،(كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ) (مروا فيه) ، (سعوا فيه) واحتج أصحاب هذا الرأي بحديث سليمان بن صرد عن أبي بن كعب قال : قرأ أبي آيه وقرأ ابن مسعود آية خلافها ، وقرأ رجل آخر خلافهما ، فأتيت النبي (ﷺ) فقلت ألم تقرأ آية كذا ؟ وقال ابن مسعود : ألف تقرأ آية كذا ؟ فقال كلكم محسن مجمل .

وقال : يا أبي : إني أقرئت القرآن فقلت : على حرف أو حرفين ؟ فقال الملك : على حرفين ، فقلت على حرفين أو ثلاثة فقال على ثلاثة ،

---

(١) ينظر الإتقان ١/١٦٨ – ١٧٠ .

(٢) سورة البقرة من الآية ٢٠.

(٣) سورة الحديد من الآية ١٣.

هكذا حتى بلغ سبعة أحرف ، ليس فيها إلا شاف كاف . قلت : غفورا رحيماً ، أو قلت : سميعا حكيما أو قلت عليما حكيما ، أو قلت عزيزا حكيماً أي ذلك قلت فإنه كذلك [١] .

ويمكن القول بأن :

١- الحديث السابق الذي استشهد به أصحاب هذا الرأي يناقض الحديث المروى عن ابن مسعود ، والذي احتج به البيهقي في شعب الإيمان يقول ابن مسعود : سمعت القراء فوجدتهم متضاربين ، اقرءوا كما علمتم ، وإياكم والتنطع ، فإنما هو كقول أحدكم : هلم وتعال ، وأقبل .

وإذا ما أرنا أن نوفق بين الحديثين فلا يكون ذلك إلا إذا قلنا : إن التيسير كان في بداية الأمر ثم نسخ ، أو أن الحديث الذي استشهد به أصحاب هذا الرأي يكون المقصود به القراءات التي كان الغرض منها التيسير ، كما قال أبو عبيد في كتاب فضائل القرآن : (إن القصد من القراءة الشاذة تفسير القراءة المشهورة وتبيين معانيها ، وذلك كقراءة عائشة وحفصة : (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى صلاة العصر) [٢] .

وكقراءة ابن مسعود : [٣] (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أيمانهما) [٤] .

٢- يبدو أن أصحاب هذا الرأي كانوا يرون أن الإنسان يجوز له أن يقرأ بالمرادف دون سماع ، ولكن الأمر كان خلاف ذلك ، فقد كان أمر سماع عن الرسول (ﷺ) بدليل ما روي عن ابن مسعود أنه قال : (من قرأ

---

(١) ينظر : البرهان ١/٢٢٠ ، ٢٢١ ، والإتقان ١/١٦٧ ، ١٦٨ .
(٢) الآية من البقرة (٢٣٢) .
(٣) الآية من المائدة (٣٨) .
(٤) البرهان ١/٣٣٦ .

منكم على حرف فلا يتحولن ، ولو أعلم أحدا أعلم بكتاب الله مني لأتيته) [١] .

ومما يوضح لنا بجلاء أن أصحاب هذا الرأي كانوا يرون القراءة بالمرادف دون سماع ما ذكره الطبري في الرد عليهم إذ يقول : (مع أن المتدبر إذا تدبر قول هذا القائل في تأويله قول النبي – صلى الله عليه وسلم – (أنزل القرآن على سبعة أحرف) وادعائه أن معنى ذلك أنها سبع لغات متفرقة في جميع القرآن ثم يجمع بين قيله ذلك ، واعتلاله لقيله ذلك بالأخبار التي رويت عمن روي ذلك عنه من الصحابة والتابعين أنه قال هو بمنزلة قولك : تعال ، وهلم ، وأقبل ، وأن بعضهم قال هو بمنزلة قراءة عبد الله (إلا زقْيه) وهي في قراءتنا : (إلا صيحة) [٢] وما أشبه ذلك من حججه ، علم أن حججه مفسدة ، في ذلك مقالته ، وأن مقالته فيه مضادة حججه ، لأن الذي نزل به القرآن عنده إحدى القراءتين إما (صيحة) وإما (زقيه) وإما (تعال) أو (أقل) أو (هلم) لا جميع ذلك ، لأن كل لغة من اللغات السبع عنده في كلمة أو حرف من القرآن غير الكلمة أو الحرف الذي فيه اللغة [٣] .

فنلاحظ أن الطبري يرى أن الذي سمع عن الرسول (ﷺ) أحد المترادفات لا كلها وهذا مما يبطل رأي القائلين بذلك .

ورد ابن حجر هذا الرأي بقوله : (إن الإباحة المذكورة لم تقع بالتشهي ، أي أن كل أحد يغير الكلمة بمرادفها فهي لغته ، بل المراعي

---

(١) جامع البيان للطبري ٥١/١ .
(٢) من الآية ٢٩ من سورة يس .
(٣) جامع البيان للطبري ٥٧/١ .

ذلك السماع من النبي (ﷺ) [1] وإذا كانت هناك تجاوزات حدثت فكانت تقابل بالإنكار ، ومن ثم كان إنكار عمر علي ابن مسعود ، يقول ابن حجر : لكن ثبت عن غير واحد من الصحابة أنه كان يقرأ بالمرادف ، ولو لم يكن مسموعاً له ، ومن ثم أنكر عمر علي ابن مسعود قراءته : (عتى حين) أي (حتى حين) وكتب إليه : إن القرآن لم ينزل بلغة هديل فأقرئ الناس بلغة قريش . وكان ذلك قبل أن يجمع عثمان الناس على قراءة واحدة [2] .

الرأي السادس :

ليس المراد بالسبعة حقيقة العدد بحيث لا يزيد ولا ينقص بل المراد التيسير والتسهيل والسعة ولفظ (السبعة) يطلق على إرادة الكثرة في الآحاد ، كما يطلق (السبعون) في العشرات والسبعمائة في المئين ، ولا يراد العدد المعين . وهذا رأي بعض العلماء كغياض ومن تبعه .

ولا يسلم هذا الرأي من الرد عليه ، لأن روايات الحديث تؤكد أن العدد مراد ومحدد بدليل رواية ابن عباس في الصحيحين أن رسول الله (ﷺ) قال : (أقرأني جبريل على حرف ، فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهي إلى سبعة أحرف) [3] وفي حديث أبي عند مسلم : (إن ربي أرسل إلى أن أقرأ القرآن على حرف فرددت إليه : أن هون على

---

(١) فتح الباري ٦٤٤/٨ .

(٢) نفسه .

(٣) أخرجه البخاري في فضائل القرآن / باب أنزل القرآن على سبعة أحرف (٦٣٩/٨/ ٤٩٩١- الفتح) ومسلم في الصلاة / باب بيان أن القرآن على سبع أحرف وبيان معناه (١٠١/٦- النووي) وأحمد في مسنده (٢٦٣/١- ٢٦٤، ٢٩٩، ٣١٣) .

أمتي ، فأرسل إلى : أن أقرأ على حرفين ، فرددت إليه : أن هون على أمتي ، فأرسل إلى أن أقرأ على سبعة أحرف) [١] .

وفي لفظ عنه عند النسائي : (إن جبريل وميكائيل أتياني ، فقعد جبريل عن يميني وميكائيل عن يساري ، فقال جبريل : اقرأ القرآن على حرف ، فقال ميكائيل : استزده ... حتى بلغ سبعة أحرف) [٢] ، وفي حديث أبي بكرة عنه : (فنظرت إلى ميكائيل فسكت . فعلمت أنه قد انتهت العدة) [٣] فهذا يدل على إرادة حقيقة العدد وانحصاره [٤] .

وبعد فأي هذه الآراء نرجح ؟

إن الناظر للآراء التي فسرت الحديث يرى أن الرأي الراجح هو الرأي القائل : بأنها سبع لغات لما يلي :

١- هناك أحاديث صريحة في أسلوبها توضح أن الخلاف كان في اللغة منها :

أ- ما رواه الطبري عن أبي العالية قال : قرأ على رسول الله (ﷺ) من كل خمس رجل فاختلفوا في اللغة ، فرضي قراءتهم كلهم ، فكان بنو تميم أعرب القوم [٥] .

---

(١) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين / باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف (١٠١/٦/ ١٠٢ النووي) ، وأحمد في (مسنده) ١٢٧/٥ .

(٢) أخرجه النسائي في (الكبير) في فضائل القرآن / باب على كم نزل القرآن (٧٩٨٦/٥/٥) .

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٤١/٥، ٥١ وابن أبي شيبة في مصنفه ١٨٢/٧ .

(٤) الإتقان ١٦٤/١، ١٦٥ والنشر ٢٥/١، ٢٦ .

(٥) جامع البيان ٤٥/١ وينظر حديث الأحرف السبعة / ٢٣ .

ب- ما روي عن أنس بن مالك أن عثمان قال للنفر الذين كلفوا بكتابة القرآن : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في عربية من عربية القرآن فاكتبوها بلسان قريش [١] .

جـ- وفي جمال القراء عن صفوان بن عسال ، أنه سمع رسول الله (ﷺ) يقرأ : (يايحي) [٢] بالإمالة فقيل له يا رسول الله تميل وليس هي لغة قريش ؟ فقال : هي لغة الأخوال بني سعد [٣] .

ومن المعروف أن الإمالة لغة عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس [٤] .

د- ما روي عن علي بن أبي طالب (ﷺ) أنه قرأ على المنبر : (ونادوا يا مال) [٥] بالترخيم - فقيل له : يا مالك فقال : تلك لغة وهذه أخرى [٦] .

هـ - أنكر عمر علي ابن مسعود قراءته (عتي حين) وكتب إليه : (إن القرآن لم ينزل بلغة هذيل فأقرئ الناس بلغة قريش) [٧] .

٢- أما ما اعترض به على هذا الرأي بأن هشام بن حكيم وعمر بن الخطاب كانا من قبيلة واحدة فمحال أن يكونا من قبيلة واحدة ويختلفا في اللغة .

---

(١) فتح الباري ٦٢٥/٨ .
(٢) من الآية / ١٢ من سورة مريم .
(٣) الإتقان ٢٥٦/١ .
(٤) الإتقان ١٥٥/١ .
(٥) من الآية ١٣٥ من سورة الزخرف .
(٦) مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه / ١٣٦ .
(٧) فتح الباري ٦٤٥/٨ .

فيمكن القول : بأن هذا لا يعد مأخذا على أصحاب هذا الرأي ، بل حجة مقوية لهم ، وذلك لأن الرسول (ﷺ) صوب قراءتيهما ، ومحال أن يصوب الرسول خلاف أحكام ، مما يدل على أن الخلاف كان خلافا لهجيا ، وتمسك كل واحد منهما بقراءة سمعها من الرسول (ﷺ) تخالف قراءة الآخر في النطق واللهجة تبعا للقراءة [1] .

٣- كثرة الآراء القائلة بهذا الرأي ، فلقد ذكر السيوطي في الإتقان ثمانية آراء تقول بهذا الرأي :

الأول : أن المراد سبع لغات ، وإلى هذا ذهب أبو عبيد وثعلب والأزهري وآخرون ، واختاره ابن عطية ، وصححه البيهقي في الشعب [2] .

الثاني : سبع لغات ، منها خمس من هوازن ، واثنتان لسائر العرب .

الثالث : سبع لغات متفرقة لجميع العرب ، كل حرف منها لقبيلة مشهورة .

الرابع : سبع لغات ، أربع لعجز هوازن : سعد بن بكر وجشم بن بكر ونسر بن معاوية ، وثلاث لقريش .

الخامس : سبع لغات لغة قريش ، ولغة لليمن ، ولغة لجرهم ، ولغة لهوازن ، ولغة لقُضاعة ، ولغة لتميم ، ولغة لطيئ .

السادس : لغة الكعبيين : كعب بن عمرو، وكعب بن لؤيّ ، ولهما سبع لغات .

السابع : اللغات المختلفة لأحياء العرب في معنى واحد ، مثل هلم وهات وتعال وأقبل .

الثامن : همز ، وإمالة ، وفتح وكسر ، وتفخيم ، ومد ، وقصر [3] .

---

(١) حديث الأحرف السبعة ٢٥ .

(٢) الإتقان ١٦٨/١ .

(٣) الإتقان ١٧٣/١ .

فهذه الآراء كلها تؤيد الرأي القائل : بأن الخلاف خلاف لهجي ، ويضاف إليها الرأي القائل بالقراءة بالمرادف مثل (هلم) و (تعال) على أساس أن القراءة متواترة ، وعلى أساس أن الترادف نشأ في اللغة من قبيل اختلاف اللهجات [1] .

أوجه اختلاف الأحرف السبعة

يمكننا أن نرجع اختلاف القراءات إلى سبعة أوجه :

الأول : الاختلاف في إعراب الكلمة ، أو في حركة بنائها بما لا يزيلها عن صورتها في الكتاب ولا يغير معناها نحو قوله تعالى : (هؤلاء بناتي أطهر لكم) [2] (وأطهَرَ لكم) ، (ويأمرون الناس بالبخل) [3] و(البَخَل) قال مكي القيسي البُخْل والبَخَل لغات .

الثاني : الاختلاف في وجوه الإعراب سواء تغيير المعنى أم لم يتغير فمما تغير المعنى مثل قوله تعالى : (فتلقى آدم من ربه كلمات) [4] فقد قرئ : (فتلقى آدمَ من ربه كلماتٌ) [5] ومما لم يتغير فيه المعنى مثل قوله تعالى : (ولا يضار كاتب ولا شهيد) [6] فقد قرئ (ولا يضار) [7] .

---

(١) حديث الأحرف السبعة / ٣٦ .

(٢) الآية ٧٨ من سورة هود والقراءة الثانية لعيسى بن عمر ، وقال أبو عمرو ابن العلاء من قرأ (هن أطهر) بالفتح فقد تربع في الجنة ينظر مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه / ٦٠ .

(٣) الآية ٣٧ من سورة النساء وقرأ عيسى بن عمر البُخُل بضمتين مختصر في شواذ القرآن / ٢٦ وقرأ حمزة من السبعة بفتحتين ، وقرأ الباقون بضم الباء وإسكان الخاء ينظر الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ٣٨٩/١ .

(٤) البقرة من الآية / ٣٧ .

(٥) الإتحاف صـ ١٣٤ .

(٦) سورة البقرة من الآية (٢٨٢) .

(٧) برفع الراء على النفي الإتحاف صـ ١٦٦ .

الثالث : الاختلاف في حروف الكلمة دون إعرابها بما يغير معناها ولا يزيل صورتها نحو قوله تعالى : (وانظروا إلى العظام كيف ننشزها)[١] و (ننشرها)[٢] .

الرابع : الاختلاف في الكلمة بما يغير صورتها في الكتابة ولا يغير معناها نحو قوله تعالى :[٣] (إن كانت إلا زقية وصيحة)[٤] .

الخامس : الاختلاف في الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها نحو قوله تعالى : (وطلع منضود) في موضع (وطلح مضود)[٥] .

السادس : الاختلاف بالتقديم والتأخير نحو قوله تعالى :(فَيَقْتُولون ، ويُقْتَلُون) قرئ : (فيقتلون ويقتلون)[٦] ، ففي القراءة الأولى يسرع المؤمنون إلى قتل الأعداء وفي القراءة الثانية يتلهفون إلى ساحة المعركة تلهفا لعل الله يتخذهم شهداء وإن اختلفت صياغة التعبير بالقراءتين فالمعنى فيهما متقارب[٧] .

السابع : الاختلاف بالزيادة والنقصان نحو قوله : (وما عملت أيديهم) ، (وما عملته أيديهم)[٨] .

---

(١) البقرة من الآية / ٢٥٩ .

(٢) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب : (نُنْشِرُها) بالراء ، وقرأ الباقون (نُنْشِزُها) بالزاي ينظر معاني القراءات لأبي منصور الأزهري ٢٢٢/١ .

(٣) الآية / ١٩ من سورة الواقعة .

(٤) (زُقْيَة) قراءة ابن مسعود وعبد الرحمن الأسود ، مختصر في شواذ القرآن / ٢٢٥ والمحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات لابن جني ٢٠٧/٢، ٢٠٨ .

(٥) الآية ١٩ سورة ق القراءة الأولي لعلى بن أبي طالب على المنبر ، فقيل له ، أفلا تغيره في المصحف، قال : ما ينبغي للقرآن أن يهاج أي لا يغير . ينظر مختصر في شواذ القرآن / ١٥١ .

(٦) التوبة من الآية / ١١١ ، وينظر : الكشاف للزمخشري ١٧٣/٢ .

(٧) ينظر دراسات في اللهجات العربية والقراءات القرآنية د.فتحي أنور عبد المجيد صـ ١٠٧ .

(٨) سورة يس من الآية (٣٥) . وقرأ أبو بكر وحمزة والكسائي بغير هاء والباقون بالهاء على الأصل . الكشف عن وجوه القراءات السبع ٢١٦/١ .

الحكمة من نزول القرآن على سبعة أحرف :

إن الله سبحانه وتعالى جعل لكل شيء خلقه وأحدثه لحكمة وراء وجوده ، وربما خفيت علينا حكمة بعض الأشياء ولا نعلمها ، ولكن الله يعلم حكمة كل شيء ، وبعد عرض حديث نزول القرآن على سبعة أحرف ، وآراء العلماء فيه ، وبعد ثبوت أن الحديث صحيح ، تتضح عدة أمور وراء الحكمة في نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف وتتلخص هذه الأمور فيما يلي:

١- تيسير القراءة والحفظ على قوم أميين لكل قبيل منهم لسان ، ولا عهد لهم بحفظ الشرائع ، فضلاً عن أن يكون ذلك مما ألفوه ، وهذه الحكمة نصَّت عليها الأحاديث في عبارات :

عن أُبَيّ قال : " لقي رسول الله (ﷺ) جبريل عند أحجار المراء فقال :" إني بُعِثْتُ إلى أُمة أُميين ، منهم الغلام ، والخادم ، والشيخ العاس ، والعجوز ، فقال جبريل : فليقرءوا القرآن على سبعة أحرف "[1].

" إنَّ هذا القرآن أُنزِلَ على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيَّسر منه " .

" إن الله يأمرك أن تقرأ أُمتك القرآن على حرف ، فقال : أسأل الله معافاته ومغفرته ، وإن أُمتي لا تطيق ذلك " .

" إن الله أمرني أن أقرأ القرآن على حرف ، فقلتُ : اللهم رَبِّ خَفِّفْ عن أُمتي " .

" أن أقرأ القرآن على حرف ، فرددت عليه : أن هَوِّن على أُمتي " .

قال ابن قتيبة : " ولو أن كل فريق من هؤلاء – أي من قبائل العرب – أُمِرَ أن يزول عن لغته وما جرى عليه اعتياده طفلاً وناشئاً وكهلاً

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والترمذي والطبري بإسناد صحيح ، وأحجار المراء : موضع بقباء ، وعسا الشيخ : كبر وأسنّ وضعف .

لاشتد ذلك عليه ، وعظمت المحنة فيه ، ولم يمكنه إلاَّ بعد رياضة للنفس طويلة ، وتذليل للسان ، وقطع للعادة ، فأراد الله – برحمته ولطفه – أن يجعل لهم متسعاً في اللُّغات ، ومتصرفاً في الحركات ، كتيسيره عليهم في الدين حين أجاز لهم على لسان رسوله (ﷺ) أن يأخذوا باختلاف العلماء من صحابته في فرائضهم وأحكامهم ، وصلاتهم وصيامهم ، وزكاتهم وحجهم ، وطلاقهم وعتقهم ، وسائر أمور دينهم " (١) .

وقال أبو جعفر الطحاوي : " كانت هذه السبعة للناس في الحروف لعجزهم عن أخذ القرآن على غيرها ، لأنهم كانوا أُميين ، لا يكتبون إلاَّ القليل منهم ، فكان يشق على كل ذي لُغة منهم أن يتحوَّل إلى غيرها من اللُّغات ، ولو رام ذلك لم يتهيأ له إلا بمشقة عظيمة ، فَوُسِّعَ لهم في اختلاف الألفاظ إذا كان المعنى متفقاً ، فكانوا كذلك ، حتى كثر مَن يكتب منهم ، وحتى عادت لغاتهم إلى لسان رسول الله (ﷺ) ، فقرءوا بذلك على تحفظ ألفاظه ، ولم يسعهم حينئذ أن يقرءوا بخلافها ، وبان بما ذكرنا أن تلك السبعة الأحرف إنما كانت في وقت خاص ، لضرورة دعت إلى ذلك ، ثم ارتفعت تلك الضرورة ، فارتفع حكم هذه السبعة الأحرف ، وعاد ما يقرأ به القرآن إلى حرف واحد " .

قال أبو عمر : " وهو الذي عليه الناس في مصاحفهم وقراءاتهم من بين سائر الحروف ، لأن عثمان – رضي الله عنه – جمع المصاحف عليه " قال : " وهذا الذي عليه جماعة الفقهاء فيما يُقطع عليه ، وتجوز الصلاة به ، وبالله العصمة والهُدى " (٢) .

---

(١) تأويل مشكل القرآن صـ٣ .

(٢) المحرر الوجيز ص ١٠٦ – ١٠٧ .

فالواضح من ذلك أن يكون الله تعالى أنزل القرآن بلغة قريش ومَن جاورهم من فصحاء العرب ، ثم أباح للعرب المخاطَبين به المُنزَل عليهم أن يقرءوه بلغاتهم التي جرت عادتهم باستعمالها ، على اختلافهم في الألفاظ ، واتفاقهم في المعنى ، ولم يُكلِّف بعضهم الانتقال من لُغة إلى غيرها لمشقة ذلك عليهم ، ولأن العربي إذا فارَقَ لغته التي طُبِعَ عليها يدخل عليه الحَمِيَّة من ذلك ، فتأخذه العِزَّة ، فجعلهم يقرءونه على عاداتهم وطباعهم ولغاتهم مَنّاً منه عَزَّ وجَلَّ لئلا يكلفهم ما يشق عليهم ، فيتباعدوا عن الإذعان ، وكان الأصل على ما عهد رسول الله (ﷺ) من الألفاظ والإعراب جميعاً مع اتفاق المعنى ، فمن أجل ذلك جاء في القرآن ألفاظ مخالفة ألفاظ المصحف المُجمَع عليه ، كالصوف ، وهو : { العِهْن } [1] ، وزقية ، وهي : { صَيْحَة } [2] ، وحططنا ، وهي : { وَضَعْنَا } [3] ، وحطب جهنم ، وهي : { حَصَبُ } [4] ونحو ذلك ، فقُبِضَ رسول الله (ﷺ) ، وكل رجل منهم متمسك بما أجازه به (ﷺ) ، وإن كان مخالفاً لقراءة صاحبه في اللَّفظ ، وعوَّل المهاجرون والأنصار ومَن تبعهم على العرضة الأخيرة التي عرضها رسول الله (ﷺ) على جبريل عليه السلام في العام الذي قُبِضَ فيه ، وهي التي كُتِبَ بها مصحف عثمان .

٢- تيسير قراءة القرآن على المسلمين جميعاً في كل عصر : فالإسلام هو دين الله للبَشرية كافة ، ولم تكن رسالة نبينا محمد – صلى الله عليه

---

(١) سورة القارعة من الآية (٥) .
(٢) سورة يس من الآية (٢٩) .
(٣) سورة الشرح من الآية (٢) .
(٤) سورة الأنبياء من الآية (٩٨) .

وسلم – لجنس دون جنس ، ولا لوطن دون وطن ، بل كانت رسالته للإنسانية كلها على اختلاف الجنس والوطن واللُغة { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً } (١) .

والقرآن الكريم هو دستور الإسلام ، وكلام الله المُنزَّل على رسوله (ﷺ) ، ليبلغه للناس { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ } (٢) .

وإذا كانت حكمة نزول القرآن علي سبعة أحرف تتجلى في تيسير الله تعالى لنبيه بأن يُقرئ كل أمة بلغتهم على اختلاف اللهجات العربية ، أما يوحي هذا بأن نتجاوز عن بعض الخلافات الصوتية اليسيرة لدي جميع المسلمين في بقاع الأرض ، عرباً وعجَماً ما دام كل واحد منهم يبذل غاية جهده في النطق الصحيح ، ولا يقدر على غيره ، دون إخلال جوهري باللَّفظ العربي ، أو لحن فاحش لا يُغتفر ؟

إنني لا أري بأساً بهذا إذا كان لا يعدو النواحي الصوتية ، من اختلاف في مخرج الصوت ، وتباين في صفته ، بين جهر وهمس ، أو شدة ورخاوة ، أو تباين في موضع النبر من الكلمة ، أو مقاييس أصوات اللين ، إلى غير ذلك مما يُعرف في علم الأصوات اللُّغوية ، لأن لكل شعب من الشعوب صفات صوتية تميِّزه .

والإسلام يفرض على المسلمين جميعاً لا على العرب وحدهم قراءة بعض آيات القرآن بالعربية في صلاتهم ، فإذا انحرفت الألسنة بعض الانحراف عن النُطق الصحيح لمشقة وعُسر ، فإن هذا يكون معفواً عنه ، متى

---

(١) سورة سبأ من الآية(٢٨) .

(٢) سورة المائدة من الآية (٦٧) .

صدرت تلك القراءات عن قلب طاهر ، وإيمان قوي ، وبذل الجهد في تحري الصواب ، إذ لا يُكَلِّف اللهُ نفساً إلا وسعها .

والتفاوت الصوتي في النُطق قد نجده بين أبناء اللُّغة الواحدة إذا اختلفت البيئة ، ولا نعد ذلك لحناً ، فكيف بأبناء اللُّغات والبيئات في أصقاع الأرض من المسلمين ؟

والخلافات الصوتية في النُطق للاعتبارات السابقة لا تعدو أن تكون قراءة فردية ، لا تكاد تجاوز بضع آيات من القرآن الكريم ، يقوم بها أفراد المسلمين في جميع أنحاء الدنيا على قدر استطاعتهم في النُطق ، وليست القراءة التي تُحتدي .

وهناك عوامل عضوية وبيئية ونفسية واجتماعية للتفاوت الصوتي بالنُطق ، كاختلاف أعضاء النُطق في بنيتها واستعدادها ، ومنهم آدائها لوظائفها ، لاختلاف الحناجر والحبال الصوتية والألسنة والحلوق وسائر أعضاء النُطق .

وكاختلاف الشعوب وبيئتها وتنوع الخواص الطبيعية والوراثية في أعضاء النُطق وتأثرها بالبيئة .

وكاختلاف الحالات النفسية والاجتماعية التي لها أثرها على أصوات الكلمة في النُطق بها .

ولهذا كان التجاوز اليسير في القراءة أمراً مقبولاً ما توافرت دواعيه .

٣- تمييز القرآن الكريم عن غيره من الكتب السابقة : فللقرآن خصائص كثيرة ، منها أنه ميز بخصيصة نزوله بسبعة ألسن من لُغات العرب ، كل منها هو وحي الله المُنَزَّل ، وليس تفسيراً ولا تأويلاً ، أما الكتب السماوية

السابقة فنزل كل كتاب منها بلسان واحد ، وإذا عُدِلَ عنه فإنه يكون من باب الترجمة والتفسير ، وليس بالذي أنزل الله .

قال أبو جعفر الطبري : " أخبر النبي (ﷺ) عما خصَّه الله تعالى به وأمته من الفضيلة والكرامة التي لم يؤتها أحداً في تنزيله .

وذلك أن كل كتاب تقدَّم كتابنا نزوله على نبي من أنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم ، فإنما نزل بلسان واحد ، متى حُوِّلَ إلى غير اللِّسان الذي نزل به ، كان ذلك ترجمة له وتفسيراً ، لا تلاوة له على ما أ،زل الله .

وأنزل كتابنا بألسن سبعة ، بأي تلك الألسن السبعة تلاه التالي كان له تالياً على ما أنزل الله ، لا مترجماً ولا مفسراً ، حتى يحوله عن تلك الألسن السبعة إلى غيرها ، فيصير فاعل ذلك حينئذ – إذا أصاب معناه – له مترجماً ، لا تالياً على ما أنزله الله به .

فذلك معنى قول النبي (ﷺ) : " كان الكتاب الأول نزل على حرف واحد ، ونزل القرآن على سبعة أحرف " [1] .

٤- إعجاز القرآن للفطرة اللُّغوية عند العرب : فتعدد مناحي التأليف الصوتي للقرآن تعدداً يكافئ الفروع اللسانية التي عليها فِطرة اللُّغة في العرب ، حتى يستطيع كل عربي أن يوقع بأحرفه وكلماته على لحنه الفِطري ولهجة قومه مع بقاء الإعجاز الذي تحدى به الرسول (ﷺ) العرب ، ومع اليأس من معارضته ، لا يكون إعجازاً للسان دون آخر ، وإنما يكون إعجازاً للفِطرة اللُّغوية نفسها عند العرب ، وإعجاز الفِطرة اللُّغوية إعجاز لا يحده زمن ، بل يمتد دائماً مع اللغُة ما دامت هذه اللُّغة قائمة .

---

(١) مقدمة التفسير ١/ ٧٠ ، ٧١ .

٥- إعجاز القرآن في معانيه وأحكامه : فإن تقلب الصور اللَّفظية في بعض الأحرف والكلمات يعطى مزيداً من المعاني التي يدل عليها اللَّفظ ، ويتهيأ معه استنباط الأحكام التي تجعل القرآن ملائماً لكل عصر ، يلبي حاجات البَشرية ويُقيم حياتها على نهج الله الأقوم ، ولهذا احتج الفقهاء في الاستنباط والاجتهاد في معرفة الأحكام بقراءات الأحرف السبعة [1] .

---

(١) ينظر : نزول القرآن على سبعة أحرف لمناع القطان صـ ١٠١ وما بعدها .

المبحث الثالث

الرسم العثماني وما أثير حوله من خلاف

لما كان القرآن الكريم هو كتاب الله المقدس التي لا يأتيه الباطل من بين يديه من خلفه لأنه من تنزيل الحكيم الحميد ، وهو دستور المسلمين ، كانت قبلة علماء الإسلام هي الدافع عن هذا الكتاب الكريم والذود عنه والوقوف ضد كل من يحاول أن يشكك فيه أو يغير في طبيعته .

وهذا الكتاب الكريم قد اصطلحنا على قراءته بهذا الرسم العثماني الذي وصل إلينا بهذه الصورة التي نراها الآن في المصاحف ، ولكن لما كان الخط العثماني لا يطابق اللفظ فيه المكتوب في بعض الكلمات حسب الرسم الاصطلاحي فقد نشأت هذه القضية التي أثيرت حولها الآراء ، وذلك لأنه من وجهة نظر بعض العلماء أن الخط لابد أن يطابق النطق وذلك من أجل التيسير على القارئين .

ومن هنا كان السؤال الذي دار حوله اجتهادات العلماء واختلاف وجهات النظر فيما بنيهم وهو :

هل الرسم العثماني صالح لكل زمان ومكان أو أنه يجوز أن نستبدل به الرسم الإملائي الحديث ؟

ولكن ينبغي قبل أن نخوض في الحديث عن هذا الأمر يجب أن نعرف أولاً ماذا يعني الرسم ؟ فالرسم : " هو تصوير الكلمة بحروف هجائها بتقدير الابتداء بها والوقوف عليها " [1] .

---

(١) ونعني بذلك الرسم القياسي ، وأما الرسم العثماني ويقال له الاصطلاحي فهو : ما كتبت به الصحابة المصاحف وأكثره موافق لقواعد الرسم القياسي إلا أنه خالفه في أشياء وهي المدونة في التأليف . وضبط الكتاب المبين . على محمد الضباع صـ٢٧.

ويقول ابن خلدون : " وربما أضيف إلى في القراءات أيضاً فن الرسم وهو عبارة عن أو ضاع حروف القرآن في المصحف ، ورسومه الخطية " [1] .

ويعرفه ابن الجزري فيقول : " هو خط المصاحف العثمانية التي أجمع الصحابة عليها " [2] .

وأما الإجابة عن السؤال المطروح فنقول : بأن للعلماء حول هذا الموضوع آراء مختلفة وكل رأي فيها يستند إلى دليل ، ولنستعرض معاً هذه الآراء وأدلتها لتكون كلمة الفصل في النهاية قائمة على البرهان الصحيح .

الرأي الأول : رأي جمهور العلماء : وهؤلاء يرون وجوب اتباع رسم المصحف لأنه توقيفي لا مجال للاجتهاد فيه .

الرأي الثاني : ذهب بعض العلماء إلى جواز كتابه المصحف بالرسم الحديث للتيسير على القارئين .

الرأي الثالث : ذهب فريق آخر إلى التوفيق بين الرأيين السابقين فقال بجواز كتابه المصحف بالرسم الحديث للحاجة (كتعليم النشء) .

كما قلنا سابقاً بأن لكل فريق أدلة تؤيد وجهة نظره ، ولنستعرض معا هذه الأدلة ونناقشها :

---

(١) مقدمة ابن خلدون صـ ٣٠٧ .

(٢) النشر ١٢٨/٢ والقراءات اللهجات د. عبد الوهاب حموده صـ ٩٩ .

١ – المذهب التوقيفي :

وأصحاب هذا الرأي يرون وجوب اتباع رسم المصحف وهذه هي أدلتهم :

١ – أن الله تعالى قد أنزل هذا الكتاب على قلب نبيه محمد – صلى الله عليه وسلم – ، واعداً إياه بحفظه مهماً تعاقبت الأجيال وتوالت ، وهذا الحفظ يشمل عدم التغيير في صورته التي وجدناها عليه ، حيث قال عز وجل : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) . " وخبر الله تعالى يجب أن يكون صادقاً ، ويستحيل عليه الكذب ، ولا سيما أنه تعالى ، قد أكد خبر حفظه الذكر الحكيم ، بالجملة الاسمية ، وإن ، واللام ، ففيه تأكيدات ثلاث فلو لم يكن الرسم توقيفيا ، عليمه الروح الأمين بأمر الله للنبي ، لكان خبره تعالى كاذبا ، ... وهو محال إذ أن حفظ الله للذكر الحكيم ، أعم من حفظ السورة والآية ، والجملة ، والكلمة ، والحرف ... فلو كان الرسم العثماني غير توقيفي ، بأن كتبه الصحابة على ما تيسر لهم ، كما يزعم أناس ؛ لزم أن يكون الله تعالى قد أنز ل على نبيه الكلمات الآتية " يؤت ، يدع ، ستدع ، يمح ، الخ " بالباء ، والواو ، وأن يكون تعالى ، قد أنزل على نبيه (رحمت ، نعمت ... الخ) في المواضع المخصوصة بالهاء (رحمة ، نعمة ... الخ) ثم كتبها الصحابة – لجهلهم بالخط يومئذ !! – بحذف الياء ، والواو ، وبالتاء ، ثم تبعتهم في ذلك الأمة المحمدية (خطأ) نحو أربعة عشر قرناً ، فتكون الأمة الإسلامية من عهده (ﷺ) إلى اليوم ، مجمعة على حذف حروف عديدة من كلامه تعالى ، وعلى أن تبدل حروف بأخرى (تاءات محل هاءات) ليست منزلة منه – تعالى شأنه – فلو كان ذلك كذلك ؛ لكان خبره تعالى كاذبا ، وكذب خبره تعالى باطل ، فبطل ما أدى إليه ، وهو كون رسم هذه

الكلمات ، ونظائرها ، من عند الصحابة بلا توقيف نبوي . وإذا بطل هذا ثبت نقيضه ، وهو كون الرسم العثماني ليس من عند الصحابة ؛ بل بتوقيف ، وهو المطلوب "[١] .

٢- " ما ورد عن رسول الله (ﷺ) أنه قال لمعاوية - كاتب وحيه : " ألق الدواة وحرف القلم ، وانصب الباء ، وفرق السين ، ولا تعور الميم ، وحسن اله ، ومد الرحمن ، وجود الرحيم " ، ... فإن كان كتبه الوحي ، قد كتبوه على ما تيسر لهم - كما زعم فريق - فقد قرر عملهم النبي الأكرم ، وتقريره (ﷺ) ، حجة شرعية كقوله وفعله . ومن المقرر شرعا أن الزيادة في القرآن ، أو النقص منه حرام ، فرسم القرآن بما يخالف القرآن حرام "[٢] . وكذا ما ورد عن كثير من علماء الأمة من أقوال كثيرة تؤكد وجوب اتباع هذا الرسم وعدم مخالفته لأي حال من الأحوال .

" فعندما سئل الإمام مالك : أرأيت من استكتب مصحفا ، أتري أن يكتب على ما أحدثه الناس من الهجاء اليوم .. ؟ قال : لا أري ذلك : ولكن يكتب على الكتبة الأولى كتبة الوحي "[٣] . " وحكى أيضا الداني قائلا : " سئل مالك عن الحروف في القرآن الواو ، والألف ؛ أتري أن يغير من المصحف إذا وجد فيه كذلك ؟ قال : لا "[٤] .

---

(١) انظر : رسم المصحف بين المؤيدين والمعارضين . د. عبد الحي الفرماوي صـ ٢٣، ٢٥- ، سمير الطالبين على محمد الضباع صـ ٢٤، ٢٥.

(٢) رسم المصحف بين المؤيدين والمعارضين . د/ عبد الحي الفرماوي صـ ٢٦، ٢٧.

(٣) انظر : المقنع في رسم مصاحف الأمصار . الداني . تحقيق . محمد الصادق قمحاوي صـ١٩ ، سمير الطالبين صـ١٨.

(٤) الإتقان للسيوطي ١٤٦/٤، ١٤٧ .

وقال البيهقي : " من كتب مصحفاً ، فينبغي أن يحافظ على اللهجات الذي كتبوا به هذه المصاحف ، ولا يخالفهم فيه ، ولا يغير مما كتبوه شيئاً ، فإنهم كانوا أكثر علما ، وأصدق قلبا ، وأعظم أمانة منا ، فلا ينبغي أن يظن بأنفسنا استدراكا عليهم " .

وقال الإمام أحمد : يحرم مخالفة مصحف الإمام في واو أو ياء أو ألف أو غير ذلك "[1] .

ومن العلماء المحدثين أيضاً من أيد اتباع هذا الرسم وعدم مخالفته بأي حال من الأحوال ومنهم د. عبد الوهاب حمودة حين أبدي تعليقة على رأي الإمام مالك والإمام أحمد فقال : " فإذا عرفنا أن الإمام مالك ولد سنة ٩٣هـ وتوفي سنة ١٧٩ على الصحيح ، وأن الإمام أحمد ولد سنة ١٦٤هـ وتوفي سنة ٢٤١هـ فهمنا أن الأمة في القرنيين الأوليين قد أدركت مخالفة الرسم لقواعد كتابتهم ، ورغبوا في كتابة المصاحف على القواعد الكتابية ، فاستفتوا الإمام مالكاً ، فلم يفتهم بجواز ذلك ، فامتثلوا وأطاعوا وما علينا إلا اتباعهم والاقتداء بهم "[2] .

ويؤيد د. فتحي الدابولي كون الرسم توقيفياً فيقول " إن رسم المصحف توقيفي من عند رسول الله (ﷺ) وأما كونه (ﷺ) أمياً لا يكتب ولا يقرأ فقد كان ذلك قبل البعثة ، فلما جاءه الوحي يقوله : " إقرأ "[3] كان قارئا كاتباً يشير إلى ذلك قوله تعالى : وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون "[4] .

---

(١) الإتقان ١٤٦/٤، ١٤٧ .

(٢) القراءات واللهجات د. عبد الوهاب حمودة صـ١٠٢ .

(٣) سورة العلق من الآية ١ .

(٤) سورة العنكبوت من الآية ٤٨، ينظر : دراسات في اللهجات العربية د. فتحي الدابولي صـ ١١٦ . هامش ٢ من نفس الصفحة .

ويؤيد السخاوي قول الإمام مالك بقوله : والذي ذهب إليه مالك هو الحق ، إذ فيه بقاء الحالة الأولى ، إلى أن تعلمها الطبقة الأخرى بعد الأخرى ، ولا شك أن هذا هو الأحرى ، إذ في خلاف ذلك تجهيل الناس بأولية ما في الطبقة الأولى " (١) . " وفي شرح الطحاوي : ينبغي لمن أراد كتابة القرآن ، أن ينظم الكلمات كما هي في مصحف عثمان (ﷺ) لإجماع الأمة على ذلك " (٢) .

٣- قيام عثمان بن عفان – رضي الله عنه – بجمع النسخ التي كانت عند أبي بكر وعند حفصة ولم يزد على الرسم فيها شيئا ولم يغير فيها شيئا بل تركها على طبيعتها التي وجدها عليها وكان الهدف من ذلك هو جمع الناس حول نسخة واحدة لئلا يؤدي بهم الأمر إلى الالتباس والاختلاف . لذلك النسخة التي جمعها عثمان – رضي الله عنه – هي بعينها النسخة التي كانت عند أبي بكر وحفصة وهي التي كتبت بين يدي النبي – صلى الله عليه وسلم – . لذلك فالرسم العثماني هو الرسم المتبع في عصر الصحابة حتى عصر التابعين ومن ولا هم إلى يومنا هذا . " ولم يثبت أن أحداً من هؤلاء جميعاً ، حدثته نفسه بتغيير هجاء المصاحف ، ورسمها الذي كتبت عليه أولاً ، وكتابتها برسم آخر ، يساير الرسم المحدث الذي حدث في عهد ازدهار التأليف في البصرة ، والكوفة " (٣) ، وذلك " لأننا مهما جوزنا أن تكون أية حروف ، ناقصة أو زائدة على ما في علم النبي (ﷺ) وعلى ما عنده ، وأنها ليست بوحي ، ولا من عند الله ، ولا نعلمها بعينها ، نشككنا

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن . محمد عبد العظيم الزرقاني ٣٧٩/١.
(٢) سمير الطالبين ص٢٠ .
(٣) الجمع الصوتي الأول للقرآن . د. لبيب السعيد صـ ٣٧٩.

في الجميع . ولئن جوزنا لصحابي ، أن يزيد في كتابته حرفا ليس بوحي ، لزمنا أن نجوز لصحابي آخر نقصا في حرف من الوحي ، إذ لا فرق بينهما . وحينئذ تنحل عقدة الإسلام بالكلية "(١) .

٤- من المعلوم أن للكلمة صورة واحدة تكتب بها ، ولكن وجد في الرسم العثماني كلمات يختلف رسمها باختلاف مواضعها ، ففي بعض المواضع تكتب برسم ، وفي بعضها الآخر تكتب برسم آخر ومن ذلك كلمات مثل رحمت ونعمت وسنت فإنها كتب بالتاء والهاء . وهذا الأمر يعد دليلا آخر على القول بتوقيفية هذا الرسم ، لأنه لو لم يكن كذلك لكتبت هذه الكلمات بصورة واحدة ، ولما كانت هناك مخالفة .

وذلك " نظرا لأنهم – إذا كان الرسم باصطلاحهم – سوم يسيرون في عملهم ، عند الكتابة ، على الخطة التي قد اتفقوا عليها ، أو الاصطلاح الذي ألفوه ، وغالباً ما يكون واحداً ، في القوم للمحدودين المتعاصرين ، وهم كانوا كذلك . ولكن لأنهم لا يسيرون على خطة من عند أنفسهم ، ولا يكتبون كيفما اتفق لهم – بل يتبعون إرشادات الوحي – كانت هذه المخالفات "(٢) .

ولو كان هذا الرسم باصطلاح من الصحابة ما وقع الخلاف بينهم في كتابة بعض الكلمات مثل كتابة كلمة " التابوت " التي أمرهم عثمان(ﷺ) بأن يحتكموا فيها إلى لسان قريش لأن القرآن الكريم إنما نزل بلسانهم فلذلك تكتب الكلمة بلغتهم وعلى رسمهم ، مما يوحي بأن هذا الأمر ليس

---

(١) انظر : إرشاد الجيران . محمد بن علي بن خلف الحسيني صـ٢٣، ٢٥- ١٣٤٢هـ ، الجمع الصوتي الأول للقرآن د. لبيب السعيد صـ ٢٩٧، ٢٩٨.

(٢) رسم المصحف بين المؤيدين والمعارضين . د. عبد الحي الفرماوي صـ ٣٧.

اصطلاحا من الصحابة لا غيرهم وإنما هو أمر توقيفي لا يجوز لأحد أن يزيد فيه شيئاً . فهذه الأدلة من الممكن أن تدخل تحت حيز القبول لما فيها من حفاظ على آي الذكر الحكيم ، ولكن أن يتعدى هذا الأمر إلى المبالغة في ذلك بوصف هذا الرسم بأنه يكمن وراءه أسراراً خفية ومعان لا تظهر بدونه فهذا من الغرابة بمكان ، وذلك لأن تعليل العلماء لذلك لا يتضح مع كل صورة .

فهذا هو الشيخ الضباع يصور لنا هذا الرأي فيما ذكره صاحب الإبريز عن شيخه العارف بالله عبد العزيز الدباغ أنه قال " رسم القرآن ولا شعرة واحدة . وإنما هو بتوقيف من النبي (ﷺ) وهو الذي أمرهم أن يكتبوه على الهيئة المعروفة بزيادة الألف ونقصانها ونحو ذلك ، لأسرار لا تهتدي إليها العقول إلا بفتح رباني . وهو سر من الأسرار خص الله به كتابه العزيز دون سائر الكتب السماوية فكما أن نظم القرآن معجز فرسمه معجز أيضاً وكيف تهتدي العقول إلى سر زيادة الألف في " مائة "(١) دون " فئة (٢) وإلى سر زيادة الياء في " بأييد " في قوله تعالى : " والسماء بنيناها بأيد "(٣) أم كيف تتوصل إلى سر زيادة الألف في (سعوا) من قوله تعالى : " والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم "(٤) وعدم زيادتها في قوله تعالى : " والذين سعو في آياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب من رجزاً ليم "(٥) فكل

---

(١) ومن الآيات التي جاءت فيها هذه الكلمة قوله تعالى : " فأماته الله مائة عام ثم بعثه " سورة البقرة من الآية ٢٥٩.

(٢) ومن الآيات التي جاءت فيها هذه الكلمة قوله تعالى : " كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله " سورة البقرة من الآية ٢٤٩ .

(٣) سورة الزاريات من الآية ٤٧ .

(٤) سورة الحج آية ٥١ .

(٥) سورة سبأ آية ٥ .

ذلك لأسرار إلهيه ، وأغراض نبوية ، وإنما خفيت على الناس ؛ لأنها أسرار باطنية إلا تدرك لا بالفتح الرباني ... "[(١)] . ولكن هل حقاً وراء هذا الرسم أسرار لا تظهر بدونه ؟ ولكي نجيب عن هذا السؤال لنستعرض بعضا من هذه الكلمات التي يقال إن وراء الرسم فيها أسراراً خفية لا تظهر بدونه ، لنرى وجه الصواب في ذلك .

فمثلا تحدثوا عن سر حذف الواو من بعض الأفعال ، وكان حقها أن تثبت إذ لا مسوغ لحذفها ، فقالوا : " لقد سقطت من أربعة أفعال تنبيها على سرعة وقوع الفعل ، وسهولته على الفاعل ، وشدة قبول المنفعل المتأثر به في الوجود أولها : " سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ "[(٢)] فيه سرعة الفعل ، وإجابة الزبانية ، وقوة البطش ... وثانيها : " وَيَمْحُ اللهُ الْبَاطِلَ [(٣)] " ، حذفت منه علامة على سرعة الحق ، وقبول الباطل له بسرعة بدليل قوله تعالى : " إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً "[(٤)] . وثالثها : " وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ "[(٥)] حذف الواو بدل على أنه سهل عليه ، ويسارع فيه ، كما يعمل في الخير ، وإتيان الشر إليه من جهة ذاته أقرب إليه من الخير . ورابعها : " يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ "[(٦)] . حذف الواو لسرعة الدعاء ، وسرعة الإجابة "[(٧)] وكما كان حذف الواو لسر من هذه الأسرار الكامنة وراء هذا الرسم كان أيضاً لحذف الياء سر من هذه الأسرار وهو كما أشاروا إليه : تعلق المعنى بأمر ملكوتي ، فقد حذفت في قوله

---

(١) سمير الطالبين صـ ٢٣، ٢٤.
(٢) سورة العلق آية ٨ .
(٣) سورة الشورى آية ٢٤ .
(٤) سورة الإسراء آية ٨ .
(٥) سورة الإسراء آية ١١ .
(٦) سورة القمر آية ٦ .
(٧) البرهان في علوم القرآن . الزركشي . تحقيق محمد أبو المفضل إبراهيم ٣٩٧/١، ٣٩٨-.

تعالى : (فَلا تَسْئَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) [١] ، وعلم هذا المسئول غيب ملكوتي ، بدليل قوله تعالى : ما ليس لك به علم في حين أثبت الياء في قوله تعالى (فَلاَ تَسْئَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا) كان هذا سؤالا عن حوادث الملك في مقام الشاهد كخرق السفينة ، وقتل الغلام ، وإقامة الجدار " [٢] .

فإذا كانت هذه التعليلات كما يراها أصحاب هذا الرأي فإنه يلزم من ذلك أن يكون وراء إثبات هذه الحروف المعنى المعاكس أو الضد ولكن هل يستقيم ذلك أولا ؟

" [٣] فقد ورد على تفسيرهم لحذف الواو إثباتها في قوله تعالى : " يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِت " [٤] فهل يعنى إثباتها بتأخير المحو وعدم القدرة في إزالته سريعا . كما يرد على تعليلهم لحذف الياء أنها حذفت في مواضع لا يلمح فيها شيء مما ذكروه كما في قوله تعالى : (ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ) [٥] وقوله تعالى : (قُلْ يَعِبَادِ) [٦] .

لذلك يقال عن هذا الأمر : إن الصحابة . رضوان الله عليهم – " كانوا مشغولين بمعاني القرآن الناصعة وآياته المحكمة عن تلك المعاني الفلسفية الباطنية الغامضة ، البعيدة عن روح الوضوح واليسر والتي يحتاج فهمها إلى لون معين من ألوان الثقافة ، ولم يكن الهدف الأول لتسجيل النص القرآني

---

(١) سورة هود آية ٤٦ .

(٢) البرهان في علوم القرآن . الزركشي ٣٩٩/١.

(٣) مجلة الدارة . مقال بعنوان : " رسم المصحف بين التحرز والتحرر " د. زيد عمر مصطفى صـ٨٢– العدد الثالث ١٤١٥هـ – السنة العشرون – المملكة العربية السعودية .

(٤) سورة الرعد آية ٣٩.

(٥) سورة الكهف آية ١١ .

(٦) سورة الزمر آية ٦.

سوي تمثيل ألفاظ التلاوة التي من خلالها لا من خلال الرسم تتجلى معاني القرآن العظيم ، دون أن يكون للكتابة أي دور في تحديد المعنى "[١] .

٢- المذهب الاصطلاحي :

وأصحاب هذا المذهب يرون بأن التوقيف لا دور له في هذا الرسم وإنما هو اصطلاح من الصحابة – رضوان الله عليهم – بالكتابة على طريقة ما وهي الطريقة التي كانت معروفة ومتداولة لديهم في هذا العصر ، ثم لما قام عثمان بن عفان – رضي الله عنه – بجمع النسخ أقرهم على هذا الرسم المصطلح لديهم .

لذلك قال القاضي أبو بكر عن الكتابة : " لم يفرض الله تعالى على الأمة فيها شيئاً ، إذ لم يأخذ كتاب الوحي ، وخطاط المصاحف ، رسماً بعينه ، دون غيره ، أوجبه عليهم وترك ما عداه ، إذ وجوب ذلك لا يدرك إلا بالسمع والتوقيف "[٢] .

كذلك يري ابن خلدون أن رسم المصحف اصطلاحي ، ويجوز مخالفة الرسم العثماني[٣] .

وأصحاب هذا المذهب يؤيدون رأيهم بهذه الأدلة :

١- " ليس في نصوص الكتاب ، ولا في مفهومه ، أن رسم القرآن وضبطه لا يجوز إلا على وجه مخصوص وحد محدود ولا يجوز تجاوزه ولا في نص السنة ما يوجب ذلك ويدل عليه ، ولا في إجماع الأمة ما

---

(١) مجلة الدارة . مقال : " رسم المصحف بين التحرز والتحرر " د. زيد عمر مصطفى ص٨٣.

(٢) مناهل العرفان . الزرقاني ١/٣٨٠، ٣٨١.

(٣) التبيان في تفسير غريب القرآن لابن الهائم المصري تحقيق د. فتحي الدابولي ص٢٧ هامش ٣من نفس الصفحة .

يوجب ذلك ، ولا دلت عليه القياسات الشرعية . بل السنة دلت على جواز رسمه بأي وجه سهل ، لأن رسول الله (ﷺ) كان يأمر برسمه ولم يبين لهم وجهاً معيناً ولا نهى أحداً عن كتابته . ولذلك اختلفت خطوط المصاحف ..

فكل من ادعي : أنهيجب على الناس رسم مخصوص . وجب عليه أني يقيم الحجة على دعواه ، وأني له ذلك "[١] .

٢- " لم تكن الكتابة العربية في عهود الجمع القرآني الثلاثة قد بلغت أشدها ، واستكملت نموها بعد ، بل كانت في دور الطفولة والضعف ، والتكوين ، والتدرج ، ولم يكن الكتاب حينئذ قد حذقوها ، ونضجوا في كتابتها ، ولم يكونوا مختارين فيما كتبوا ، إذ لم يكن لهم دراية بغير ذلك من قواعد الكتابة . وقد كتبوا على ما تيسر لهم معرفته "[٢] .

٣- " أن الخطوط والرسوم ليست إلا علامات وأمارات ، فكل رسم يفيد وجه القراءة فهو صحيح ، والرسم العثماني – إذ يخالف الإملاء المادي – يشق على كثير من الناس ، ويوقعهم في الحرج والالتباس "[٣] .

وبعد طرح أدلة هذا المذهب من الممكن الرد عليهم من خلال هذه الأدلة :

١- إن أدلة المذهب التوقيفي تثبت ورود نصوص في الكتاب والسنة تؤيد هذا الرسم الذي يجعله أصحاب هذا المذهب اصطلاحا من الصحابة – رضوان الله عليها ...

وأما اختلاف خطوط المصاحف " لا يسلم بعد قيام الإجماع وانعقاده ومعرفة الناس بالرسم التوقيفي وهو رسم عثمان على ما قرروه هناك "[٤] .

---

(١) مناهل العرفان . الزرقاني صـ ٣٨٠ ، ٣٨١ .
(٢) رسم المصحف بين المؤيدين والمعارضين ، د. عبد الحي الفرماوي صـ ٤٤ .
(٣) الجمع الصوتي الأول للقرآن . د. لبيب السعيد صـ ٢٩١.
(٤) مناهل العرفان ٣٨٢/١ .

٢- الحكم على الصحابة بعدم إتقان قواعد الكتابة فيه هجوم شديد عليهم وعلى مقدرتهم في الكتابة ، فهم .. على حد قول أصحاب هذا المذهب - قد أخطئوا في رسم بعض الكلمات التي لا تتفق وقواعد الرسم الحديث ، ولكن هذا الرأي خاطئ لأن الصحابة - رضوان الله عليهم - وإن كان فيهم القلة الذين يتقنون الكتابة فلا شك أن هؤلاء القلة قد سخرهم الله عز وجل لخدمة كتابه فمن المستحيل أن يخطئوا في طريقة رسمه .

" فحمل تفرد المصحف ببعض ظواهر الرسم على الخطأ في الكتابة رأي لا حظ له من الصحة ، وخصوصاً أنه مبني على القياس المقلوب ، الذي يحكم رسم المصحف إلى قواعد وضعت بعده بعشرات السنين ، بعضها ليس محل اتفاق بين أهل الشأن أنفسهم " [1] .

وهنا يجب أن نشير " بأنه لم يرد أي خبر يشير إلى صعوبات هجائية واجهت الكتبة وعجزوا فيها عن تحقيق الصورة الصحيحة لها ، غير ما ذكر من اختلافهم في رسم كلمة (التابوت) ، ونحو ذلك مما يرجع إلى اختلاف العادة التي جري عليها الكتبة في رسم تلك الكلمات دون أن يدخل ذلك في دائرة الخطأ ، ولا ينبغي لدارس الرسم العثماني إلا أن يستبعد فكرة الخطأ وهو يحاول أن يجد التفسير الصحيح لظواهر الهجاء الواردة فيه ، وأن يتوقف عن القول في ما لم يتوفر لديه فيه ما يرجح به رأياً أو يقدم به تفسيراً ، لأن جانبا كبيرا من تاريخ الكتابة العربية في تلك الفترة المتقدمة لا يزال غير معروف ، ويظل الرسم العثماني بكل ما يقدم من أمثلة وهو لرسم الكلمات خير ممثل لواقع الكتابة العربية في تلك الحقبة ، ولا شك

---

(١) مجلة الدارة . مقال " رسم المصحف بين التحرز والتحرر " د. زيد عمر مصطفى ص ٩١.

في أن أي كشف جديد في مجال النصوص القديمة المكتوبة سيزيد الحقائق الكتابية التي يقدمها الرسم تأكيداً ووضوحاً ، بعيدا عن فكرة الخطأ التي يجب أن تكون آخر احتمال في هذا المجال ، بل على الباحثين استبعاد فكرة وقوع الخطأ في هذه المرحلة من البحث ، حيث تشير كل الدلائل إلى أن ما جاء في الرسم العثماني هو واقع كتابي تميزت به الكتابة العربية في تلك الفترة " (١) .

٣- وأما العلامات والرموز التي عليها رسم المصحف ما دامت مؤيدة بوحي وإلهام فلابد من الحفاظ على صورتها حتى لا تكون عرضه للتغيير والتبديل .

٣- المذهب التوفيقي :

وأصحاب هذا الرأي يرون : أنه يجوز كتابة المصحف للعامة ، والصغار ، بالرسم الاصطلاحي الحديث ، تيسيراً عليهم ، ويكتب للعلماء بالرسم المصحفي .

فهؤلاء يرون من وجهة نظرهم أن الدارس لقواعد الإملاء الحديث : يجد صعوبة في نطق بعض الكلمات في القرآن الكريم لمخالفته لهذا الرسم فيرون أنه لابد من أجل التيسير والتسهيل على النشء والعامة أن يغير هذا الرسم بالقواعد الحديثة .

لذلك فهم يقررون كتابة القرآن للعامة بالرسم الإملائي الذي يتعارف عليه الناس ، ويرون أنه ليس معنى ذلك إهمال الرسم العثماني ؛ بل يبقي أثراً عن أسلافنا الصالحين ، يدرسه المتوفرون على البحث العامي ، ويقرره المحافظون لكتاب الله الذين يأمنون التغيير والتحريف .

---

(١) رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية . د. غانم قدوري الحمد صـ ٢٤٢.

وللاستدلال على هذا الرأي يقرر بعض الباحثين حقائق ثابتة قبل ذلك قد حدث فيها تطور وتغير ولم يقابل بالهجوم من أحد فيقول : " إن كل دعوة لإضافة أي جديد للرسم العثماني كانت تتلقى بالحرج أولا ، ولكنها على الرغم من ذلك - أخذت طريقها إلى الرسم ؛ إيمانا من القائمين بها بأن فيها بياناً وتوضيحاً ... " [١] .

" فلقد كان المصحف خالياً من النقط ، ولما اتجه بعضهم إلى نقطه رأينا من يقف دون ذلك ويقول : جردوا القرآن ولا تخلطوه بشيء ، ثم كان أن ترخص العلماء فيه ، وقالوا : العجم نور الكتاب ، وأنه لا بأس به ما لم تبغوا " [٢] .

" وبدأ أبو الأسود بالنقط في الحركات والتنوين لا غير ... وجعل الخليل بن أحمد الهمزة والتشديد والروم والإشمام وقفا الناس في ذلك أثرهما ، واتبعوا فيه سنتهما " [٣] .

ثم يقول في النهاية : " وكان الغرض من كل هذه الزيادات - التيسير ، وصيانة القرآن الكرام من اللحن والتصحيف ، وآدائه أداء فيه ضبط وتحقيق ... فإذا رأي فريق التزام الرسم العثماني حفاظاً على كتاب الله فإننا نرى عدم التقيد بالرسم العثماني في الميدان التعليمي وللقارئين - من غير توقيف - المتعبدين غير الحافظين ، صيانة القرآن من التغيير والتحريف " [٤] .

---

(١) رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات . د. عبد الفتاح شلبي صـ ١٢١ .
(٢) انظر : السابق صـ ١٢١ ، المحكم في نقط المصاحف . الداني . تحقيق . د. عزة حسن صـ ١٠ ، ١٢ .
(٣) السابق صـ ٦ .
(٤) رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات . د. عبد الفتاح شلبي صـ ١٢٢ .

ولكن هذا الرأي " إلى التلفيق أقرب منه إلى التوفيق ، لما قد يترتب عليه من مفاسد ، منها ما قد يستقر في الأذهان على مر الزمان أن هناك مصحفين مختلفين ، كما قد يؤدي إلى ضياع الرسم المصحفي ، لأن الصغار سينشأون على الرسم الحديث ، ولما كان صغار اليوم هم علماء الغد ، ورجاله ، فهذا يفضي إلى تجاهل الرسم المصحفي ، والنظر إليه على أنه جزء من التراث وحسب " [١] .

ومن هنا وبعد الرد على أصحاب المذهب الاصطلاحي والتوفيقي أرى أن المذهب التوقيفي هو الأجدر بالقبول وذلك لأن الأدلة القوية تسانده وتؤيده .

* صور المخالفة بين الرسم العثماني والرسم الاصطلاحي في سورتي : القمر والرحمن على سبيل المثال :

أما كان القياس في كتابه الكلمات يقضي بأن كل ما ينطق يكتب ، وأن الرسم العثماني يخالف ذلك في بعض الأحيان كانت هذه هي نقطة الخلاف التي احتدم الجدل عليها كما رأينا سابقاً .

ومن أجل ذلك كان تقسيم الخط على قسمين : " فمنه القياسي وهو ما طابق فيه الخط اللفظ ومنه الاصطلاحي وهو ما خالفه بزيادة ، أو حذف ، أو بدل ، أو وصل ، أو فصل " [٢] . ومعنى هذا أن نقطة الخلاف بين الرسم العثماني والإملائي الحديث تدور حول هذه الأمور الخمسة .

ولكن ما يعنينا من هذه الأمور الخمسة هو ما ذكر في السورتين ، وهما سورتا القمر والرحمن ، وبالبحث عن ذلك تبين لنا أنه لا يوجد من هذه الأمور سوي الحذف ، لذلك فسوف نقتصر في الحديث عليه .

---

(١) مجلة الدارة . مقال " رسم المصحف بين التحرز والتحرر " د. زيد عمر مصطفى صـ ٨٤ .

(٢) النشر في القراءات العشر . ابن الجزري ١٢٨/٢.

الحذف :

والحذف يعد واحداً من الأمور التي حدث الاختلاف فيها بين الرسم العثماني والإملائي وإذا كان الحال كذلك فماذا يعني الحذف ؟ وما هي طريقته في المصاحف . وللإجابة عن ذلك نقول بأن الحذف : " هو الإسقاط والإزالة " . وأما طريقته في المصاحف فقد جاءت على ثلاثة أقسام : " حذف إشارة ، وحذف اختصار ، وحذف اقتصار " .

١ – حذف الإشارة :

وأما بالنسبة لهذا النوع فإنه يأتي " موافقاً لبعض القراءات نحو : " وَإِذْ وَعَدْنَا " فقد قريء بحذف الألف وإثباتها فحذفت الألف في الخط إشارة لقراءة الحذف ولا يشترط في كونه حذف إشارة أن تكون القراءة المشار إليها متواترة بل ولو شاذة لاحتمال أن تكون غير شاذة حين كتبت المصاحف " .

٢ – حذف اختصار :

وهذا النوع من الحذف هو ما يسمى بحذف " التقليل " " وهو ما لا يختص بكلمة دون مماثلها فيصدق ما تكرر من الكلمات وما لم يتكرر منها وذلك كحذف ألف جموع السلامة كالعَلَمِين ... " .

٣ – حذف اقتصار :

وهذا النوع من الحذف " هو ما يختص بكلمة أو كلمات دون نظائرها وذلك كالميعَاد في الأنفال ، والكَفِر في الرعد ، ويَعْفُو بالنساء " .

" وربما جامع القسم الأول أحد القسمين الأخرين كَوَاعَدْنَا ... ، وربما اجتمع القسمان الأخيران وذلك حيث تتفق المصاحف على كلمة وتختلف في نظائرها فيكون اختصاراً بالنسبة إلى حذف النظير في بعض

المصاحف واقصاراً بالنسبة إلى إثباته ، وهذا كله اصطلاح لهم ، وإلا فلا يبعد إطلاق اسم الاختصار على كل "[١] .

وعندما تحدث العلماء عن المحذوف من الحروف وجدناهم يخصصون هذا الحذف خمسة حروف وهي حروف المد الثلاثة واللام والنون .

وبالبحث عن حذف هذه الحروف في السورتين وجدنا أن ما يختص بالحذف فيهما هي حروف المد الثلاثة فقط ، لذلك كان الحديث عنها .

أولا : حذف الألف :

في الحقيقة جاء حذف الألف في القرآن الكريم على قسمين :

القسم الأول : " ما يدخل تحت قاعدة ، وهو خمسة أنواع :

١- حذف ألف جمع المذكر السالم .
٢- حذف ألف جمع المؤنث السالم .
٣- حذف ألف ضمير الرفع المتصل .
٤- حذف ألف التثنية .
٥- حذف ألف الأسماء الأعجمية "[٢] .

وما جاء من حذف الألف من هذه الأنواع الخمسة بالسورتين هما نوعان فقط وهما :

١ – حذف ألف جمع المذكر السالم وتمثله لفظة: الْكَفِرُون . وذلك في سورة القمر ، وقيل هنا : بأنهم اتفقوا على الحذف من الجمع المذكر السالم الكثير الدور في المذكر والمؤنث جميعاً .

---

(١) سمير الطالبين صـ ٣١، ٣٢.
(٢) نفسه صـ ٣٢، ٣٣.

٢- حذف ألف جمع المؤنث السالم : ءَايَتِنَا . وذلك في سورة القمر . وقيل هنا : " بأنه قد اتفق الشيخان على حذف الألف من جمع المؤنث السالم إذا كان ذا ألف واحد وذلك مثل اللفظة السابقة إلا ءَايَاتِنَا الثاني والثالث بسورة يونس "[1] .

القسم الثاني : " ما لا يدخل تحت قاعدة وهو الجزئيات تكررت ام لم تتكرر "[2] وهذا النوع نحذف فيه الألف بعد جميع الحروف الهجائية ، وتيسيرا على القارئين فسوف يتم ترتيب حذف الألف بعد هذه الحروف أبجديا طبقاً لما هو موجود في السورتين .

١- حذف الألف بعد الهمزة :

ويمثل هذا الحذف : أَءُلْقِيَ بسورة القمر . وعن هذا الحذف قال أبو عمرو " وما كان من الاستفهام فيه ألفان أو ثلاث فإن الرسم ورد بلا اختلاف في شيء من المصاحف بإثبات ألف واحدة اكتفاء بها لكراهة اجتماع صورتين متفقتين فما فرق ذلك في الرسم " .

٢- حذف الألف بعد الباء :

وتمثلة لفظة : بَـٰلِغَةٌ في القمر ، تَبَـٰرَكَ في الرحمن فهم قد أجمعوا على ذا الحذف .

٣- حذف الألف بعد السين :

وتمثله لفظة : إِنْسَـٰن كيف أتي وكذا في سورة الرحمن .

٤- حذف الألف بعد الصاد :

وتمثله لفظة : أَبْصَـٰر كيف جاء ، أَبْصَـٰرِهِم في سورة القمر .

---

(١) انظر : المقنع في رسم مصاحف الأمصار صـ ٣٠ ، سمير الطالبين صـ ٣٥، ٣٦.

(٢) السابق صـ ٣٣ .

٥-حذف الألف بعد الفاء :

وتمثله لفظة : فَـٰكِهَة كما في سورة القمر ، على قول لأبي داود وعليه العمل .

٦-حذف الألف بعد اللام :

وتمثله لفظة : ضَلَـٰلٍ في سورة القمر ، ٱلْجَلَـٰلِ في سورة الرحمن .

" واعلم أنه يشترط في حذف الألف الواقع بعد اللام أن يكون ذلك في وسط الكلمة لا في آخرها وأن يكون متصلا باللام بحيث يكونان معا في كلمة تحقيقاً أو تقديراً " (١) .

٧- حذف الألف بعد الميم :

وتمثله لفظة : الرَّحْمَان ، بِسِيمَـٰهُم في البقرة والرحمن والقتال عن أبي داود .

٨- حذف الألف بعد الهاء .

وتمثله لفظة : أَيُّهَ في سورة الرحمن ، وكذا في الزخرف وثاني النور .

" وقيل هنا : كل شيء في القرآن من ذكر " أَيُّهَا " فهو بالألف إلا ثلاثة مواضع فإن الألف فيها محذوفة وهي ما سبق ذكرها " (٢) .

وتمثله لفظة : أَلْوَٰح في سورة القمر ، و بِٱلنَّوَٰصِى في سورة الرحمن وكذا ٱلسَّمَـٰوَٰت في جميع القرآن إلا في موضع واحد فإن الألف مرسومة فيه وهو قوله في فصلت ، (س ٤١ / ١٢) " سبع سَمَاوات " ، فأما الألف التي بعد الميم فمحذوفة في كل موضع بلا خلاف .

---

(١) سمير الطالبين صـ ٥٧، ٥٨ .

(٢) المقنع في رسم مصاحف الأمصار . الداني صـ ٢٨.

١٠- حذف الألف بعد الياء :

وتمثله لفظة : يَـٰمَعۡشَرَ في سورة الرحمن ، وهنا أجمع كتاب المصاحف على حذف الألف في الرسم بعد (يا) التي للنداء "[١].

ثانياً : حذف الواو :

ويمثل حذف الواو في السورتين موضعاً واحداً يوجد في سورة القمر وهو : " يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ " وفي هذا الموضع الخاص بكلمة يدع اتفق الشيخان على رسمه بهذه الصورة وذلك " بناء على أنه جمع مذكر سالم حذفت نونه للإضافة وواه للاكتفاء بالضمة "[٢].

ثالثاً : حذف الياء :

وأما بالنسبة لحذف الياء فمن الممكن أن ينطرق أحذف إلى ما يسمى بالياء الأصلية أو الزائدة ، والياء الأصلية : " هي ما كانت في مقابلة اللام التي هي ثالث أصول الكلمة في الميزان التصريفي " ، وأما الزائدة : " فهي ما زيدت على بنية الكلمة التي اتصلت هي بها "[٣].

ويمثل النوع الأول من الحذف وهو الخاص بالباء الأصلية لفظة : الدَّاعِ بالبقرة وبالقمر موضعين والجوار بالشورى والرحمن والتكوير ، : فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرِ " بسورة القمر . وهذا الأمر باتفاق شيوخ النقل .

وأما النوع الثاني من الحذف وهو الخاص بالياء الزائدة فيمثله لفظة : نُذُرِ بالقمر وقد جاء ذكرها ست مرات . وفي نهاية الحديث عن الحذف كان لابد من تكملة الفائدة وذلك بوضع جدول خاص بالكلمات

---

(١) السابق صـ ٢٥ .
(٢) سمير الطالبين صـ ٦٧.
(٣) سمير الطالبين صـ ٦٤، ٦٥ .

محل الحذف التي سبق ذكرها وذلك لبيان الرسم المتبع في المصحف وهو الرسم العثماني ثم معرفة الرسم الإملائي لها وذلك بترتيب الكلمات حسب الترتيب الألفبائي المعروف .

م	الرسم العثماني	الرسم الإملائي	المحذوف (١)
١	أَخَذْنَٰهُم	أَخَذْنَاهُمْ	الألف بعد النون
٢	ٱلْإِنسَٰن	الْإِنْسَانُ	الألف بعد السين
٣	ءَايَة	أَيُّهَا	الألف بعد الهاء
٤	بِـَٔايَٰتِنَا	بِآيَاتِنَا	الألف بعد الياء
٥	تَبَٰرَك	تَبَارَكَ	الألف بعد الباء
٦	أَبْصَٰرِهِم	أَبْصَارِهِمْ	الألف بعد الصاد
٧	بَٰلِغَةٌ	بَالِغَةٌ	الألف بعد الباء
٨	أَبْوَٰبَ	أَبْوَابَ	الألف بعد الواو
٩	تَّرَكْنَٰهَا	تَرَكْنَاهَا	الألف بعد النون
١٠	ٱلْجَلَٰلِ	الْجَلَالِ	الألف بعد اللام
١١	جَنَّٰت	جَنَّاتٍ	الألف بعد النون
١٢	نَجَّيْنَٰهُم	نَجَّيْنَاهُمْ	الألف بعد النون

١٣	ٱلۡإِحۡسَٰنِ	الْإِحْسَانِ	الألف بعد السين
١٤	وَحَمَلۡنَٰهُ	وَحَمَلْنَاهُ	الألف بعد النون
١٥	خَلَقۡنَٰهُ	خَلَقْنَاهُ	الألف بعد النون
١٦	خَيۡرَٰتٌ	خَيْرَاتٌ	الألف بعد الراء
١٧	رَٰوَدُوهُ	رَاوَدُوهُ	الألف بعد الراء
١٨	بِسُلۡطَٰنٍ	بِسُلْطَانٍ	الألف بعد الطاء
١٩	ٱلسَّمَٰوَٰتِ	السَّمَاوَاتِ	الألف بعد الواو
٢٠	بِسِيمَٰهُمۡ	بِسِيمَاهُمْ	الألف بعد الميم
٢١	صَلۡصَٰلٍ	صَلْصَالٍ	الألف بعد الصاد
٢٢	ضَلَٰلٍ	ضَلَالٍ	الألف بعد اللام
٢٣	يَٰمَعۡشَرَ	يَا مَعْشَرَ	الألف بعد الياء
٢٤	كَٱلۡأَعۡلَٰمِ	كَالْأَعْلَامِ	الألف بعد اللام
٢٥	فَٰكِهَةٌ	فَاكِهَةٌ	الألف بعد الفاء
٢٦	قَٰصِرَٰتُ	قَاصِرَاتُ	الألف بعد القاف
٢٧	مَّقۡصُورَٰتٌ	مَقْصُورَاتٌ	الألف بعد الراء

٢٨	ٱلْكَـٰفِرُونَ	الْكَافِرُونَ	الألف بعد الكاف
٢٩	أَءُلْقِى	أَأُلْقِيَ	الألف بعد الهمزة
٣٠	أَلْوَٰحِ	أَلْوَاحِ	الألف بعد الواو
٣١	بِٱلنَّوَٰصِى	بِالنَّوَاصِي	الألف بعد الواو
٣٢	وَٰحِدًا	وَاحِداً	الألف بعد الواو
٣٣	وَٰحِدَةٍ	وَاحِدَةٍ	الألف بعد الواو

الدفاع عن الرسم العثماني

في الحقيقة ما تم عرضه قبل ذلك من تفصيل في المذاهب التي قيلت حول هذا الرسم من وجوب الالتزام هذا الرسم ، ومن مخالفته : ومن التفصيل في ذلك من حيث كتابته للنشء الصغار بالرسم الحديث والاحتفاظ بالرسم العثماني للخاصة من الناس وذلك لأن هذا الأمر لا يوقع في لبس عليهم فلا يؤدي ذلك إلى حدوث الخطأ .

ولكن ما نريد إثباته هنا والتركيز عليه هو أن الالتزام بالرسم العثماني واجب علينا وجوب الالتزام بأحكامه والعمل بما فيه ، فكما أن تغيير الأحكام التي أمرنا الله عز وجل بالالتزام بها يؤدي بنا في النهاية إلى الوقوع في الحرمة فكذلك تغيير هذا الرسم يؤدي بنا إلى الوقوع في الحرمة وذلك لأسباب كثيرة منها :

١ – فتح باب التغيير في ألفاظ القرآن الكريم :

إذا كان بعض العلماء ينادون بتغيير الرسم العثماني واستبداله بالرسم الإملائي الحديث بغرض التيسير والتسهيل فإننا بذلك سوف نفتح الباب لكل من يحاول أن يشكك في القرآن الكريم ، لأنه ما دام هذا التغيير قد وصل إلى رسم ألفاظ القرآن الكريم فمن الممكن أن يسرى إلى ألفاظه ذاتها، ومن ثم إلى تغيير مفهومه ، وفي فتح الباب لهذا التغيير عرضه لكل من يحاول أن يهاجم القرآن الكريم .

وكيف يمكن تغيير هذا الرسم واستبدال الرسم الحديث به والرسم الحديث إلى الآن ليس له قواعد ثابتة ولكنها تتطور وتتغير ، وكما قال بعض الباحثين عن ذلك : " إن قواعد الإملاء العادي لم يتفق عليها واضعوها ، وهي عرضة للتغيير والتبديل ومتطورة على مدى الزمن . فواجب الحذر والتحرز يقتضي المسلمون أن ينزهوا القرآن – في رسمه – عن قواعد مختلف فيها ، ومطلوب تغييرها ، ويحتمل أن يؤثم المسلمون بعضهم بعضا بسببها "[1] .

فهذه المحاولة إذا قدمت فسوف تكون محاولة لا جدوى منها ولا سبيل إلى نجاحها بل سوف نجلب على أنفسنا بهذا العمل متاعب كثيرة لا نستطيع لها دفعاً ولا رداً .

" فلو لم نلتزم باتباع رسم المصحف ، وتركناه يخضع لقواعد الإملاء العادي ، ويسير في تيارها ، لكان اختلاف المسلمين في نصوص القرآن الكريم ، أمراً محتملاً ، بل قريب الوقوع . ولكان السبيل إلى تحريف القرآن الكريم ممهداً في طيات هذا التجدد في قواعد الإملاء ... "[2] .

---

(١) الجمع الصوتي الأول للقرآن . د. لبيب سعيد صـ ٣٠١، ٣٠٢ .

(٢) رسم المصحف بين المؤيدين والمعارضين د. عبد الحي الفرماوي صـ ٧١ .

٢- توحيد صفوف الأمة الإسلامية :

إن اتباع هذا الرسم ، والالتزام به ، في جميع بقاع الأرض ، رمز صادق ، وتجسيد حي ، لوحدة صف المسلمين ، واتفاقهم على رسم كلمات ربهم ، وامتثالهم لقوله تعالى : " وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا " (١) .

" ولا يخفى ما في كتابه المصحف برسمين - كما ينادي بعضهم - من تمزيق للصف ، وخلق للحزبية ، وتنمية للطائفية " (٢) .

٣- الحفاظ على الآداء :

" جواز أن يقضي تغيير الرسم القرآني إلى هدم كثير من علوم الأداء قياساً على هدمه ، بدعوى سهوله التناول للعموم " (٣) .

" واتباع حروف المصحف عندنا كالسنن القائمة التي لا يجوز لأحد أن يتعداها " .

٤- الحفاظ على الأمانة التي وصلت إلينا :

إن القرآن الكريم قد وصل إلينا بهذا الرسم العثماني فكيف نظن بأنفسنا أن نغير أو نبدل من طبيعة هذا الرسم ، فطبيعة هذا الرسم ليست خاضعة للتغير والتطور الذي مر بنا بل يجب الحفاظ على صورته التي وصلت إلينا .

" لذلك قال البيهقيَ في شعب الإيمان : من يكتب مصحفاً فينبغي أن يحافظ على الهجاء ، الذي كتبوا به تلك المصاحف ، ولا يخالفهم فيه ولا يغير مما كتبوه شيئاً فإنهم كانوا أكثر علماً وأصدق قلباً ولساناً وأعظم أمانة منا فلا ينبغي أن نظن بأنفسنا استدراكاً عليهم " (٤) .

---

(١) سورة آل عمران آية ١٠٣ .
(٢) رسم المصحف بين المؤيدين والمعارضين . د. عبد الحي الفرماوي صـ ٧٧.
(٣) الجمع الصوتي الأول للقرآن . د. لبيب السعيد صـ ٣٠٢.
(٤) البرهان في علوم القرآن . الزركشي ٣٨٠/١ .

" ويقول القاضي عياض في آخر كتاب الشفاء : وقد أجمع المسلمون أن القرآن المتلو في جميع أقطار الأرض المكتوب في المصحف بأيدي المسلمين مما جمعه الدفتان من أول – الْحَمْدُ لِلهِ ربِّ الْعالَمِينَ – إلى آخر – قَلْ أَعُوذُ بِرَبِ النَّاسِ – أنه كلام الله ووحيه المنزل على نبيه محمد (ﷺ) وأن جميع ما فيه حق وأن من نقص حرفا قاصداً لذلك أو بدله بحرف آخر مكانه أو زاد حرفاً مما لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع عليه الإجماع و أجمع على أنه ليس من القرآن عامداً لكل هذا فهو كافر ...

وكما لا تجوز مخالفة خط المصحف في القرآن لا يجوز لأحد أن يطعن في شيء مما رسموه فيها لأنه طعن في مجمع عليه ، ولأن الطعن في الكتابة كالطعن في التلاوة [1] .

وما دام المسلمون قد تلقوا القرآن أنذاك بالقبول وكان انعقد إجماعهم على نصه ورسمه ، وكان فيهم اثنا عشر ألف صحابي ، أما انعقاد إجماعهم على نصه فأمر ظاهر لا نزاع فيه ؛ لأن النص عينه الذي أو حاه الله تعالى إلى رسوله الكريم (ﷺ) دونما زيادة أو نقصان ، وذلك مصداق قوله تعالى : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) .

وأما إجماعهم على رسمه وتلقيهم له بالقبول ، فلأنه كتب على ما ألفوه من قواعد في كتاباتهم بعامة ولهذا لم يروا في رسمه ما يوحي بخروج عن المعتاد عندهم وعن المألوف في كتاباتهم [2] . وإجماع الصحابة وعدم اختلافهم في الرسم يعد إجماعاً بالكلية ، والإجماع من الأدلة الشرعية الواجبة الاتباع .

---

(١) البرهان في علوم القرآن ١ / ٣٨٠.

(٢) مجلة الدارة . مقال " رسم المصحف بين التحرز والتحرر " د. زيد عمر مصطفى صـ ٧٥، بتصرف يسير .

لذلك يجب أن نقول في النهاية إنه يجب علينا الالتزام بهذا الرسم العثماني ولا تجب مخالفته لأي حال من الأحوال ولا يجب أن ننظر إلى قول هؤلاء الذين يقولوا " إن العامة لا تعرف مرسوم المصاحف ويدخل عليهم الخلل في قراءتهم في المصحف إذا كتب على المرسوم (أي العثماني) إلى آخر ما عللوا به ، فهذا ليس بشيء لأن من لا يعرف المرسوم من الأمة يجب عليه أن لا يقرأ في المصحف حتى يتعلم القراءة على وجهها ويتعلم مرسوم المصحف فإن فعل غير ذلك فقد خالف ما اجتمعت عليه الأمة " [١] .

فينبغي أن نقنع أخيراً بأن عملية الرسم العثماني مثلها تماماً بتمام كعملية نزول القرآن الكريم من عند الله سبحانه وتعالى لا يجوز لأحد مهماً كان علمه أن يغير من هذا الأمر شيئاً ، فكما لا يجوز لأحد أن يزيد حرفا في القرآن أو أن ينقص منه حرفاً فلا يجوز له أيضاً أن يغير من طبيعة هذا الرسم ، وذلك لأن للقرآن الكريم كيانه الخاص الذي لا يشابه – غيره من كلام الناس فكما أنه معجز في أسلوبه فهو معجز أيضاً في رسمه فما استطعنا الوقوف عليه فبها ونعمت ومن لم نستطع الوقوف عليه فهذا لحكمة لا يعملها – سبحانه وتعالى – إلا هو ربما علمناها على مر الأيام فأخبرنا بها وربما لم نعلمها فيعلمها من يأتي بعدنا وربما استأثر الله سبحانه بما لحكمة يعلمها ولا نعلمها نحن .

" وحقا : فالله سبحانه وتعالى – الذي تكفل بحفظ كتابه – لم يكن ليدع الخطأ يقع في كتابه أصل شريعته ، ولا يلهم نبيه تصحيحه " [٢] .

---

(١) سمير الطالبين صـ ١٩ .

(٢) الجمع الصوتي الأول للقرآن . د. لبيب السعيد صـ ٣٧٧ .

أهم المصادر والمراجع

(١) الإبدال لأبي الطيب اللغوي – ت عز الدين التنوخي – المجمع العلمي العربي – دمشق – ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م .

(٢) إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر للبنا الدمياطي – ت / د . شعبان محمد إسماعيل – مكتبة الكليات الأزهرية ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

(٣) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي – ت / محمد أبو الفضل إبراهيم – المكتبة العصرية – ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨ م .

(٤) ارتشاف الضرب – المكتبة الأزهرية للتراث ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .

(٥) إرشاد الجيران لمحمد الحسيني – مطبعة المعاهد بالجمالية .

(٦) أصوات اللغة العربية – د . صلاح عطية ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

(٧) أصوات اللغة العربية – د . عبد الغفار هلال – ط ٢ – ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.

(٨) أصوات اللغة العربية – د. محمد حسين جبل – ط٣ – ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .

(٩) الأصوات اللغوية – د . إبراهيم أنيس – مكتبة الأنجلو المصرية – ١٩٩٥م .

(١٠) إملاء ما منى به الرحمن للعكبري – دار الكتب العلمية بيروت .

(١١) إنباه الرواه للقفطي – ت / محمد أبو الفضل إبراهيم – دار الكتب المصرية .

(١٢) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام – ت / محمد محي الدين عبد الحميد .

(١٣) البرهان في علون القرآن – ت محمد أبو الفضل إبراهيم – مطبعة الحلبي – ط ٣ – .

(١٤) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة – ت / السيد أحمد صقر – ١٣٩٠هـ / ١٩٧٣م .

(١٥) التبيان في تفسير غريب القرآن لابن الهائم المصري – دار الصحابة طنطا – ط ١ – ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢م .

(١٦) تخريج الدلالات السمعية للتلمساني – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي ١٤٠٤هـ / ١٩٨٠م .

(١٧) تسهيل الوائد وتكميل المقاصد لابن مالك – ت / محمد كامل بركات – دار الكاتب العربي – ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م .

(١٨) تفسير البحر المحيط – دار الفكر – ط ١ – ١٩٨٣م .

(١٩) تفسير الدر المصون للسمين الحلبي في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي – ت /د . أحمد محمد الخراط – دار القلم – دمشق – ط١ – ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م .

(٢٠) تفسير الطبري – دار الحديث القاهرة .

(٢١) تفسير القرطبي – دار الكتب العلمية – بيروت – ط ٥ ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .

(٢٢) تهذيب اللغة للأزهري المؤسسة المصرية العامة للتأليف – ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م .
(٢٣) الجمع الصوتي الأول للقرآن – د . لبيب السعيد– دار المعارف – الطبعة الثانية .
(٢٤) حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك – دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي .
(٢٥) الحجة للقراء السبعة لأبي على الفارس – دار المأمون للتراث .
(٢٦) حديث الأحرف السبعة دراسة تحليلية د .على سعد الخولي ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م .
(٢٧) حديث نزول القرآن على سبعة أحرف – د. محمد حسن جبل – مطبعة التركي .
(٢٨) حديث نزول القرآن على سبعة أحرف – د . مناع القطان – مكتبة وهبة – الطبعة الأولى ١٤١١هـ / ١٩٩١م .
(٢٩) خزانة الأدب للبغدادي – ت / عبد السلام هارون – البيئة المصرية العامة للكتاب – ط ٢ – ١٩٧٩م .
(٣٠) الخصائص لابن جني – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م .
(٣١) خصائص لهجتي تميم وقريش – د . الموافي الرفاعي البيلي – ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

(٣٢) دراسات في فقه اللغة – د . صبحي الصالح – دار العلم للملايين – ط ٢ – ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م .

(٣٣) دراسات في لهجات العرب – د.الموافي الرفاعي – ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

(٣٤) دراسات في اللهجات العربية والقراءات القرآنية – د. فتحي الدابولي – ط ٢ – ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .

(٣٥) الدراسات اللغوية في القراءات القرآنية – د . على عامر – ط٢ – ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م .

(٣٦) رسم المصحف بين المؤيدين والمعارضين – د. عبد الحي الفرماوي – مكتبة الأزهر – ط٢ – ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .

(٣٧) رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية – د . غانم قدورى الحمد – بغداد – ١٩٨٠م .

(٣٨) رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات القرآنية – د. عبد الفتاح شلبي – مكتبة نهضة مصر – ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م .

(٣٩) السبعة في القراءات لابن مجاهد – ت / د.شوقي ضيف – دار المعارف بمصر – ١٩٧٢م .

(٤٠) سر صناعة الإعراب لابن جني – ت/ د. حسن هنداوي – دار العلم – – دمشق – ط٢ – ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .

(٤١) سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين – على محمد الضباع – مكتبة المشهد الحسيني – ط١ .

(٤٢) شرح المفصل لابن يعيش – عالم الكتب – بيروت .

(٤٣) شـرح الهدايـة للمهـدوي – ت / د .حـازم سـعيد حـيدر – ط ١ – ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م .

(٤٤) الصاحبي لابن فارس – ت / السيد أحمد صقر – مطبعة عيسى البابي الحلبي .

(٤٥) الصحاح للجوهرى – ت / أحمد عبد الغفور العطار – دار العلم للملايين .

(٤٦) صحيح مسلم بشرح النووي – طبعة المكتبة المصرية .

(٤٧) العـربية خصائصـها وسماتهـا – د/ عـبد الغفـار هـلال – ط ٤ – ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م .

(٤٨) العربية – يوهان فك – تقديم وتعليق د/ رمضان عبد التواب – مكتبة الخانجي – ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

(٤٩) علـم الأصـوات – بـرتيل مالمـبرج – تعـريب د/ عـبد الصـبور شاهين – مكتبة الشباب ١٩٨٥م .

(٥٠) علم اللغة الاجتماعي . د / كمال بشر – دار غريب .

(٥١) علم اللغة – د. على عبد الواحد وافي – مطبعة نهضة مصر – ط٩ –بدون .

(٥٢) العنوان في القراءات السبع لأبي طاهر الأندلسي . د/ زهير زاهـد ، د/ خليل العطية – عالم الكتب – ط٣ – ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

(٥٣) العين للخليل ت / د . مهدي المخزومي ، د. إبراهيم السامرائي – مؤسسة الأعلمى للمطبوعات – بيروت – ط٢ – ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

(٥٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني – مطبعة دار الفكر .

(٥٥) فضول في فقه اللغة – د.رمضان عبد التواب – مكتبة الخانجي – ط٥ – ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .

(٥٦) فقه اللغة – د/ على عبد الواحد وافي – دار نهضة مصر .

(٥٧) فقه اللغة للثعالبي – دار الفجر .

(٥٨) الفهرست للنديم – دار الميسرة – بيروت – ط٣ ١٩٨٨م .

(٥٩) في اللهجات العربية د/ إبراهيم أنيس – مكتبة الأنجلو المصرية – ط٩ – ١٩٩٥م .

(٦٠) القاموس المحيط للفيروزآبادي – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

(٦١) القراءات الشاذة . الشيخ عبد الفتاح القاضي – ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .

(٦٢) القراءات القرآنية تاريخ وتعريف . د. عبد الهادي الفضلي – ط بيروت .

(٦٣) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث – د . عبد الصبور شاهين – مكتبة الخانجي ١٩٦٩م .

(٦٤) القراءات واللهجات – د. عبد الوهاب حمودة .

(٦٥) الكتاب لسيبويه – دار الجيل – بيوت – ط١ ١٤١١هـ / ١٩٩١م .

(٦٦) الكشاف للزمخشري – دار الكتاب العربي .

(٦٧) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها للقيسي – ت / د. محي الدين رمضان – طبعة مؤسسة الرسالة .

(٦٨) لسان العرب لابن منظور – دار صادر – بيروت – ط٣ – ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤م .

(٦٩) اللغة العربية معناها ومبناها – د. تمام حسان .

(٧٠) اللغة لفندريس – تعريب عبد الرحمن الدواخلي ، د/محمد القصاص ١٩٥٠م .

(٧١) لهجات العرب . أحمد تيمور – طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م .

(٧٢) اللهجات العربية – د. إبراهيم نجا – مطبعة السعادة – ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م .

(٧٣) اللهجات العربية دراسة وصفية تحليلية – د. محمود عبد العزيز عبد الفتاح – ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م .

(٧٤) اللهجات العربية في التراث – د. أحمد علم الدين الجندي – الدار العربية للكتاب – طرابلس .

(٧٥) اللهجات العربية في القراءات القرآنية – د. عبده الراجحي – دار المعرفة الجامعية – ١٩٩٩م .

(٧٦) اللهجات العربية في المصباح المنير – د. فتحي الدابولي – ط١ – ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .

(٧٧) اللهجات العربية نشأتها وخصائصها – د. عبد الله ربيع ، د/ عبد العزيز علام .

(٧٨) اللهجات العربية نشأة وتطوراً – د. عبد الغفار هلال ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .

(٧٩) اللهجات العربية والقراءات القرآنية – د/ إبراهيم أبو سكين – ١٤٢١هـ / ٢٠٠١ م ،

(٨٠) اللهجات في اللسان العربي – د/ عبد الحليم محمد عبد الحليم ط٢ – ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .

(٨١) ماذا بين القراءات واللهجات ؟ – د. محمد إبراهيم مصطفى – مكتبة دار والي الإسلامية – ط١ ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م .

(٨٢) مباحث في علوم القرآن – د/ صبحي الصالح – دار العلم للملايين ط٥ – ١٩٨٦م .

(٨٣) مجمع الأمثال للميداني – ت . محمد أبو الفضل إبراهيم – دار الجيل – بيروت – ١٤١٦هـ / ١٩٩٦ م .

(٨٤) المحتسب لابن جني – ت . على النجدي ناصف – د. عبد الحليم النجار ، د / عبد الفتاح شلبي – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤١٥هـ / ١٩٩٤ م .

(٨٥) المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده . ت / د . مصطفى السقا ، د. حسين نصار – ط ١ – ١٣٧٧هـ / ١٩٨٥م .
(٨٦) مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه – منى بنشره براجشترا – طبعة المتنبي – القاهرة .
(٨٧) المدخل إلى علم اللغة . د/ رمضان عبد التواب – الخانجي – ط ١ – ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م .
(٨٨) المزهر في علوم اللغة وأنواعها – ت / محمد جاد المولى وآخرين – دار الجيل – بيروت .
(٨٩) مشكل إعراب القرآن لمكي القيسي – ت / د. حاتم الضامن – مؤسسة الرسالة – ط٤ ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .
(٩٠) معاني القراءات للأزهري – ت / د. عيد مصطفى درويش .
(٩١) مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام . ت / محمد محي الدين عبد الحميد – دار إحياء التراث العربي .
(٩٢) المفردات في غريب القرآن للراغب – إشراف وإعداد / د . محمد أحمد خلف الله .
(٩٣) المقتضب في لهجات العرب – د. محمد رياض كريم – ٢٠٠١ – ٢٠٠٢ م .
(٩٤) المقنع في رسم مصاحف الأمصار للداني – ت/ محمد الصادق قمحاوي – مكتبة الكليات الأزهري .

(٩٥) ملامح اللهجات العربية – د/ عبد المنعم عبد الله حسن – ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

(٩٦) من أسرار اللغة – د/ إبراهيم أنيس – مكتبة الأنجلو – ط ٧ – ١٩٩٤م .

(٩٧) مناهل العرفان في علوم القرآن . محمد عبد العظيم الزرقاني – مطبعة الحلبي – ط٣ .

(٩٨) من لغات القرآن الكريم – د/ محمد عبد الحفيظ العريان – مطبعة التركي – ط٢ – ١٩٩٨م .

(٩٩) منهج في التطور اللغوي في ضوء علم اللغة التاريخي – د/ كمال بشر – دار الثقافة العربية – ١٩٨٦م .

(١٠٠) موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث – د. خديجة الحديثي – وزارة الثقافة – العراق ١٩٨١م .

(١٠١) النشر في القراءات العشر لابن الجزري – تصحيح ومراجعة / علي محمد الضباع – المكتبة التجارية .

(١٠٢) الوزراء والكتاب لابن عبدوس الجهشياري – ت / مصطفى السقا ، وآخرين ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٤م .

فهرس المحتويات

المقدمة .	٥ : ٦
الفصل الأول : اللهجات العربية .	٧ : ١٩٧
المبحث الأول : اللغة واللهجة .	٩ : ٨٢
تعريف علم اللهجات وموضوعه .	٩
معنى اللهجة في اللغة والاصطلاح .	١٠
المعنى المعجمي للغة ، والاصطلاح .	١٧
موقف العلماء من دراسة اللهجات .	٢٣
أهمية دراسة اللهجات .	٣١
الصعوبات التي تواجه دارس اللهجات .	٣٥
مصادر اللهجات العربية .	٣٩
الصفات التي تفرق بين لهجات اللغة الواحدة .	٤٤
عوامل استقلال اللهجة .	٤٨
عوامل انشعاب اللغات إلى لهجات .	٤٩
أسباب نشأة اللهجات .	٦٥
أدلة تعدد اللهجات .	٧٦
المبحث الثاني: الوحدة اللغوية، واللغة النموذجية .	٨٣ : ١١٤
عوامل الوحدة اللغوية . وتكوين اللغة المشتركة .	٨٣
وحدة النطق في البلاد العربية .	٩٢
وسائل توحيد النطق في البلاد العربية .	٩٩
فصاحة القبائل العربية .	١٠١

العوامل التي ساعدت على تغلب لهجة قريش على اللهجات الأخرى .	١٠٨
المبحث الثالث : مقياس الفصاحة .	١١٥ : ١٣٠
لغة القرآن الكريم .	١٢٦
المبحث الرابع : اللهجات وألقابها .	١٣١ : ١٤٦
ألقاب اللهجات العربية .	١٣١
المبحث الخامس : ظواهر لهجية .	١٤٧ : ١٩٧
الهمز والتسهيل .	١٤٧
الفك والإدغام .	١٦٤
الإمالة .	١٧٢
مطل الحركة وتسكينها .	١٧٨
المخالفة الصوتية .	١٨٦
الوقف .	١٨٩
الفصل الثاني : القراءات القرآنية .	١٩٩ :
المبحث الأول : مدخل إلى علم القراءات .	٢٠١ : ٢٥٣
المعنى اللغوي لكلمة قرآن .	٢٠١
تعريف علم القراءات ، وموضوعه .	٢٠٥
الفرق بين القراءة ، والرواية ، والطريق .	٢٠٦
الصلة بين القراءات واللهجات .	٢٠٧
مصادر القراءات .	٢٠٩
العناية بعلم القراءات .	٢١٦
أسماء القراء .	٢٣٤

أنواع القراءة	٢٣٨
شروط القراءة الصحيحة .	٢٤٢
القراءة الشاذة ، وحكمها .	٢٤٦
المبحث الثاني : نزول القرآن على سبعة أحرف .	٢٥٥ : ٢٧٨
آراء العلماء فيه .	٢٥٩
المبحث الثالث : الرسم العثماني .	٢٧٩ : ٣٠٦
فهرس المصادر والمراجع .	٣٠٧ : ٣١٦
فهرس المحتويات .	٣١٧ : ٣١٩

دار المستقبل
٠١٢٢٥١٦٤٨٩

